

كنغزلي إيمس

KINGSLEY AMIS

مكتبة 460

جيم المحظوظ

Lucky Jim

رواية

ترجمة: د. محمد درويش

جيم المحفوظ

Lucky Jim

مكتبة

جديد الكتب والروايات

تابعنا اضغطا اللينك

t.me/ktabpdf

t.me/ktabrwaya

facebook.com/newpdf

مكتبة | 460

الناشرين



ص.ب 2380 أبو ظبي. إ. ع. م. هاتف 6314468 2 971 +
فاكس 6314462 2 971 + - الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.kalima.ae>

أبو ظبي هاتف: 6345404 (+971-2) فاكس: 6345407 (+971-2)
دبي هاتف: 2651623 (+971-4) فاكس: 2653661 (+971-4)
بيروت هاتف: 786233 (+961-1) فاكس: 786230 (+961-1)

ثقافة
للنشر والتوزيع ذ.م.م.
Publishing & Distribution L.L.C.
مكتبة

مكتبة ٢٠١٩٦١٤

الطبعة الأولى 1429هـ - 2008م

جميع الحقوق العربية محفوظة

الدار العربية للعلوم ناشرون، عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم،

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1) - ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb - الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي Lucky Jim

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Victor Gollancz Ltd., London, an imprint of The Orion Publishing Group Ltd., of Orion House

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © by Kingsley Amis

Arabic Copyright © 2008 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

إن هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة" غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعتبر بالضرورة عن آراء الهيئة.

جيم المحظوظ

Lucky Jim

رواية

تأليف

كنغزلي إيمس

ترجمة

د. محمد درويش

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

مكتبة | 460

الله فَرَاد

إِلَه فَيَلِيْب لِأَرْكَنْ

كَنْغَز لِي إِيمَس

مقدمة المترجم

يقول الناقد والروائي الإنكليزي ديفيد لودج في كتابه لغة الرواية إن رواية جيم المحفوظ هي رواية كوميدية وإن مؤلفها كغز لي إيمس شديد الإعجاب بهنري فيلدنك، أول روائي إنكليزي كوميدي عظيم. ثم يضيف قائلاً إن مصدر الكوميديا الأساس في الرواية، هو التناقض القائم بين العالمين الداخلي والخارجي للبطل جيم. ففي حين يسعى دون أن يحقق نجاحاً كبيراً إلى أن يبين للعالم الخارجي شخصيته شاباً محترفاً ومثابراً ومهذباً، فإن دماغه يكاد يغلي بالسخرية اللاذعة الموجهة إلى نفسه أولاً وإلى الآخرين ثانياً. كما تدور في عقله مختلف أنواع فنطازيا العنف الذي يوجهه إلى أعدائه. لهذا، فإن أي صفحة من صفحات الرواية، شأنها في ذلك شأن بقية روايات إيمس، إنما هي تبادل الحوار بين الشخصيات، ويتخلل ذلك فقرات مطولة محبوكة جيداً بتعليقات انتقادية وكوميدية ساخرة تنبع من وعي البطل.

ولا يسجل لنا جيم عبر صفحات هذه الرواية المظاهر الزائفة والكاذبة للمجتمع الأكاديمي في إحدى الكليات الموجودة في مدينة إنكليزية صغيرة بعيدة عن العاصمة لندن فحسب، بل إنه يبدو لنا جزءاً من اللعبة في هذه الكوميديا، لأنه هو الآخر يضيف على شخصيته في كثير من الأحيان الكثير من مظاهر الزيف والخداع، إذ تضطره ظروفه ومزاجه إلى التظاهر الكاذب أمام محيطه. فهو يدّعي أنه باحث شاب وأستاذ جامعي، لكنه في الوقت نفسه يكره تدريس مادة التاريخ ويحتقر زملاءه. ويتظاهر بأنه يشفق على زميلته مارغريت ويتعاطف وإياها، إلا أنه يجدها سطحية حقاً وتبعث على الملل. غير أن ما يغفر لجيم سلوكه هذا، هو أنه يقرّ بأن

كل ما حوله من مظاهر زائف وكاذب.

وتوضح الصفحات الأولى من الرواية هذا النموذج من المظاهر، حيث نجد جيم والأستاذ ولش رئيس قسم التاريخ يتجولان في ساحات الكلية، ورويداً زويداً يظهر التناقض الواضح والأساس بين العالمين الداخلي والخارجي لجيم. ويوضح الفصل الأول أيضاً وعي جيم النفاق والرياء اللذين يمارسهما رئيس القسم مما يجعله في شك في الحياة الداخلية للناس التي قد تكون سرّاً كحياته. وهذا الشك ينعكس في سلسلة الأسئلة التي تميز تفكير جيم. فالاثنان - جيم ولش - لا يفشلان في تواصلهما مع الآخرين فحسب، بل يفشلان حتى في التواصل مع نفسيهما. وعي جيم جيداً أن أسلوب حياته الداخلية يعوضه عن الطبيعة غير المرضية لحياته الخارجية. فتكشيرته وقلب ملامح وجهه وتغيير سحته مرات كثيرة ونكاته الواقعية، ليست إلا امتداداً لهذه الاستراتيجية ومحاولة من جانب جيم إعطاء حياته الداخلية تعبيراً مادياً. ومثل هذا السلوك يظل سرّاً من الأسرار كما أن معظم الجانب الكوميدي يستمد أسسه من محاولات جيم الاحتفاظ بذلك سرّاً. بيد أنه ما دام يفعل ذلك، فإنه يظل في نطاق المراوغة والنفاق والتسوية. ولا يمكن وضع حل للقضايا التي تحفل بها الرواية إلا عندما يرغب جيم في أن تتطابق حياته الداخلية وحياته الخارجية. ويصل عنصر التشويق إلى ذروته في المشهد الذي يتشاجر فيه مع برتراند ابن ولش ويطرحة أرضاً ويديمي أذنه.

وفي النهاية يحصل التتابق بين هذين العالمين الداخلي والخارجي، إذ يبدأ كل شيء يسير لمصلحته، فبعد أن يفقد عمله الجامعي يحصل على وظيفة أفضل منه تبعث في نفسه الفرح والسرور. وفي حين يخسر مارغريت التي تعرّضت علاقته بها إلى الكثير من الهزات والانتكاسات، نجده يحصل على فتاة شابة أفضل منها بكثير.

وتبدو هذه الحلول مقبولة للقارئ، لأن العنصر الكوميدي في الرواية يسمح بمثل هذا التبسيط ما دام الأشخاص الذين يشبهون برتراند على سبيل المثال، سيسقطون في النهاية وسيحل سقوطهم المشاكل.

ولد كنفزلي إيمس في مدينة لندن في 16 نيسان 1922 ودرس فيها وفي أوكسفورد أيضاً حيث حصل على شهادة الماجستير في الآداب. وبعد تخرجه انخرط في صفوف الجيش فأصبح ضابطاً في المخابرات في أعوام 1942 - 1945.

وبعد ذلك بثلاث سنوات، تزوج هيلاري آن بادول، فأنجبت له ابنة واحدة وولدين أحدهما مارتن إيمس الذي أصبح الآن من الروائيين المعروفين في بريطانيا. لكنّ زواجه انتهى بالطلاق في عام 1965، فتزوج مرة ثانية بالروائية الإنكليزية إليزابيث جين هوارد.

مارس التدريس في الجامعات الإنكليزية والأميركية، حيث عمل فترة من الزمن محاضراً في مادة اللغة الإنكليزية في الكلية الجامعة بمدينة سوانزي بمقاطعة ويلز في أعوام 1949 - 1961، وفي كيمبرج على مدى 1961 - 1963. كما أصبح أستاذاً زائراً يدرّس موضوع الكتابة الإبداعية في جامعة برنستن بولاية نيوجرسي في 1958 - 1959، وفي جامعة فاندريلت بمدينة ناشفيل بولاية تينسي في 1967 - 1968. توفي في 22 تشرين الأول 1995.

ومن الجوائز الأدبية المعروفة التي حصل عليها جائزة موم في عام 1955.

مكتبة

• من رواياته:

الشعور الغامض (1956)، وأحبها هنا (1958)، والحصول على فتاة تشبهك (1960)، وعدو عدوي - قصص قصيرة (1962)، والإنكليزي البدين (1963)، وعلماء المصريات (1965)، والمنظمة المناهضة للموت

(1966)، وأريدها الآن (1968)، والعقيد صن - مغامرة على غرار جيمس بوند (1968)، والرجل الأخضر (1969)، وفتاة 20 (1971)، والوهم العزيز (1972)، وجريمة قتل في بيت عند الشاطئ (1973)، والانتهاة (1974)، والتحوير (1976)، وقضية جاك (1978)، وستانلي والنساء (1984).

• من مسرحياته:

شيء غريب - تمثيلية إذاعية (1962). ومن التمثيليات التلفزيونية: سؤال عن الجحيم (1964)، وأهمية أن تكون مثل هاري (1971)، ودكتور واطسن ولغز القاعة (1974)، وانظر ماذا فعلت (1974)، وكلنا مذنبون (1975).

• من دواوينه الشعرية:

تشرين الثاني المتألق (1947)، وإطار العقل (1953)، وقصائد (1954)، وقضية نماذج - قصائد (1946 - 1956)، ومقاطعة إيفانز (1962)، وجولة حول المقاطعة - قصائد (1957 - 1967).

• من كتبه الأخرى:

الاشتراكية والمثقفون (1957)، وخرائط جديدة للجحيم - استقصاء شامل لقصص الخيال العلمي (1960)، وملف جيمس بوند (1965)، وسياسات جيم المحفوظ (1968)، وماذا بقي من جين أوستن ومقالات أخرى (1970)، وفي الشرب (1973)، وكبلنغ وعالمه (1975)، وسياسة الفنون (1979).

• أما الكتب التي حرّرها فتشمل:

كتاب شعر أوكسفورد (1949)، ومختارات من قصص الخيال العلمي (1961)، وقصص مختارة للكاتب چسترتن (1972)، وتينسن (1973)، وسنوات هارولد: عهد هارولد ولسن (1977)، وكتاب أوكسفورد الجديد من

الشعر (1978)، وكتاب فيبر للشعر الشعبي (1978).

يكتب كنجز لي إيمس رواياته وفق الموروث الإنكليزي بمفهومه الواسع، وهذا يعني أنه يحاول كتابة قصة ممتعة قابلة للتصديق، وتناول أبطالاً يمكن فهمهم وذلك بلغة مباشرة، إذ لا يميل إلى استخدام التلاعب بالألفاظ وينفر من التجريب في الكتابة. كما أن الموروث الذي يسعى إلى استخدامه يعني أن موضوعاته تركز في العلاقة بين الناس، ويجهد عن طريق هذه الموضوعات في إشاعة جو تمتزج فيه الفكاهة والمفارقة والتوتر والوصف والتشويق والتأمل.

ويقرّ إيمس بأن رواياته يمكن عدّها كوميديات جادة مما يعيد إلى الأذهان هنري فيلدنك ورواياته الرائعة ولا سيما توم جونز. لكن، على الرغم من ذلك نجد إيمس يميل بين فترة وأخرى إلى الدخول في عالم روائي مختلف تماماً، لكنه كان يثيره دوماً، وهذا العالم يتمثل بكتابة رواية من روايات الجاسوسية المليئة بالتشويق والمغامرة، أو رواية اعتيادية فيها عناصر من الرواية الجاسوسية والرواية العلمية، أو حتى رواية فيها أشباح. وتجدر الإشارة إلى أن مؤلفات إيمس الروائية تمثل ملاحظة أو بياناً في المجتمع. وبوصفه مواطناً عادياً نجده يهتم كثيراً بالقضايا السياسية. أما إيمس الروائي فيستخدم المادة السياسية والقضايا الذاتية والاجتماعية والجنسية والمحلية وغيرها جنباً إلى جنب. ولما كان من أولى مهمات الروائي أن يجعل قصته وأحداثها وشخصياتها مقبولة عند القارئ، على حدّ تعبيره، فإنه يتعين على أي كاتب أن يجعل إطار الأحداث الذي تدور فيه رواياته صحيحاً ومناسباً. لكنّ هذه المهمة ليست هي المهمة الوحيدة أمام الروائي كما يعتقد إيمس، فهو يؤمن بأن هدف الكتابة الأساس هو تصوير الطبيعة البشرية كما هي، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ولهذا، فإن العواطف الإنسانية الدائمة كالحب والحزن والطموح والفرح

والخوف والغضب والإحباط هي التي ينبغي أن تأخذ القسط الأكبر من اهتمام الكاتب الروائي.

ومن آراء إيمس المعروفة أنه سئل ذات مرة عن رأيه في أعماله الروائية فأجاب:

«إن كل ما يقوله الروائي - أو أي فنان آخر - في أعماله ينبغي أن ينظر إليه بريئة، إذ إن كل شيء يعتمد على الحالة الذهنية والنفسية للكاتب إلى حد ما. فالكاتب يفكر في عمله الأدبي وكيف استقبل القراء كتابه الأخير. كما أن ذهنه مشغول بقضية أخرى تتعلق بمستوى الكتاب الذي ربما هو قيد الإنجاز في المرحلة الراهنة، وهكذا. يضاف إلى هذا أن الكاتب نفسه أبعد من أن يكون ناقدًا جيدًا لأعماله، وهنا يرجع السبب كما قال كريستوفر إشرود ذات مرة إلى أن الكاتب، أي كاتب، لا يمتلك إلاّ وعياً قليلاً جداً لما يقوم به فعلاً وما يقوله فعلاً».

د. محمد درويش

بغداد 1988

- مع ذلك فقد ارتكبوا غلطة سخيفة.

قال ذلك أستاذ التاريخ بينما تلاشت ابتسامته التي كان يراقبها دكسن وهو يراقب تبدل ملامحه في أثناء استرجاعه ذكرياته. ثم أردف قائلاً:

- وبعد الاستراحة عزفنا قطعة صغيرة لدولاند بجهاز التسجيل ولوحة المفاتيح الموسيقية كما تعلمون. في الواقع أنا أدت جهاز التسجيل بينما عزف جونز الشاب...

توقف قليلاً بينما تصلب جذعه وهو يسير، بدا كأن شخصاً مختلفاً تماماً أو دجالاً لم يتمكن من تقليد صوته قد حلّ محله لحظة من الزمن. وأضاف ثانية:

- عزف جونز الشاب على البيانو. لقد كان شاباً يملك طاقات متعددة. والواقع أنه يعزف على الأوبو بشكل حسن، على أي حال، لا بد أن الصحفي اختلط عليه الأمر أو أنه لم يكن مصغياً، أو ربما هناك سبب آخر. لقد نشر الموضوع في صحيفة «البوست»: دولاند، نعم. كانا على حق السيدان ولش وجونز. نعم، ولكن ماذا تعتقد أنهما قالوا عنه؟ هزّ دكسن رأسه وقال:

- لا أعرف يا أستاذ.

تفوه بتلك الجملة بدقة رصينة. وفكّر في أنه ليس هناك أي أستاذ آخر في بريطانيا له مثل هذا الخزين الذي يطلق عليه أستاذ.

- الفلوت والبيانو.

- أوه!

وضحك ولش ضحكة قصيرة وهو يقول:

- «الفلوت والبيانو وليس جهاز التسجيل والبيانو، كما تعلمون أن جهاز التسجيل اليوم لا يشبه الفلوت، على الرغم من أنه جدّ الفلوت المباشر فعلاً. في البداية يشغل جهاز التسجيل، أي أنك تنفخ في ما يشبه الفم كالأوبو أو الكلارنيت. أما الفلوت المستخدم هذه الأيام فإنه يعزف بما يعرف بـ Traverso أي أنك تنفخ في فتحة بدلاً من...» بينما حلّ الهدوء ثانية على ولش الذي أبطأ في سيره أكثر مما مضى، استرخى دكسن على جنبه، لقد وجد أستاذه يقف وقفة مدهشة أمام رف الكتب الصادرة حديثاً في مكتبة الكلية، ثم أخذاً يعبران الحشيش الأخضر باتجاه واجهة مبنى الكلية الرئيس. وكان منظرهما يوحي بنوع من التنوّع والتناقض. فقد كان ولش طويل القامة كثير النحول، يمشي بقليل من العرج وكان شعره مبيضاً. أما دكسن فكان قصير القامة، أشقر الشعر دائري الوجه، عريض المنكبين على نحو يلفت النظر دون أي قوة أو مهارة بدنية.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف البين بين الاثنين، أدرك دكسن أن تقدمهما المدرّوس لا بد أن يبدو مهيباً للطلاب المارين بهما. في وسعه أن يتحدث أيضاً إلى ولش في التاريخ والأسلوب الذي يجري فيه الحديث في التاريخ في أروقة أوكسفورد وكيمبرج. في مثل هذه اللحظات كان دكسن يتمنى إلى حدّ ما لو أنهما كانا كذلك فعلاً. تشبّث بتلك الفكرة حتى عادت الحياة فجأة إلى الرجل العجوز، وأخذ يتحدث حديثاً يشبه الصراخ وهو يهتزّ بفعل الضحكات التي أطلقها ولم يشاركه فيها صاحبه:

- كان هناك أروع خلط في المقطوعة التي قدّماها قبل الاستراحة، إذ من سوء حظ العازف الشاب الذي كان يعزف على الكمان الأوسط أن قلب صفحتين مرة واحدة، ويمكنك أن تتصوّر عندئذ الفوضى التي عمّت...

وسرعان ما قرّر دكسن أن يضغط على ملامحه لكي يبدو كأنه

يستجيب للدعابة. أما من الناحية العقلية، فقد كان في الواقع يتظاهر بأمر آخر، ويعد نفسه بأنه سيقوم بذلك فعلاً وحده في المرة القادمة، وسيلوي شفته السفلى تحت فكه الأعلى وسيسعى إلى تقليص ذقنه إلى أبعد حد ممكن بينما يوسّع من عينيه ومنخريه. وبهذه الوسائل كان واثقاً بأنه سيجعل وجهه متورداً ونضراً.

تحدّث ولش مرة أخرى عن حفلة الموسيقى. كيف أصبح أستاذاً في التاريخ وفي مكان كهذا؟ هل بالأعمال المنشورة؟ لا. هل بالمحاضرات الإضافية الجيدة؟ لا. قطّ. كيف إذاً؟ صرف دكسن النظر عن هذا السؤال كالمعتاد، وأقنع نفسه بأن الأمر المهم هو أن هذا الرجل كان يملك قوة هائلة في تقرير مستقبله إلى أن تنتهي الأسابيع الأربعة أو الخمسة القادمة. وينبغي له، حتى ذلك الوقت، أن يجعل ولش يكنّ له الودّ. وأحد السبل لتحقيق ذلك هو أن يكون حاضراً وواعياً عندما يتحدث ولش عن الحفلات الموسيقية، لكن هل لاحظ ولش حضور شخص آخر عندما كان يتحدث؟ وإذا كان قد لاحظ ذلك، هل في وسعه أن يتذكّر؟ وإذا كان قد تذكّر هل يؤثر في مثل هذه الأفكار التي أخذت تراوده قبل قليل؟ وفجأة، ودون مقدمات، رفرت محنة دكسن الثانية وتحولت إلى وعي. ففي محاولة منه لطرده تثارّب عصبي انتابه سأل بلهجته الشمالية الباهتة:

- كيف حال مارغريت هذه الأيام؟

تغيّرت ملامح الآخر الفخارية، بينما أخذ اهتمامه يتّجه اتجاه السفن الحربية القديمة لمواجهة هذه الظاهرة الجديدة، وفي لحظة استطاع أن يقول: «مارغريت؟»

- «نعم لم أرها منذ أسبوع أو أسبوعين» وردّد في قلبه بقلق: «أو قد تكون ثلاثة».

- أوه، إنها تماثل للشفاء بسرعة. أعتقد أن جميع الاحتياطات

أخذت، كانت الصدمة التي تعرّضت لها بسبب كاجبول شديدة.

يبدو لي أن عقلها هو الذي يعاني الآن لا جسدها، كما تعلمون أنها تماماً على ما يرام بدنياً. والواقع أن حالتها ستكون أفضل كلما استطاعت العودة إلى العمل في وقت مبكر، على الرغم من أن الوقت قد فات لإلقاء المحاضرات ثانية هذا الفصل. أعرف أنها تودّ العودة ثانية وأنا موافق لأن ذلك سيريحها كثيراً في نسيان...

كان دكسن يعرف ذلك كله على نحو أفضل مما كان ولش يأمل، إلا أنه وجد نفسه مضطراً إلى القول:

- نعم، أدرك ذلك. أعتقد أن إقامتها معك يا أستاذ ومع السيدة ولش ساعدتها كثيراً في تجاوز الخطر.

- «نعم، لا بد أن هناك أمراً يتصل بالمكان ساعدها في الشفاء. لقد زارنا ذات مرة أحد أصدقاء بيتر وارلوك في أحد أعياد الميلاد السابقة وذكر الشيء نفسه، وأستطيع أن أتذكر نفسي شخصياً في الصيف الأخير عندما كنت عائداً من مؤتمر الممتحنين في مدينة دوم، كان يوماً قاتظاً وكان القطار... حسناً، كان...» عاد مرة أخرى إلى الموضوع الأول بعد انحراف ثانوي في مسار حديثه. استسلم دكسن بينما تصلبت ساقاه عند وصولهما أخيراً سلم المبنى الرئيس، وتخيل بأنه يريد أن يرفع أستاذه من خصره ويضغط على صدريته الرمادية - الزرقاء لطرد الهواء من صدره والصعود به سريعاً باتجاه الممر المؤدّي إلى المرافق الصحية المخصصة للأساتذة، ووضع قدميه الصغيرتين جداً في المرحاض وعقد سلسلة خزان الماء مرة أو مرتين وملاً فتحته بورق المرحاض.

ابتسم ابجسامه حالمة وهو يفكّر على هذا النحو، وبعد توقف قصير قرب الممر المرصوف بالحجارة قال ولش إنه يتعين عليه جلب حقيبة من غرفته في الطابق الثاني، وفكّر دكسن في أثناء الانتظار في الطريقة

التي يستطيع أن يذكّر بها ولش بدعوته إياه لتناول الشاي في منزل أسرة
ولش خارج المدينة، دون أن يكون ذلك سبباً في أن يقطب ولش حاجبيه
فترة طويلة. كانا قد قرّرا أن يتّجها بسيارة ولش عند الساعة الرابعة وقد
تجاوز الوقت الآن الرابعة بعشر دقائق. وشعر دكسن بالخوف يندفع إلى
أعماقه وهو يفكّر في رؤية مارغريت التي قرّر أن يخرج معها لأول مرة
في ذلك المساء منذ مرضها. واضطر إلى تحويل انتباهه وملاحظة عادات
ولش في أثناء القيادة وبدأ يغذّي الغضب غطاءً لمخاوفه، إذ أخذ يصفر
ويدقّ الأرض بحذائه البني بصوت عال. ونجح لخمس ثوان أو أقل:
ترى كيف ستصرف عندما سيكونان معاً وحدهما؟ هل تبتهج وتظاهر
بأنها نسيت؟ أو لم تنتبه البتة للوقت الطويل الذي مرّ على آخر لقاء لهما؟
هل تبقى صامتة فاترة الهمة يبدو عليها الشرود وتضطره إلى حديث تافه
مؤلم بدءاً بالهجوم وانتهاءً بالوعود والأعداؤ؟ ومهما يكن شكل البداية
فإنها ستواصل بالأسلوب نفسه إثارة أحد الأسئلة التي يتعذّر الإجابة عنها
أو التملص منها. إنها ستتحقّق غرضها على أي حال بشيء من الاعتراف
القاتل وتفسير بعض أحوالها التي ذكرتها أم لم تذكرها لسبب أو لآخر.
لقد تورّط مع مارغريت بمزيج من الفضيلة التي لم يكن يدري أنه يملكها:
الأدب والاهتمام الودي والتعلق الاعتيادي والرغبة الصادقة في السيطرة
وعقد صداقة صريحة. وبدا من الطبيعي لمدرّسة أن تدعو زميلاً لها أقل
منها منزلةً رغم كبر سنه لتناول القهوة في بيتها. ولم يكن قبول الدعوة إلاّ
من قبيل باب الأدب ثم أصبح فجأة الرجل الذي يخرج بصحبة مارغريت
وينافس كاجبول تلك الشخصية الثانوية التي تتفاوت دوماً بأهميتها. لقد فكّر
قبل مضي شهرين في أن كاجبول كان دمثاً يسعى إلى التخفيف من حدة
توتره، الأمر الذي يجعله بعد ذلك يؤدّي دور المستشار، بل إنه استمتع
بفكرة أن يعرف شيئاً ما عن الأسلوب الذي تشنّ به هذه الحملات، وفجأة

وجد أن كاجبول قد ألقى بها في أحضانها. ولم يكن ممكناً الهرب من قدره بوصفه المتلقي الوحيد لهذه الاستفسارات والاعترافات.

تلکم الاستفسارات... على الرغم من أن دكسن منع من تدخين سيجارة أخرى حتى الساعة الخامسة، فقد أشعل واحدة أخرى عندما تذكّر السلسلة الأولى من الأسئلة التي طرحها عليه قبل ستة أشهر أو أكثر في مطلع شهر كانون الأول الماضي بعد سبعة أو ثمانية أسابيع من تسلّمه الوظيفة وكانت عبارة «هل ترغب في المجيء لرؤيتي؟» هي العبارة الأولى التي يستطيع تذكّرها. وكان من السهل والصدق أيضاً الإجابة بكلمة «نعم»، ثم أعقبت ذلك أسئلة أخرى من مثل: «أعتقد أننا على ما يرام؟» أو «هل أنا الفتاة الوحيدة التي تعرفها من هذه المنطقة؟» وذات مرة عندما طلب إليها الخروج بصحبته للمرة الثالثة في ثلاثة أيام تباعاً سألته: «سنلتقي كثيراً؟» ومنذ ذلك اليوم بدأت أولى مخاوفه، ولكن قبل ذلك فكّر ولفترة قصيرة في أنه من السهل جداً أن تجعل مثل هذه النزاهة والصراحة الطريق مفتوحاً أمام الشروع في علاقة بامرأة. وبدا أن الشيء نفسه ينطبق على الاعترافات: «إنني أستمتع بوجودي معك» و«إنني لم أعتد معاشرة الرجال» و«لا تسخر مني إذا قلت إنني أعتقد أن مجلس الإدارة أقدم على خطوة حميدة عندما عينك هنا». لم يرغب في الضحك الآن. ماذا سترتدي هذا المساء؟ إنه يستطيع أن يبدي إعجابه بأي شيء عدا ذلك الرداء الصوفي الأخضر والحذاء المخملي الخفيض.

أين ولش؟ إن الرجل معروف جيداً بأنه مراوغ يصعب شفاؤه، فما كان من دكسن إلا أن قذف بنفسه من فوق السلام ومرّ بجوار ألواح النصب التذكاري وبالممرات المهجورة، لكنه وجد الغرفة المعهودة ذات السقف المنخفض فارغة. فاندفع مسرعاً وهو يهبط السلالم الخلفية التي كثيراً ما استخدمها، واتّجه إلى مرافق الأساتذة الصحية فوجد ولش منحنيّاً

فوق حوض الغسيل فقال بحبور:

- آه، لقد قبضت عليك.

ثم أضاف بعد فوات الأوان:

- أعتقد أنك ستذهب دوني يا أستاذ؟

فرفع ولش رأسه وبان وجهه الصغير وعليه أمارات الدهشة:

- أذهب؟ إنك...

مكتبة

فصرخ دكسن:

- «إنك ستأخذني إلى البيت لشرب الشاي. لقد اتفقنا على ذلك

يوم الاثنين في أثناء تناول القهوة في حجرة الاستراحة». وهنا لمح وجهه في المرأة المعلقة على الجدار، ودهش لأن أمارات الصداقة والود كانت ترتسم عليه.

كان ولش ينقل الماء في يديه، وبدا الآن كأنه وحش يرى أمامه

خدعة بسيطة وقال:

- في أثناء تناول القهوة؟

فأجاب دكسن وهو يضع كلتا يديه في جيبيه:

- نعم، يوم الاثنين.

فقال ولش وهو ينظر إلى دكسن:

- أوه! هل قلنا عصر هذا اليوم؟

ثم تنحى جانباً وأخذ يجفّف يديه بالمنشفة بينما ظلّت عيناه تراقبان

دكسن بحذر.

- نعم يا أستاذ، أرجو أن يكون الوقت لا يزال ملائماً.

فأجاب ولش بصوت هادئ على غير عادته:

- أوه، إنه لا يزال ملائماً جداً.

فقال دكسن:

- حسناً، إنني أتطلع إلى ذلك.

ثم تناول معطفه القديم القدر الذي كان معلقاً على المشجب المثبت في الحائط.

كان سلوك ولش لا يزال غامضاً إلى حد ما، إلا أنه بدا وكأنه قد أخذ يعود إلى وعيه السوي بسرعة، واستطاع أن يلتقط حقيقته ويرتدي قبعته وقال:

- سنذهب بسيارتي.

- ذلك لطيف.

بعد أن خرجا من المبنى، أتجها إلى طريق مفروش بالحصى، فوصلا المكان الذي كانت تقف فيه السيارة مع عدد آخر من السيارات. نظر دكسن حوله، بينما أخذ ولش يفتش عن مفاتيحه. كان الحشيش الأخضر يمتد على نحو مهمل أمامهما باتجاه السياج المهدم الذي كان يمتد وراءه طريق الكلية ومقبرة المدينة اللتين كانتا موضوعاً لبعض النكات المحلية.

وبينما كان دكسن يراقب، مرّت حافلة أمامهما وهي تصعد التل ببطء تحت أشعة شمس مائس الدافئة متجهة إلى المدينة الصغيرة التي تقطنها أسرة ولش. وراهن دكسن على أن الحافلة ستصل المدينة قبلهما. وفي هذه الأثناء سمع صوتاً مدوياً يردّد إحدى الأغنيات وراء إحدى النوافذ فوق رأسه، وظنّ أن الصوت يشبه صوت باركلي أستاذ الموسيقى.

وبعد دقيقة واحدة كان دكسن يجلس مصغياً إلى صوت يشبه صوت قرع جرس أحد الأبواب، بينما كان ولش نفسه يشغل السيارة. وسرعان ما تلاشى الصوت في خضم طنين آخر بدا كأنه يصدر عن جميع أجزاء السيارة.

حاول ولش ثانية تبيّن مصدر الصوت، غير أن الصوت هذه المرة بدا كأنه صوت قناني الشراب يصطدم بعضها ببعض. وقبل أن يقوم دكسن

بأي شيء سوى إغماض عينيه، وجد نفسه وقد ارتجّ بقوة بالمقعد، بينما سقطت سيجارته المشتعلة من يده على أرضية السيارة. ثم اندفعت السيارة إلى الأمام وهي تحدث فرقة على الحصى، واتّجهت إلى حافة الحشيش الذي اضطر ولش إلى السير عليه قبل أن يعود ثانية إلى الطريق. واصلاً سيرهما بسرعة قليلة جداً، وكانت السيارة ترسل دويّاً عالياً جعل مجموعة من الطلاب يرتدي معظمها وشاح الكلية بلونيه الأخضر والأصفر، تحدّق إليهما من الفسحة الصغيرة المقفلة الكائنة قرب السكن حيث كانت علامات الرياضة مثبتة.

صعدا طريق الكلية، واتّجها نحو الطريق العام وأخذا يسيران في وسطه تماماً. وفي هذه الأثناء كانت إحدى الشاحنات تسير وراءهما وتطلق بوقها دون جدوى، ما جعل دكسن يختلس النظر إلى ولش الذي بدا هادئاً تماماً. أغمض دكسن عينيه آملاً أن يتحوّل الحديث بينهما من الأمور الأكاديمية إلى أمور أخرى عندما يزيد ولش سرعته بعد قليل، بل إنه كان يأمل سماع بعض القضايا التي تخصّ الموسيقى، أو بعض شجون ولدي ولش وهما الكاتب المهتم بالمواضيع النسوية ميشيل والرسام المسالم برتراند صاحب اللحية الذي وصفته له مارغريت. ولكن مهما كان موضوع الحديث، فإن دكسن أدرك أنه ما إن تنتهي الرحلة حتى يكون وجهه قد تغصّن وترهّل مثل حقيبة قديمة وأنه سيعاني الاضطرار إلى الابتسام وإظهار الاهتمام والتحدث بكلمات قليلة مسموح بها.

- أوه... آه... يا دكسن...

فتح دكسن عينيه وهو يبذل قصارى جهده للتعبير عن مشاعره الكظيمة وإخفاء التعابير التي تظهر على نصف وجهه البعيد عن ولش حتى يهدئ مشاعره أولاً:

- نعم يا أستاذ!

- كنت أسأل عن مقالتك.

- أوه... نعم. إنني لا...

- هل أخبرك بارتنغتن بشيء؟

- نعم، لقد أرسلتها إليه أولاً إذا كنت تتذكر، ولكنه أخبرني بأنه

مشغول بمواد أخرى...

- ماذا؟

وهنا كان دكسن قد خفض صوته إلى أقل من المستوى المطلوب

لسماعه في السيارة محاولاً أن يخفي عن ولس أمر نسيانه، لكي يحمي

نفسه. أما الآن فأصبح مضطراً إلى الزعيق:

- وأخبرتكم بأن لا وقت لديه.

- أوه، ألم يستطع؟ ألم يستطع؟ حسناً، لا يهم. في الواقع كمية

كبيرة من المواد ترسل إليهم، ولكن على الرغم من ذلك أعتقد أنه إذا

أثار اهتمامهم أي شيء آخر فإنهم... إنهم... إنهم... هل أرسلتها إلى أي

شخص آخر؟

- نعم إلى كيتن، الرجل الذي نشر الإعلان في ملحق التايمز الأدبي

قبل شهر ويزمع إصدار مجلة تاريخية جديدة ذات نزعة عالمية أو شيء من

هذا القبيل. وفكرت في أنني سأحصل على حيز بسرعة. على أي حال، إن

مجلة جديدة لا يمكن أن تسد أبوابها كما فعلت المجلات التي...

- أوه، نعم، إن مجلة جديدة تستحق عناية المحاولة. هناك إعلان عن

إحداها نشر في ملحق التايمز الأدبي قبل وقت قصير. وكان اسم المحرر

باتون أو شيء من هذا القبيل. في وسعك أن تتصل به بعد أن تبين الآن أن

أياً من المجلات العريقة لا تستطيع أن تفسح مجال النشر لك فيها. لنبدأ

الآن، ما هو عنوان الموضوع؟

نظر دكسن من النافذة إلى الحقول التي كانت تمرّ سريعاً أمام عينيه.

كان لونها أخضر بعد أن ابتلت بأمطار نيسان، ولم يكن تأثير الكشف المزدوج للحدث الذي تمّ في نصف الدقيقة الماضية بينهما هو الذي صعقه، لأن مثل هذه الحوادث تمثل المادة الرئيسة في أحاديث ولش، بل فكرة ذكر عنوان المقال الذي كتبه. كان عنواناً نموذجياً من حيث إنه يلخص التهور التافه للمقال وعرضه الجنازتي للحقائق التي تبعث على الشاؤب، والضوء الكاذب الذي يلقيه على المشاكل الوهمية. لقد قرأ دكسن أو بدأ بقراءة عشرات المقالات التي تشبهه، بيد أن مقاله كان يبدو أسوأ من أي مقال آخر في إقناعه بجذواه وأهميته.

يبدأ المقال بالجملة الآتية:

«لدى تأمل مثل هذا الموضوع المهمل على نحو غريب» ما هو الموضوع المهمل الغريب؟... أي موضوع... هذا الغريب المهمل؟... ماذا؟ إن تفكيره في هذا كله دون أن يلوّث ويحرق النسخة المكتوبة بالآلة الكاتبة، جعله يبدو أحمق ومنافقاً، وقدّ ولش في محاولة تذكّر زائفة:

- أوه... نعم (الأثر الاقتصادي لتطور أساليب صناعة السفن 1450 - 1485) ذلك هو العنوان على أي حال.

ولما عجز عن إكمال جملته، نظر إلى يساره مرة أخرى ليجد وجه الرجل يحدّق إليه على مسافة تسع بوصات لا أكثر. كان الوجه الذي بدا عليه القلق وهو يحدّق، هو وجه سائق السيارة الذي اختاره ولش ليعبر به منعطفاً حاداً يقع بين سورين صخريين. ولاحقاً في هذه اللحظة حافلة كبيرة تتهدى عند منعطف الطريق فخفض ولش سرعة سيارته قليلاً لكي يضمن بقاءهما وراء السيارة عندما تقترب الحافلة منهما وقال بحزم:

- «حسناً، أعتقد أنه يفني بالغرض». قبل أن يتمكن دكسن من تكوير نفسه ونزع نظارته، كانت السيارة الأخرى قد استخدمت الكابح للتوقف ثم اختفت. أما سائق الشاحنة فكان يفتح فمه ويغلقه بقوة حتى ارتطمت

الشاحنة بالجدار البعيد محدثة صوتاً قوياً اندفعت بعده إلى الأمام. وعلى الرغم من سعادة دكسن بهذه النتيجة، شعر في الوقت نفسه بأن الحديث لا يمكن أن يتوقف إلا بموت ولش، وشعر بهذا أكثر عندما أضاف ولش قائلاً:

- لو كنت مكانك يا دكسن لاتخذت جميع الخطوات الممكنة لجعل هذا المقال مقبولاً في غضون الشهر القادم. أقصد أنني لا أملك المعلومات الخاصة بالموضوع لكي أحكم عليه... لا أستطيع... هل أستطيع؟ ما هي قيمته؟ لا فائدة من أن يأتي أي شخص ما ليسألني ماذا يشبه موضوع دكسن الشاب ما لم أقدم فكرة خبير بقيمته الحقيقية، أليس كذلك؟ غير أن قبول مجلة ثقافية من شأنه أن يعني... من شأنه... أنت... حسناً، أنت شخصياً لا تعرف قيمته. وكيف تستطيع معرفة ذلك؟

على العكس من ذلك شعر دكسن أن لديه فكرة جيدة عن فائدة المقال من وجهات نظر متعددة، فمن ناحية يمكن التعبير عن الفائدة بكلمة قصيرة داخل قوسين هي «بذاءة». ومن ناحية أخرى أنها تعكس الضجر المتطرف للباحث عن الحقائق الموجودة فيها. ومن ناحية أخرى أيضاً تعكس الهدف الذي كتبت من أجله وهو إزالة الانطباع السيئ الذي خلفه حتى الآن في الكلية والقسم الذي يعمل فيه، لكنه قال: كلا، كلا يا أستاذ.

- «أنت تعلم يا فوكنر أنه من المهم بالنسبة إليك أن يكون الموضوع مهماً، هذا إذا عرفت ماذا أقصد». على الرغم من أن الحديث الموجه إلى دكسن كان خاطئاً، لأن فوكنر كان الأستاذ الذي أخذ دكسن موقعه. فلقد أدرك الأخير قصد ولش وكلامه، وكيف ترك انطباعه السيئ. وفكر في أن أكثر الأمور احتمالاً هو أنه تسبب في إحداث جرح طفيف لأستاذ الإنكليزية في أسبوعه الأول. كان هذا الرجل وهو زميل سابق في كلية كيمبرج يقف على السلالم الأمامية عندما ركل دكسن وهو قادم من

منعطف المكتبة حجارة صغيرة مستديرة الشكل كانت مرمية على الطريق المرصوف بالحصى. وقبل أن تصل نهاية مسارها، أصابت الآخر في عظم ركبته اليسرى على مسافة خمس عشرة ياردة أو أكثر. التفت دكسن وأخذ يراقب بدهشة يشوبها الرعب، فقد كان من العبث الذي لا طائل من ورائه الهرب ما دام أن أقرب مكان للاختباء كان بعيداً. وفي لحظة ارتطام الحجارة كان قد التفت وأخذ يسير في الطريق الخاص، غير أنه كان يعلم أنه المخلوق الوحيد في ذلك الوقت الذي في استطاعته رمي الحجارة. التفت ثانية إلى الورا فرأى أستاذ الإنكليزية على ساق واحدة وينظر إليه، وكما اعتاد في مثل هذه المناسبات أن يفعل أراد الاعتذار، إلا أنه وجد أنه لا يملك الشجاعة الكافية لتنفيذ ذلك. وحصل الأمر نفسه عندما كان يمر بعد يومين من تلك الحادثة وراء كرسي المسجل في أول اجتماع تعقده الكلية، إذ تعثر ودفع الكرسي جانباً في الوقت نفسه الذي كان فيه الرجل يوشك على الجلوس. ولم يمنع حدوث الكارثة إلا صرخة تحذير من كاتب التسجيل، إلا أنه يستطيع تذكّر النظرات التي بدت على وجه ذلك الشخص.

ثم هناك موضوع الرسالة التي كتبها إلى ولش أحد طلاب الشرف وكانت تتضمن، بل تتكوّن في الواقع من كلام بذيء في نقد أحد الكتب عن الحظائر المسيجة كتبه أحد طلاب ولش السابقين. «سألته عن الشخص المحتمل الذي ملأ رأسه بمثل هذه الموضوعات، وأجاب أنها مأخوذة كلها من إحدى محاضراتك يا دكسن. حسناً، لقد أخبرته بطريقة دبلوماسية بقدر ما أستطيع أن...» وبعد مرور وقت طويل على ذلك، اكتشفت دكسن أن الكتاب المقصود كتب بناء على اقتراح من ولش وكان جزء منه خاضعاً لمشورته. كانت هذه الحقائق معروفة عند الجميع لأنها كانت مدوّنة في الصفحة الخاصة بالشكر والتقدير، إلا أن دكسن الذي تتمثل فلسفته بقراءة

أقل كمية ممكنة من أي كتاب، لم يكلف نفسه عناء هذه الأمور، وكانت مارغريت هي التي أخبرته بذلك صباح اليوم الذي حاولت فيه الانتحار باستخدام الحبوب المنومة.

وعندما قال ولش وهو يكاد يصرخ:

- أوه، بالمناسبة يا دكسن.

التفت دكسن وقال بشره حقيقي:

- نعم يا أستاذ؟

كم سيكون أفضل تقبل ما يستطيع ولش توفيره بدلاً من مجرد التفكير في ما ستوفره مارغريت أي السلع التي سيقوم على أي حال باختبارها بشكلها الحقيقي.

- كنت أسأل إن كان في مستطاعك زيارتنا الأسبوع القادم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. أعتقد أننا سنلهو جيداً. سوف يزورنا بعض الأصدقاء من لندن... أصدقائي وأصدقاء ولدي برتراند، سيحاول برتراند المجيء بنفسه، إلا أنه غير متأكد حتى الآن إن كان ذلك في مستطاعه. كما أعتقد أننا سنقوم ببعض الفعاليات الصغيرة كعزف الموسيقى على سبيل المثال. وربما سنطلب منك مساعدتنا في تأدية بعض هذه الفعاليات.

كانت السيارة تصدر صوتاً مزعجاً على امتداد الطريق، عندما قال دكسن وهو يفكر في أن يجعل مارغريت تقوم ببعض الأعمال الذكية بخصوص الأشياء التي ربما يطلب منه المساعدة في إنجازها:

- شكراً جزيلاً. إنني أرغب في المجيء.

هنا بدا على ولش السرور لهذا القبول المفاجئ، وقال بانفعال

ظاهر:

- ذلك لطيف. والآن أرغب في التحدث إليك عن قضية جامعية. كنت أتحدث إلى عميد الكلية عن أسبوع الكلية المفتوح في نهاية

الفصل. وأراد أن يقوم قسم التاريخ بشيء ما ففكرت فيك.
- أوه، حقاً؟ من المؤكد أن هناك أشخاصاً آخرين أفضل للمشاركة.
- نعم فكرت في أن تنظر في المحاضرة المسائية التي ينوي القسم
تقديمها إذا كان ذلك في استطاعتك.

فقال دكسن:

- حسناً، إنني أفضل تقديم محاضرة عامة إذا كنت تعتقد أن ذلك في
استطاعتي.

- فكرت في أن عنواناً مثل «إنكلترا السعيدة» يصلح موضوعاً، فهو
ليس بأكاديمي بحت، كما أنه ليس... ليس... هل تعتقد أن في وسعك
الحصول على معلومات عن هذا الموضوع؟

* * *

- ثم توقفت عن إبداء الاهتمام قبل أن أصل إلى القاع. كنت أتشبّث بالزجاجة الفارغة كأنني أتشبّث بالحياة بطريقة ما. إلا أنني لم أعد أعترض على الذهاب. شعرت بالتعب الشديد نوعاً ما. لو أن أحداً هزّني وقال: «هيا إنك لن تذهبي، بل ستعودين» فإنني أعتقد حقاً أنه كان ينبغي عليّ المحاولة، محاولة الرجوع. لكن أحداً ما لم يفعل ذلك، وفكّرت في أن الأمر كله لا يستحق ذلك العناء على أي حال. شعور غريب.

قالت ذلك مارغريت بيل وهي امرأة نحيفة الجسم وتضع النظارة على عينيها وكثيراً من مساحيق التجميل. ثم نظرت إلى دكسن وهي تبتسم نصف ابتسامة، أما حولهما فكان عدة أشخاص يتجادبون أطراف الحديث.

فقال دكسن:

- إنها لبادرة خير أن تستطيعي الحديث عن ذلك بهذه الطريقة. ولما وجد أنها لم تقل شيئاً استأنف كلامه قائلاً: ماذا حدث بعد ذلك؟ هل تتذكرين؟ لا تقولي لي إنك لا تريدين التذكر.

- «كلا، إنني لا أمانع في إخبارك إن لم يثر الموضوع سأملك». قالت ذلك وانفجرت أساريرها عن ابتسامة عريضة وأضافت:

- ولكن، ألم يخبرك ولسن كيف عثر عليّ؟

- ولسن؟ ذلك الرجل الموجود في الغرفة الكائنة في الطابق الأسفل؟ نعم لقد أخبرني عن سماعه صوت جهاز الراديو الذي تملكينه وكان مرتفعاً جداً فجاء إليّ يشكو من ذلك. ما الذي جعلك تتركينه على تلك الحالة؟

قال ذلك بينما أخذ الشعور الذي انتابه لدى سماع الجزء الأول من قصة مارغريت في التلاشي، وأخذ يفكر على نحو واضح.

نظرت مارغريت إلى المشرب الذي كان نصفه فارغاً تقريباً وقالت:
- إنني لا أدري في الواقع يا جيمز، أعتقد أنني كنت أفكر في أن أترك صوتاً ما في أثناء... خروجي، فقد كان الصمت يثير الرعب في تلك الغرفة.

بعد أن انتهت من جملتها انتابها قشعريرة وقالت بسرعة:

- أعتقد أن المكان بارد قليلاً أليس كذلك؟

- سنذهب إلى مكان آخر إذا أردت.

- كلا، إنه لطيف. أعتقد أن تياراً صغيراً من الهواء نفذ حين دخل ذلك الشاب. أوه، حسناً، في وقت لاحق... أعتقد أنني أدركت بسرعة كل ما كان يجري وأين كنت وغير ذلك. ماذا كانوا يفعلون بي؟ فكرت... أوه يا إلهي! مرّت ساعات وساعات وأنا أحس أنني مريضة وبائسة، أستطيع تحمّل ذلك؟ لكنني كنت في الواقع مصابة بالإغماء طوال الوقت. ثم كنت أفيق ويغمى عليّ ثانية. وأخيراً، وهذا شيء حسن حقاً، جاء الوقت الذي أصبحت فيه ساكنة تماماً، فإن الأسوأ كان قد انتهى بقدر ما يتعلق الأمر بالإحساس بالفضاعة. كنت ضعيفة جداً بلا شك، حسناً، إنك تتذكر ذلك. لكن كل واحد كان لطيفاً معي. كان يجب أن أفكر في أن لديهم عدداً كبيراً جداً من المرضى الذين لا دخل لهم في مرضهم كي يهتموا بهم. أتذكر أنني أصبت بالهلع لاعتقادي بأنهم سيخبرون الشرطة وسينقلونني إلى مستشفى الشرطة. هل هناك أشياء كهذه يا جيمز؟ إلا أنهم كانوا كالملائكة، لم يكن في وسعهم أن يكونوا لطيفين أكثر من ذلك. ثم أتيت لزيارتي وأخذ كل شيء يبدو غير حقيقي. لكنك كنت تبدو فظيلاً جداً...
وعند هذه النقطة من الحديث مالت جانباً وهي تجلس على الكرسي

وأخذت تضحك، كانت يداها تطبقان على إحدى ركبتيها، حذاؤها
المخملية قد تدلّى ليكشف عن كاحلها وأضافت:

- كنت تبدو كأنك تراقب عملية مرعبة غريبة، وجهك كان شاحباً
وكانت عينك غائرتين...

هزّت رأسها وهي لا تزال تضحك بهدوء وجذبت سترتها الصوفية
إلى فوق كتفي الرداء الصوفي الأخضر.

وسأل دكسن:

- حقاً؟

ارتاح لتلك الملاحظة حيث وجد أنه كان يبدو متوعكاً بالدرجة
نفسها التي بدا فيها ذلك الصباح. ثم شعر بالتوعك الآن عندما شجع نفسه
وطرح ذلك السؤال الاضطراري الأخير.

لقد أصغى جزئياً لدقيقة تقريباً حين شرحت مارغريت كم كانت
السيدة ولش لطيفة عندما جلبتها من المستشفى إلى بيت آل ولش لتقضي
فترة النقاهة. كانت بلا ريب لطيفة مع مارغريت على الرغم من أنها كانت
في أوقات أخرى تبدو عكس ذلك وبخاصة عندما تختلف مع زوجها،
الإنسان الوحيد الذي يجعل دكسن يستجيب له. ومما كان يبعث القلق
في نفسها أن تسمع عن مدى عطفها، وقد نجم عن ذلك إضافة بعض
المواصفات المرهقة على كرها إياها. وأخيراً قال دكسن بصوت منخفض
بعد أن شرب بشراهة من قدحه:

- لا داعي للحديث إن لم ترغب في فيه. لكنك تجاوزت تلك المرحلة
الآن أليس كذلك؟ أعني أنك لا تفكرين في إقامة علاقة به ثانية.

نظرت إلى الأعلى بسرعة كأنها تتوقع أن يطلب إليها ذلك، إلا أنه
لم يستطع أن يتبين إذا ما كانت سعيدة أو قلقة عندما حضرت. ثم التفت
وأصبح في وسعه أن يرى الطبقة اللحمية الرقيقة التي تكسو عظام فكها.

وقالت:

- كلا، لن أحاول ثانية، إنني لم أعد أهتمّ به أبداً، كما أنني لا أشعر بأي شيء تجاهه، وكثيراً ما أعتقد أنه من السخف قيامي بمحاولة ذلك.

وهنا أحسّ دكسن أن هواجسه بشأن تلك الليلة لم تكن في محلها

وقال بحماسة:

- حسناً، هل حاول الاتصال بك أو أي شيء من هذا القبيل؟

- كلا بتاتاً، ولم يقم حتى بمكالمة هاتفية. لقد اختفى دون ترك أي

أثر وكأنه لم يكن موجوداً قط في حياتي. أعتقد أنه مشغول جداً هذه الأيام مع صديقه كما قال فعلاً.

- أوه، هل قال ذلك؟

- آه، نعم إن السيد قال: «سأخذها إلى شمالي ولز مدة أسبوعين،

وفكّرت أنه من المستحسن أن أخبرك بالموضوع». أوه، لقد كان صريحاً جداً بشأن الموضوع يا جيمز كان ساحراً في كل شيء.

مرة أخرى التفتت مارغريت جانباً، فبرزت أوردة رقبتها والعظام

الكائنة تحتها، فشعر دكسن بشيء من الهلع، وقد ازداد هلعه عندما اكتشف

أنه لا يستطيع أن يفكر في أي شيء يقوله، فأخذ يمعن النظر في وجهها

وكانه يبحث عن نص من النصوص، ولاحظ خصلة من الشعر البني تغطي

ذلك الجزء من النظارة الذي يرتكز على أذنيها. وكان الجرح الطفيف يمتد

من خدها ويقترّب من محجر العين، أم تراه يتخيّل ذلك يا ترى؟ بحث

عن سجائره ولكنه قبل أن يتمكن من الاستفادة من العرض المتوفّر أمامه

وسيلة لاقتحام وضعها، التفتت إليه مرة أخرى وهي تبتسم ابتسامة أدرك

أنها ابتسامة شجاعة، أفرغت ما في قدحها في جوفها بحركة رشيقة تنمّ عن

البهجة وقالت:

- شراباً. اطلب لي شراباً فما زلنا في بداية الليل. وبينما عمل دكسن

على إثارة اهتمام فتاة المشرب للحصول على الشراب، فكّر أيضاً في السبب الذي يجعل مارغريت نادراً ما تتطوّع لشراء الشراب مع أنها تتسلّم راتباً كاملاً بوصفها محاضرة ولا يتأثر دخلها في أثناء غيابها عن العمل. وأخيراً فكّر في ذلك الصباح الذي سبق تناول مارغريت جرعة الحبوب المنومة، لم يكن لديه ما يفعله في الكلية في ذلك اليوم قبل موعد الندوة التي ستستغرق ساعتين عصراً. وكانت مارغريت قد أنهت دروسها في الساعة العاشرة، وبعد تناول القهوة التي كلفت سبعة بنسات لكل قدح في المطعم الذي افتتح حديثاً، ذهباً معاً إلى الصيدلية حيث أرادت شراء بعض الحوائج، وكان أحد المشتريات زجاجة داخل غلاف أبيض اللون أودعته بعد ذلك في حقيبتها ثم رفعت رأسها وقالت:

- إذا لم يكن لديك أي شيء تفعله هذه الليلة، فإنني سأهين الشراب في حوالى الساعة العاشرة، ما رأيك لو زرتني ساعة واحدة؟

وتذكّر أنه قال لها إنه سيحاول زيارتها، ولكنه إذا فشل في كتابة محاضرة اليوم التالي في الوقت المناسب، فإنه يدرك أن كاجبول سيدعو إلى عقد مؤتمر آخر في الساعة العاشرة. وفي وقت مبكر من مساء ذلك اليوم زارها كاجبول ليخبرها بأنه قد أنهى كل علاقة له بها، حوالى الساعة العاشرة كانت قد تناولت كل ما في زجاجة الحبوب المنومة، وفكّر دكسن ألف مرة في أنه لو كان موجوداً في ذلك الوقت، لكان قد تمكّن من منعها أو على الأقل من نقلها إلى المستشفى قبل ساعة ونصف من قيام ولسن بذلك. وحاول أن يبعد عن ذهنه صورة ما كان سيحدث لو لم يكلف ولسن نفسه عناء الذهاب إلى غرفة مارغريت. والواقع أن ما حدث أسوأ بكثير مما كان يتوقعه في ذلك الصباح. ففي المرة التالية التي رآها فيها كانت ترقد في المستشفى بعد مرور أسبوع على الحادثة.

بعد أن وضع دكسن البنسات الثمانية الباقية في جيبه، دفع إحدى

الكأسين إلى مارغريت. كانا يجلسان في المشرب في أحد الفنادق الواقعة في طريق جانبي على مقربة من بيت ولش، وشعر دكسن وهو جالس في مكانه أنه يستطيع أن يسترّد بعضاً من ثمن المشروبات المرتفع بتناول رقائق البطاطا والخيار المخلل والكوكتيل الفاخر التي تؤمنها الإدارة الطموحة، فبدأ يأكل أكبر قطعة باقية من الخيار المخلل وفكّر كم هو محظوظ لأن الكثير مما دار في حديث المساء لم يخصّه مباشرة. ولم تذكر مارغريت شيئاً قط عن عدم ظهوره مؤخراً في بيت أسرة ولش، كما لم يسأله أحد بتاتاً عن أي شيء.

وقالت مارغريت وهي تمسك بالقدح:

- بالمناسبة يا جيمز، أودّ أن أعبر عن عظيم امتناني لأحاسيسك في الأسبوعين الماضيين، كم أنت طيب!

وهنا تنبّهت ملكات دكسن جميعها. إن المشاكل المحيرة التي تبدو غير ضارة أو حتى مثيرة للبهجة، هي أكثر علامات الهجوم المتوقع مدعاة للثقة. فقال بلهجة طبيعية:

- لم أكن أعرف أن لديّ كل تلك الأحاسيس.

- أو أن طريقة اختفائك وراء الكواليس وحدها تكفي. لقد كنت الإنسان الوحيد الذي تكبّد عناء التفكير في ذلك، لأنني قد أفضل عدم تلقّي الاستفسارات الرقيقة من مثل: وكيف تشعرين يا عزيزتي بعد تلك التجربة المؤلمة؟... إلخ. أتعلم أن ناساً من القرية لم يسمعوا بي من قبل زاروا أمي العجوز للاستفسار عن صحتي؟ أمر لا يصدّق.

أنت تعرف يا جيمز أنه لم يكن في ميسورهم أن يكونوا رقيقين أكثر من ذلك، غير أنني سأكون سعيدة جداً لو تمكّنت من الهرب من ذلك المكان.

بدا حديثها خالياً من التكلف والرياء، لقد عرف عنها أنها كانت تفسّر

أكثر أفعاله المؤذية أو الفاترة أو حتى سلبياته بحسب هذا التصور على الرغم من أن ذلك لم يكن يحصل دائماً، وربما كان في وسعه الآن أن يوجه دفة الحديث إلى وجهة أخرى فقال:

- ذكر نيدي أنك تفكرين في العودة إلى العمل قريباً. في الواقع، لقد اقترب موعد الامتحانات. فهل تفعلين أي شيء في الكلية قبل ذلك الموعد؟

- سألتقي كل صف من صفوفي مرة واحدة للإجابة عن أي استفسارات قد تشغل بال طلابي، فإذا لم يشحذ أدمغتهم الجهد الذي يبذلونه في التفكير في الأسئلة، فلا فائدة ترجى، غير أنني لن أفعل أي شيء آخر هذه السنة عدا تصحيح أجوبتهم. إن ما سيعيدني إلى حالتي الطبيعية، هو الابتعاد عن أمثال نيدي. ربما كان في ذلك شيء من نكران الجميل.

قالت ذلك ثم وضعت ساقاً فوق أخرى بانفعال.

- ما هي الفترة التي تفكرين في قضائها هناك؟

- أوه، ليس لأكثر من أسبوعين كما أعتقد، إنني أريد الخروج قبل بدء العطلة الصيفية على أي حال. ذلك يعتمد على السرعة التي سأجد فيها مكاناً لي أعيش فيه.

فقال دكسن ومعنوياته آخذة في الارتفاع حيث أخذت الفرصة في إظهار المزيد من النزاهة تقترب.

- حسناً، إذاً ستكونين هناك في عطلة نهاية الأسبوع القادم.

- ماذا؟ لحضور حفلة نيدي؟ نعم. فعلاً لماذا؟ أنت لا تعني أنك

قادم أليس كذلك؟

- نعم، ذلك ما أعنيه تماماً لقد خطر لي السؤال ونحن في السيارة،

لماذا؟ ما الغريب في الأمر؟

كانت مارغريت تضحك بالطريقة التي أطلق عليها دكسن اسم رنين الأجراس الفضية الصغيرة، وفكر في بعض الأحيان أن مجمل تصرفاتها مستمد من ترجمة مثل هذه التعابير إلى أفعال، لكن قبل أن يشعر بالغضب من نفسه أو منها وجدها تقول:

- أنت تعلم سبب وجودك هنا، أليس كذلك؟

- حسناً، لتجاذب أطراف الحديث على ما أعتقد، إنني أستطيع تدبير

أي شيء. ماذا لديكم إذا؟

أشارت مارغريت إلى المواد بأصابعها وقالت وهي تضحك:

- أغنية مشتركة، قراءة مسرحية، عرض راقص بالسيوف، التسميع،

حفلة موسيقى الصالة، هناك شيء آخر لكنني نسيت ما هو سأذكره بعد

دقيقة واحدة...

- انسي الموضوع، فذلك يكفي. يا إلهي! هذا الأمر جاد. لا بد أن

نيدي سيصاب أخيراً بالجنون. عظيم تماماً لن يأتي أحداً أبداً.

- «أخشى أن تكون مخطئاً، لقد دعونا شاباً من البرنامج الثالث إلى

المجيء أيضاً، وفريقاً أيضاً من المصورين عن صحيفة «بكچر بوست»

إضافة إلى أبرز الموسيقيين المحليين بمن فيهم صديقك جونز و...» وهنا

صرخ دكسن صرخة مكتومة وقال: «غير صحيح».

ثم احتسى قدحه وهو يكاد يختنق وأضاف:

- بلا فنطازيات أرجوك، لا يمكن وضع هذه المجموعة كلها في

البيت، هل ينامون على حشيش الحديدية؟ ثم ماذا...

- سيأتي معظمهم لقضاء يوم الأحد ليس إلا، كما قالت السيدة نيدي

أنه سيكون هناك بعض الضيوف الذين سيقضون ليلتهم معنا فضلاً عنك،

إذ سيصل السيد جونز مساء يوم الجمعة وربما سيأتي معك...

- سأخفقه قبل أن...

- نعم، نعم، فعلاً. لا تصرخ سيأتي أحد الأولاد أيضاً بصحبة صديقته ربما ستكون الفتاة لطيفة، أعتقد أنها طالبة تدرس الباليه.
- طالبة تدرس الباليه؟ لم أعرف أن هناك مثل هذه الأشياء.
- بل هناك فعلاً على ما يبدو وهذه الفتاة تدعى سونيا لوزمور.
- لا، حقاً؟ كيف عرفت هذا كله؟
- لم أسمع أي شيء سوى هذا من عائلة نيدي طوال الأسبوع الماضي.

- في وسعي أن أتخيل ذلك.

وهنا أخذ دكسن ينظر إلى فتاة المشرب وأضاف:

- إذاً في وسعك أن تخبريني عن السبب الذي دعيت من أجله.
- إنهم غير واضحين في هذا الأمر، ربما للمشاركة كما أعتقد. هناك أشياء كثيرة تستطيع أن تفعلها وأنا لا أشك في ذلك أبداً.
- انظري مارغريت أنت تعلمين، كما أعلم أنا، أنني لا أستطيع الغناء ولا أستطيع التمثيل. إنني بصعوبة بالغة أستطيع القراءة، والحمد لله، إنني لا أستطيع قراءة النوتة الموسيقية، إنه يريد اختبار ردود فعلي إزاء الثقافة، ولكي يرى إذا ما كنت إنساناً صالحاً للتدريس في الجامعة، هل تفهمين؟ إن شخصاً لا يستطيع تمييز آلة الفلوت من جهاز التسجيل، لا يستحق أن يستمع إليه الآخرون.

ثم وضع سبغ قطع أو ثماني من البصل في فمه وبدأ يقضمها.

- لكنه قدّمك للمجتمع المثقف قبل الآن فعلاً؟

- ليس لمثل هذا الحشد، يا إلهي! ماذا يعتقد أنه يقصد بهذا؟

في أي شيء سيساعده ذلك؟ أعني أن الأمر برمته لا يمكن أن يكون

لمصلحتي.

- لديه فكرة مقال أو حديث إذاعي عن المجموعة الثقافية المحلية.

أنت تعلم بالمواد التي أتى محملاً بها من مانشستر في عيد الفصح.
- لكن من غير الممكن أن يعتقد أن شخصاً ما سيأخذ ذلك على عاتقه، أليس كذلك؟

- من يدري ماذا يدور في ذهنه. أنت تعلم مدى هيامه بمثل هذه الأمور.

فقال دكسن وهو يحاول أن يبتّه فتاة المشرب له:

- يتعين عليك البدء بالبحث عن الأشياء التي خبأها لي لكي أستطيع التفكير في الأسباب التي ستمنعني من تنفيذها.

وضعت مارغريت يدها فوق يده وقال بصوت رقيق:

- في وسعك الاعتماد عليّ.

فقال دكسن بسرعة:

- ولكن كيف استطاع أن يدعو الناس من هيئة الإذاعة البريطانية وصحيفة «بكچر بوست»؟ لا بد أنه وجد هناك من يهتم بالأمر.

- أعتقد أن برتراند هو الذي دبّر أمر هؤلاء الناس، أو ربما صديقه هي التي فعلت ذلك. لكن دعنا ننتهي من ذلك، أليس في وسعنا الحديث عن أنفسنا؟ لدينا أشياء كثيرة يقولها أحدنا للآخر، أليس كذلك؟

فأجاب دكسن وهو يحاول أن يبدو ودوداً:

- نعم، فعلاً.

أخرج دكسن علبة سجائره، وبينما كان يشعل اثنتين منها ويطلب المزيد من الشراب فكّر في قدرة مارغريت على التحدث بهذا الشكل دون سابق إنذار. أراد أن يصرخ صرخة تعجز عن التعبير عما يريد، والهرب من المشرب دون توقف حتى يستقلّ الحافلة المؤدّية إلى المدينة. وعلى الرغم من صمت مارغريت، فقد لاحظ بسبب ضيق المكان وقرب فتاة المشرب أن مارغريت كانت قادرة على زيادة الضغط بنظراتها الأليفة، بل

حتى بمسّ ركبته بركبتها. وقد حاول أن ينظر إلى الأعلى باتجاه الساعة
المعلقة فوق طاولة المشرب، كان عقرب الثواني الدقيق يتحرّك بخفة مما
يوهم أن الوقت يمضي سريعاً، أما العقربان الآخران فقد كانا يشيران إلى
الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة.

وعندما كان دكسن يتسلّم بقية النقود الصغيرة، أخذ يمعن النظر في
فتاة المشرب وكانت شابة ضخمة الجثة سمراء اللون، شفتها العليا رقيقة
وعيناها صغيرتان نوعاً ما. وفكّر في مدى إعجابها بها والأمور التي يشعر
أنهما يشتركان فيها وكم ستحبه وستشعر بالأشياء المشتركة بينهما لو كانت
تعرفه. وضع النقود في جيبه ثم التقط علبة سجائر تركها أحد الأشخاص
على طاولة المشرب، إلاّ أنه وجدها فارغة، أما مارغريت فقد أطلقت
حسرة تنمّ عن أسوأ إقرار، فانتظرت حتى نظر إليها وقالت:

- إلى أي حد يبدو أحدنا قريباً من الآخر يا جيمز؟

وهنا حدّق إليها رجل ذو وجه ممتلئ كان يجلس على الطرف الآخر

منها وسألت:

- لقد سقطت الحواجز جميعها أخيراً. أليس كذلك؟

ولما وجد دكسن أنه من الصعب الإجابة عن هذا السؤال، تفرّس
في وجهها وأخذ يهزّ رأسه ببطء وهو يكاد يتوقع أن يصفّق له جمهور غير
مرئي في القاعة.

وأخيراً خفضت عينيها وبدت كأنها تتفحص شرابها وقالت:

- لقد بدا الأمل في ذلك أمراً كبيراً.

وبعد صمت قصير آخر قالت بلهجة قوية:

- «أليس في استطاعتنا الجلوس في مكان آخر بعيداً عن عيون

الناس؟» فقال دكسن إن الفكرة جيدة، ثم انتقلا من مكانهما الذي أخذ
يعجّ بالرواد وتوجّها إلى زاوية فارغة. وقبل أن يتّخذا مكانهما استأذنها

وذهب إلى المرافق الصحية.

وهناك فكّر في الارتياح الذي سيشعر به لو استطاع التخلي عن تمثيل الدور التوفيقى المزدوج الذي يقوم به بوصفه شخصاً يريد استمالتها والخروج من المكان برمته. ومن شأن خمس دقائق أن تكون كافية لإجراء اتصال هاتفى توبيخى بولش وبيان قصير عن الحقائق الخاصة بقضية مارغريت، وبعد ذلك يذهب ليجمع بعض ملابسه ويستقل قطار الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين المتجه إلى لندن. وبينما هو واقف في ذلك المكان المظلم، مرّت في ذهنه مرة أخرى تلك الصورة التي كثيراً ما راودته منذ أن تسلّم وظيفته الحالية. فقد بدا كأنه ينظر من غرفة مظلمة باتجاه شارع جانبي مهجور، ليرى السماء شبه المتوهجة قد غطت مجموعة من المداخل المنتصبة كأنها مصنوعة من القصدير وقد تحركت فيها غيمة صغيرة من جهة اليمين إلى اليسار. لم يكن المشهد مرئياً تماماً لأن شعوراً انتابه بأن صوتاً رقيقاً يصعب تمييزه كان يطبق على أذنيه. ومثلما يتتاب الإنسان الحالم الشعور الذي لا أساس له من الصحة، فقد شعر دكسن أن شخصاً ما سيأتي إلى المكان الذي يقف فيه، شخصاً يعرفه في ذهنه وليس في الواقع. كان على يقين بأن الصورة هي صورة لندن إلاّ أنها ليست صورة أي جزء من لندن قد رآه من قبل. فهو لم يقض أكثر من بضع أماسٍ في حياته في تلك المدينة. وفكّر في السبب الذي يجعل رغبته الاعتيادية في ترك الأقاليم والتوجه إلى لندن تزداد حدة عند هذا المشهد القاتم إلى حدّ ما.

خرج من المرافق الصحية مشغول الفكر دون أن يكلف نفسه عناء غلق الباب الذي كان مثبتاً بجهاز تأخير الغلق الذي يعمل بالهواء المضغوط. ولأن الأسطوانة الخاصة بالجهاز كان قد اقتلعها أحد العابثين، فقد ارتطم الباب بقوة وراءه وكاد أن يلمس كاحله. وكانت نتيجة ذلك أن

دوى صوت قوي يشبه إطلاق المدفعية في ذلك الممر الضيق والقصير، ما جعل صرخات الذعر تنطلق من داخل المشرب، فوجد دكسن أن تلك اللحظة مناسبة تماماً للانطلاق إلى الشارع ومغادرة المكان برمته دون رجعة، بيد أن الضرورات الاقتصادية ونداء الشفقة كانا مزيجاً قوياً يحول دون ذلك، وإذا أضفنا إلى ذلك عامل الخوف، بدا من الصعب عليه الإقدام على ذلك فقفل راجعاً ودخل المشرب من الباب الصقيل اللامع.



- أرجو المعذرة يا سيد دكسن، هل تسمح لنا بدقيقة واحدة من فضلك؟

ما إن سمع دكسن هذه العبارة حتى توقّف واستدار، كان في طريقه لمغادرة الكلية بعد إلقاء إحدى المحاضرات، ولهذا كان مسرعاً في سيره. وقال:

- نعم، سيد ميشي؟
كان ميشي طالباً قضى الخدمة العسكرية أمراً لكتيبة دبابات في أنزيو، بينما كان دكسن في ذلك الوقت نائب عريف في سلاح الجو الملكي غربي أسكتلندا، والتقى الاثنان الآن قرب سكن البواب. كانت تصرفاته تبدو دوماً كأنها تخفي شيئاً ما، على الرغم من أن دكسن لا يدري كنه ذلك تماماً.

انتظر ميشي لحظة ثم قال:

- هل انتهيت من إعداد المفردات يا أستاذ؟
كان ميشي الطالب الوحيد الذي يطلق كلمة أستاذ على أحد أعضاء الهيئة التدريسية، ويبدو أنه كان يحتفظ بإطلاق هذا اللقب على دكسن وحده.

أجاب دكسن وهو يحاول كسب الوقت لأنه لم ينجزها تماماً حتى الآن.

- أوه، نعم المفردات.

تظاهر ميشي بأنه يعتقد أن سؤاله يحتاج إلى إيضاح فأضاف:

- أقصد مفردات المنهج الخاص بك الذي ستدرسه في السنة القادمة

يا أستاذ. لقد ذكرت أنك ستوزع نسخاً منه على طلاب درجة الشرف. هل تتذكر ذلك؟

فقال دكسن:

- نعم، من الغريب أن أتذكر أنني قلت ذلك.

ثم تمالك نفسه، إذ لا ينبغي له إثارة غضب ميشي وأردف قائلاً:

- المفردات موجودة في غرفتي، إلا أنني لم أطبعها، سأحاول أن أزوّدك بها في مطلع الأسبوع القادم إذا كان ذلك مناسباً لك.

فقال ميشي على نحو مقيت لانطوائه على الرياء بينما أخذ شارباه بالالتواء وهو يبتسم:

- ذلك عظيم يا أستاذ!

ثم انطلق في سيره وعيناه لا تفارقان دكسن، وهو يحاول كما يبدو أن يغادرا معاً الكلية. كان ميشي يحمل حقيبة تنتفخ بالكتب التي يزمع قراءتها في عطلة نهاية الأسبوع، ثم أضاف:

- هل أستطيع أن أحضر إلى غرفتك يوماً ما لأخذ مفردات المنهج هذه؟

توقّف دكسن عن محاولة البقاء في مكانه، وسمح لميشي بأن يستدرجه معه إلى الطريق وقال:

- نعم، إذا رغبت.

أخذ دكسن يغلي في أعماقه لأن إعداد المنهج كان أصلاً من بنات أفكار ولش. فعندما يتلقّى الطلاب المرشحون لدرجة الشرف في التاريخ هذه المفردات، يصبح في مستطاعهم الاطلاع على المنهج ومعرفة ما إذا كانوا مهتمين بدراسة هذا الموضوع الجديد، مفضلين إياه على المواضيع القديمة الخاصة التي يدرّسها أساتذة القسم الآخرون وإجراء الاختبار في أحد الموضوعات الثمانية المطلوبة للحصول على شهادة البكالوريوس.

من الواضح أنه كلما ازداد عدد الطلاب الذين يريدون دراسة الموضوع ازدياداً معقولاً، كان ذلك أفضل لدكسن.

وبالدرجة نفسها من الوضوح، إذا ازداد عدد الطلاب المهتمين ازدياداً كبيراً، فذلك يعني أن عدد الطلاب الذين يدرسون موضوع ولش من شأنه أن يقلّ مما يدفع ولش إلى الازدراء.

فالصف الذي يضم تسعة عشر طالباً من طلاب الشرف، في قسم يضم ستة أساتذة، يعدّ ثلاثة طلاب فيه عدداً مقبولاً. وحتى الآن كانت المحاولات التي بذلها دكسن من اجل موضوعه تنحصر في تأمين أجمل ثلاث طالبات في الصف - إحداهن صديقة ميشي - واستبعاد ميشي نفسه. يضاف إلى كراهية دكسن التفكير في العمل، فإن ضرورة إبعاد ميشي كانت أكثر من سبب كاف لتوضيح انزعاجه في الوقت الحاضر. وهنا سأل ميشي وهما يدوران عند أسفل التل باتجاه طريق الكلية:

- هل تسمح لي يا أستاذ بالسؤال عن أفكارك العامة الخاصة بالموضوع؟

كان دكسن لا يسمح في الواقع، إلا أنه قال:

- أعتقد أن التركيز سينصبّ على المسائل الاجتماعية كما تعلم. نطق ذلك وهو يحاول إيقاف نفسه عن التفكير مباشرة في العنوان الرسمي للموضوع وهو الحياة والثقافة في العصور الوسطى ثم أضاف قائلاً:

- فكّرت في أنني قد أبدأ بمناقشة موضوع الجامعة على سبيل المثال ودورها الاجتماعي.

طمأن دكسن نفسه بعد أن قال ذلك مفكراً في أن ذلك لا يعني أي شيء مطلقاً.

- هل أفهم أنك تقترح تقديم تحليل للمدرسة السكولاستية؟ ما إن تفوّه ميشي بذلك، حتى شعر دكسن بضرورة إبقائه بعيداً عن

موضوعه. إن ميشي يملك معلومات كثيرة عن الموضوع، أو هكذا بدا الأمر، وهنا مصدر القلق ويتمثل أحد الأشياء التي يعرفها ميشي أو بدا أنه يعرفها بماهية المدرسة الاتباعية.

لقد قرأ دكسن وسمع، بل استخدم هذه الكلمة عشرات المرات في اليوم الواحد، دون أن يدري ما هي، على الرغم من أنه تظاهر بأنه يدري. غير أنه أدرك بوضوح أنه ليس في وسعه الادعاء بمعرفة هذه الكلمة ومثا أخرى غيرها، بينما ينهال ميشي بالأسئلة عليه ويناقشه ويجادله فيها. كان ميشي - أو هكذا بدا الأمر - قادراً على السخرية منه مرات ومرات دون مقدمات. وعلى الرغم من أنه كان من السهل جداً على دكسن اختيار قضية فنية لإثارة النزاع معه، من مثل عدم تسليم مقالة ما، فإنه آثر عدم القيام بذلك، لأنه شعر أن في وسع ميشي الإصرار على دراسة موضوع الحياة والثقافة في العصور الوسطى رغبة منه في الاستخفاف به والحط من شأنه، لهذا يتعين إبعاد ميشي تماماً بالابتسامة والاعتذار لا بالضربات والرفسات التي يستحقها فعلاً. لهذا قال دكسن:

- أوه، إنني لا أعتقد أن الموضوع غني في هذا الجانب، لأنني لست مؤهلاً لإبداء الرأي في سكوتس أو لأكويني أو هل كان يجب أن يكون أوغسطين؟

- أعتقد أنه من المثير دراسة أثر مختلف أنواع انحطاط المعتقدات الشعبية عند المدرسين وفسادها في الناس.

فقال دكسن بينما بدأت شفتاه بالاهتزاز:

- أوه، إنني أنفق وإياك تماماً. لكن هذا الموضوع يصلح أطروحة دكتوراه في الفلسفة، لا مجموعة محاضرات في منهج ابتدائي، أليس كذلك؟

وهنا عرض ميشي وجهة نظره على نحو مستفيض موضحاً أسباب

قبوله مثل هذه الفكرة أو اعتراضه عليها دون أن يطرح أي سؤال لحسن الحظ. وبعد أن أعرب دكسن عن اعتذاره لقطع مثل هذه المناقشة الممتعة، افترقا عند نهاية طريق الكلية، حيث ذهب ميشي إلى دار الطلبة، بينما توجه دكسن إلى غرفته.

فكّر دكسن في ميشي وهو يحثّ الخطى في الشوارع الفرعية المهجورة في تلك الساعة من النهار قبل أن تغلق المعامل والدوائر أبوابها، هل يطلب منه ولش تقديم موضوع خاص إذا لم يكن راغباً في الاحتفاظ به محاضراً؟ ولو وضعنا اسم أي إنسان آخر بدلاً من ولش فإن الجواب سيكون حتماً: لا. لكن استناداً إلى القراءة الأصلية، فإن أي شيء أكيد لا يبدو محتملاً، فقبل أسبوع واحد لا أكثر، وبعد أن مرّ شهر تقريباً على ذكر الموضوع الخاص أول مرة، سمع ولش يتحدث إلى أستاذ التربية عن نوع «الرجل الجديد» الذي يتحدث عنه. وشعر دكس بالغثيان خمس دقائق، ثم جاء إليه ولش وبدأ بمناقشته بلهجة تنم عن النزاهة التامة في الأمور التي يريد من دكسن القيام بها العام القادم إزاء الطلاب الذين لديهم معدل مقبول. ولما تذكّر دكسن ذلك، قام بتدوير عينيه معاً كأنهما قطعتان من الزجاج، وقلّص خديه لكي يعطي وجهه مظهراً زاوياً، وأخذ يتأوّه بصوت مرتفع وهو يعبر الشارع الذي غمرته أشعة الشمس ليّتجه إلى باب منزله الأمامي.

كان فوق المنضدة المزخرفة السوداء عددان من إحدى المجلات الدورية وبعض الرسائل التي وصلت بالبريد. وكانت هناك مادة داخل غلاف كتب عليه اسم الفرد بيزلي بالآلة الكاتبة، وهو أحد أعضاء قسم اللغة الإنكليزية في الكلية، وغلاف آخر أصفر اللون يحتوي على قسائم رهان على لعبة كرة القدم، وموجه إلى دبليو أتكسنن الذي يعمل في إحدى شركات التأمين، وهو أكبر سناً من دكسن. وكان ثمة غلاف ثالث

موجه إلى جي دكسن وعليه ختم برید لندن. تردّد قليلاً ثم فتحه فوجد أنه يحتوي على قطعة ورق منزوعة على عجل من دفتر رسائل وعليها بضعة أسطر مكتوبة بخط رديء بالحبر الأخضر. ويعلن كاتب الأسطر بعيداً عن الشكليات كلها، أنه أعجب بالمقال الخاص بصناعة السفن ويقترح نشره في الوقت المناسب وسيكتب مرة أخرى في أقرب وقت. أما التوقيع فيحمل اسم أل. أس. كيتين.

أخذ دكسن قبعة أتكسن المصنوعة من اللباد، ووضعها على رأسه ثم أذى رقصة قصيرة في القاعة الضيقة. سيجد ولش الآن أنه من الصعب الاستغناء عن خدماته. يضاف إلى ذلك أن الأخبار طيبة، بل مشجعة عموماً، إذ قد تكون للمقال فائدة على أي حال. كلا، ذلك مبالغ فيه، غير أن هذا يعني أن المادة من النوع الجيد، ومن يستطيع أن يكتب مقالة جيدة واحدة، يصبح قادراً على كتابة المزيد من المقالات الجيدة، وسوف يجد متعة في إخبار مارغريت بالأمر. غير قبعته وألقى نظرة غير مكترثة على المجلتيين المرسلتين إلى إيغان جونز أحد موظفي الكلية ومن هواة العزف على آلة الأوبو: كان الغلاف الأول لإحدى المجلتيين يحمل صورة كبيرة ورائعة لأحد الموسيقيين المعاصرين، ويبدو أن جونز معجب به كثيراً. وهنا خطرت على ذهن دكسن فكرة بدت له مقبولة وهو في تلك الحالة من النشوة، فوقف ساكناً وأصغى لحظة ثم تسلّل إلى غرفة الطعام حيث كانت المائدة معدة لتناول العشاء. وبدأ بسرعة وحذر يغير ملامح المؤلف الموسيقي بقلم رصاص أسود. وهكذا أصبحت الشفة السفلى مجموعة من الأسنان المكسورة الملطخة. ثم أضاف شفة سفلى أخرى أكثر سماكة وتهدلاً من الشفة الأولى، ورسم آثار جروح بفعل إحدى المبارزات على الخدين. وزاد كثافة الشعر وجعل عودين يستخدمان في تنظيف الأسنان ببرزان من فتحتي المنخرين الواسعين. أما العينان فكانتا واسعتين جداً

ومقلوبتين وتمتدان حتى الأنف، وبعد أن وضع بعض الفتحات في منطقة الفكين وأخفى الجبهة بخصلة كثيفة من الشعر أضاف إلى الوجه شاربين صينيين، وأقراطاً كالتى يتحلّى بها القراصنة. وكان قد فرغ ترواً من تشويه غلافات الصحف الموجودة على المنضدة، عندما دخل أحد الأشخاص من الباب الأمامي، فقفز إلى غرفة الطعام وأصغى مرة أخرى. وبعد مرور بضع دقائق ابتسم عندما سمع صوتاً ينادي الأنسة كتلر ولكنها شمالية تشبه لكتته. فخرج من مكانه وقال:

- مرحباً بك يا ألفرد.

- أوه، مرحباً يا جيم.

كان بيزلي يفتح غلاف الرسالة الموجهة إليه على عجل، حين فتح باب المطبخ من وراء دكسن ولاح رأس صاحبة المنزل الأنسة كتلر لرؤية القادم. فلما رأتهما اطمأنت وابتسمت وعادت إلى المطبخ. أما دكسن، فقد التفت إلى بيزلي الذي شرع في قراءة رسالته في هذه الأثناء وقطب وجهه ثانية وسأل:

- هل أتيت لتناول العشاء؟

هز بيزلي رأسه بالإيجاب، وسلّم الرسالة إلى دكسن وقال:

- إنها أخبار طيبة سأنقلها معي إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع. قرأ دكسن الرسالة ووجد أنها تتضمن شكراً لتقديم بيزلي طلباً لشغل وظيفة ما، بيد أن السيد بي أولدهام هو الذي عيّن في المنصب.

- أوه، يا لسوء الحظ يا ألفرد، لكن على الرغم من ذلك، لا بد من

وظائف أخرى في المستقبل، أليس كذلك؟

- لا أعتقد حتى شهر تشرين الأول القادم، غير أن الوقت يمضي

سريعاً.

اتّخذوا مكانهما في كرسيين إلى جوار مائدة العشاء. وسأل دكسن:

- هل كنت ترغب في ذلك العمل كثيراً؟

- «فقط لأنه الطريق الوحيد حتى الآن للخلاص من فرد كارنو». قال

ببزلي ذلك وهو يعني أستاذه الذي يشير إليه دوماً بذلك الاسم.

- أعتقد أنك رغبت فيه كثيراً إذاً؟

- صحيح، هل هناك أخبار جديدة من نيدي تخصّك؟

- كلا، لا شيء مباشراً. غير أن لديّ بعض الأخبار الجيدة، فقد وافق

السيد كيتين على نشر مقالتي حول صناعة السفن.

- أمر يدعو إلى الارتياح، أليس كذلك؟ متى سينشرها؟

- لم يذكر ذلك.

- أوه، هل لديك الرسالة؟

ناولته دكسن إياها.

- لا أظن أنه مهتم كثيراً بالتفاصيل وما شابه ذلك. حسناً، أعتقد أنك

تحتاج إلى معلومات إضافية محددة. أليس كذلك؟

عدّل دكسن وضع نظارته على أنفه وهي عادة مألوفة لديه. ثم قال:

- صحيح؟

- حسناً، يا جيم، أنت تحتاج إلى ذلك يا رجل. إن مثل تلك الموافقة

الغامضة لا تعني شيئاً. ربما سيمرّ عامان قبل أن تظهر المقالة، هذا إذا أراد

نشرها، لا؟ من الأفضل أن تطلب منه موعداً محدداً، وعند ذلك سيكون

في حوزتك دليل حقيقي تقدّمه إلى نيدي، خذ بنصيحتي.

ولأن دكسن لم يكن متأكداً ما إذا كانت النصيحة مفيدة أو أنها

ناجمة عن خيبة أمل ببزلي، فقد أوشك أن يطيل المناقشة كسباً للوقت

عندما دخلت الأنسة كتلر ومعها صينية الشاي والطعام. كانت ترتدي

واحداً من أقدم ثيابها السود الذي أخذ يتألّق على جسدها الممتلئ، وكان

هدوء خطواتها، وسرعة حركة يديها الأرجوانيتين المدربتين، وتكشيرتها

الصغيرة، وأنفاسها المتلاحقة، والهدوء الذي رافق كل طبق تضعه فوق المائدة، ونظراتها الخفيفة، كان كل ذلك يجعل من المستحيل على أي شخص التحدث في حضورها إلاّ إليها.

لقد مرّت سنوات طويلة منذ أن تقاعدت عن الخدمة وبدأت تعمل في هذا المنزل. لكن على الرغم من أنها كانت في بعض الأحيان تظهر بعض السمات المؤثرة الخاصة بأصحاب المنزل فإن سلوكها وهي تقدّم وجبات الطعام من شأنه أن يبعث الرضا في نفس صاحب أي منزل. توجه دكسن وبيزلي بوضع كلمات إليها، إلاّ أنهما كالمعتاد لم يتلقيا أي إجابة عدا إيماءة صغيرة، حتى فرغت من وضع الأطباق جميعها على المائدة. ثم تلا ذلك الاستمرار بالحديث الذي توقّف عند دخول موظف التأمين والرائد السابق في الجيش بيل أتكسن. أتكسن أسمر، طويل القامة، ألقى بنفسه فوق مكانه المعتاد عند نهاية المائدة بينما هرعت الأنسة كتلر إلى خارج الغرفة وهي مذعورة من طلباته التي يسمّيها الأشياء الصحيحة. ثم أخذ يتفرّس في دكسن الذي قال أخيراً:

- لقد أتيت مبكراً اليوم يا بيل.

ولأن العبارة كانت تنطوي على شيء من التحدي لقوة أتكسن البدنية وقدرته على التحمل، فقد هزّ رأسه عشرين أو ثلاثين مرة، وكان مفرق شعره الأسود في وسط الرأس، وشاربه المستطيل يوحيان بصلافة قديمة.

استمرّ تناول الطعام، وشارك أتكسن فيه على الرغم من أنه ظلّ متعالياً لا يخوض في الحديث الذي استغرق عدة دقائق حول موضوع مقالة دكسن والموعود المحتمل لنشرها.

وأخيراً سأل بيزلي:

- هل المقالة جيدة؟

نظر دكسن بدهشة وقال:

- جيدة؟ ماذا تقصد بكلمة جيدة؟

- هل هي أكثر أهمية من الموضوعات التي تطرح هذه الأيام؟ هل

هي أفضل من الموضوعات التي تساعدك على الاحتفاظ بوظيفتك؟

- «يا إلهي! كلا، أعتقد أنني أنظر إلى مثل هذه الأمور نظرة جادة؟»

قال ذلك دكسن ولاحظ أن عيني أتكسنن برموشهما الكثيفة تحدّقان إليه.

قال بيزلي وهو يخرج غليونه المرصع بالنيكل في محاولة منه

لتدريب شخصيته:

- فكّرت في أنني قد أكون على حق.

- لكن افهمني يا ألفرد، أنت لا تعني أنه ينبغي لي أن أنظر إلى

المسألة نظرة جادة. أليس كذلك؟ ما الذي تقصده؟

- إنني لا أقصد أي شيء، إنني أسأل عن السبب الذي دفعك إلى

القيام بهذا العمل في المقام الأول.

تردّد دكسن ثم قال:

- لكنني شرحت لك الأمر كله قبل بضعة أشهر، وتحدثت عن

شعوري بأنني عديم الفائدة في هذه الكلية.

- «لا. إنني أقصد أنك مهتم بموضوع العصور الوسطى». قال ذلك

بيزلي ثم أشعل عود ثقاب بينما بدا العبوس على وجهه وأضاف:

- لا تمنع يا بيل، أليس كذلك؟

ولما لم يجد جواباً عن تساؤله استمرّ بتدخين غليونه. وأردف قائلاً:

- لا يبدو أنك مهتم بالموضوع البتة، أليس كذلك؟

حاول دكسن أن يضحك وقال:

- لا يبدو، أليس كذلك؟ كلا، إن السبب وراء كونني مهتماً بالعصور

الوسطى، كما ذكرت هو أن هذا الموضوع يمثل اختياراً مريحاً في منهج

الدراسة في لستر، ولهذا تخصصت بالموضوع. وعندما قدّمت طلباً للعمل هنا، أوضحت ذلك سلفاً. لا يبدو من الأفضل للمتقدم أن يكون مهتماً بموضوع محدّد. وهذا هو السبب الذي جعلني أحصل على الوظيفة بدلاً من ذلك الشخص الذكي القادم من أكسفورد الذي لوّث نفسه في المقابلة عندما فكّر في نظريات التفسير الحديثة، إلا أنني لم أظن أن المادة كلها ستكون عن القرون الوسطى ولا شيء سواها.

قال ذلك وكبت رغبة ساورته في التدخين بعد أن أنهى تدخين سيجارة الساعة الخامسة في الثالثة والرابع.

فقال بيزلي وهو يأخذ نفساً:

- افهم ذلك. إنني لم أفكّر في ذلك قبل الآن.

فسأل دكسن:

- ألم ترّ أننا جميعاً متخصصون بأكثر الموضوعات كراهية إلى أنفسنا؟

إلا أن بيزلي كان قد نهض توّاً بعد أن أفرغ غليونه. أما آراء دكسن في العصور الوسطى فيتعيّن عليها الانتظار حتى وقت آخر.

قال بيزلي:

- أوه، حسناً، أغادر الآن، أرجو لك وقتاً طيباً مع الفنانين يا جيم، لا تسرف في الشراب أو تخبر نيدي بما أخبرتني به توّاً، اتفقنا؟

ثم أضاف موجّهاً حديثه إلى أتكسن:

- إلى اللقاء يا بيل.

غير أن أتكسن لم يجب بشيء، فغادر بيزلي المكان تاركاً الباب مفتوحاً.

بعد أن تمنّى دكسن ليلة سعيدة، انتظر لحظة قبل أن يقول:

- أوه بيل، إنني أسأل إن كان في استطاعتك تقديم خدمة لي.

فجاءه الجواب سريعاً على نحو غير متوقع، إذ قال أتكسن بازدياء:

- ذلك يعتمد على نوع الخدمة.

- «هل تستطيع الاتصال بي على هذا الرقم حوالى الساعة الحادية

عشرة من صباح يوم الأحد؟ سأكون موجوداً هناك وستتجاذب أطراف الحديث عن الطقس وفي حال عدم وجودي...» توقّف دكسن عن الكلام عندما سمع صوتاً غريباً قادماً من خارج الغرفة، إلّا أنه لم يسمع أي شيء آخر فأضاف:

- إذا لم أكن موجوداً، فأرجو أن تخبر أي شخص يجيب على

الهاتف بأن والديّ قد وصلا فجأة إلى هنا، وينبغي لي العودة بأسرع وقت، لقد دوّنت كل شيء هنا.

رفع أتكسن حاجبيه الكئيبين، وتفرّس في ظهر الغلاف الذي سلمه

دكسن إليه كأنه يحمل حلاً غير صحيح لمسألة شطرنجية. ثم أطلق ضحكة هستيرية وحدّق إلى وجه دكسن وقال:

- أتخشى إلّا يكون في استطاعتك تحمّل البقاء، أم أن هناك سبباً

آخر؟

- «إنها إحدى عطلات نهاية الأسبوع لأستاذي ويتعيّن عليّ الذهاب،

إلّا أنني لا أستطيع البقاء طوال يوم الأحد هناك». أعقب ذلك صمت طويل بينما ألقى أتكسن نظرة انتقادية على أرجاء الغرفة، وهي نظرة أصبحت تمريناً مألوفاً له، فعبّر دكسن عن ثنائه على نظراته الانتقادية وإعجابه بها وعلى عدم جعل هذه النظرة تصبح تافهة بحكم مرور الزمن. وأخيراً قال:

- أفهم ذلك، من دواعي سروري القيام بذلك.

وبينما كان يتفوّه بهذه الجملة، دخل رجل آخر الغرفة وهو يحمل

المجلتين، وكان جونز، ولما رآه دكسن شعر بشيء من عدم الارتياح، كان جونز شخصاً يتحرّك بصمت، ويسترق السمع والنظر على نحو مذهل،

إضافة إلى أنه صديق أسرة ولش ولا سيما السيدة ولش. سأل دكسن نفسه إذا ما كان جونز سمع بما يكفي عن المهمة التي سيؤدّيها أتكسن، ثم أوما بقلق إلى جونز الذي بدت ملامحه خالية من أي تعبير. واستمر هذا الوضع إلى أن حيّاه أتكسن وهو يقول:

- مرحباً يا ولدي.

قرّر دكسن الذهاب إلى بيت ولش بالحافلة كي يتجنّب صحبة جونز. لهذا السبب نهض من مكانه وهو يعتقد أنه ينبغي له توجيه تحذير خاص إلى أتكسن. ولأنه لم يكن قادراً على الاستقرار على أي شيء، فقد ترك الغرفة على أي حال. وسمع أتكسن وهو يتحدث إلى جونز قائلاً له:

- اجلس وحدثني عن ألتك الموسيقية الأوبو.

وبعد بضع دقائق كان دكسن يحمل حقيبته الصغيرة ويبحث خطاه بين الشوارع في طريقه إلى موقف ركوب الحافلة. وعند منعطف الطريق الرئيس، كان في وسعه أن يشاهد المنظر في الأسفل حيث أخذت المحلات الصغيرة والبيوت المتجاورة تتلاشى لتحلّ محلها العمارات ومتاجر الألبسة الحديثة والخياطون والمكتبة العامة وكابينة الهاتف وإحدى دور السينما الحديثة. وكانت تمتد وراء هذه العمارات مبانٍ أخرى أكثر ارتفاعاً تقع وسط المدينة ومعها برج الكاتدرائية المستدق. وكانت الحافلات والأوتوبيسات الكهربائية تشقّ طريقها إلى مركز المدينة أو خارجها، إضافة إلى أرتال السيارات التي كانت هي الأخرى تشقّ طريقها في الشوارع حتى تتوارى عن الأنظار، أما الأرصفة فكانت مزدحمة بالمارة. وبينما كان دكسن يعبر الشارع ارتفعت معنوياته كثيراً وهو يرى هذه الحركة كلها، كما شعر بأن شيئاً مثيراً لا يستطيع تفسيره يجتاح عقله، وليس هناك أي سبب للافتراض أن عطلة نهاية الأسبوع من شأنها أن تتضمن أي شيء أفضل من ذلك المزيج المألوف من السأم المتوقع وغير المتوقع. إلاّ أنه

في هذه اللحظة نفسها، لم يستطع أن يصدّق هذا كله. فالموافقة على نشر مقالته قد تعني بداية السباق نحو الحظ الذي هو في أمسّ الحاجة إليه. وها هو يذهب للقاء بعض الأشخاص الذين يستطيعون أن يثبتوا أنهم أشخاص يثيرون المتعة والبهجة. وإذا لم يكن الأمر كذلك ففي وسعه عندئذ أن يتحدّث عنهم إلى مارغريت: لا بد له أن يرى أنها تستمتع بوقتها إلى أبعد حدّ ممكن. وسيكون تنفيذ ذلك أمام الناس أسهل. وفي حقيقته يحتفظ بديوان شعر لشاعر معاصر يعتقد أنه شاعر بذيء، وقد قرّر شراء الديوان ذلك الصباح ليقدمه هدية تخلو من أي استفزاز لمارغريت. ومن شأن الدهشة أن تقترن بدليل الحب والتعلق الذي يوحى به هذا الاختيار. وشعر بوخز يتتابه عندما فكّر في الإهداء الذي خطّه لها على الكتاب، غير أن مزاجه ساعده على التخلص من ذلك الوخز.



قال ولش وهو يوزع النسخ:

- هذا النوع من الموسيقى ليس للجمهور تماماً، إن المسألة تتلخص كلها في الغناء. لكل امرئ مزاج حقيقي للغناء، مزاج حقيقي. ففي وسعك القول إن تعدد النغمات يصل أعلى مراحلها، قمته في تلك الفترة وإنه بعد ذلك يبدأ بالهبوط، ويتعين النظر إلى الأجزاء المكتوبة في بعض الأشياء من مثل المقاطع الموسيقية مثال «إلى الأمام يا جنود..» التي تعدّ نموذجاً... نموذجاً...

فقالت زوجة ولش وهي جالسة إلى البيانو، وتوقع النغمات توقيعاً متعاقباً بطيئاً:

- إننا جميعاً في الانتظار يا نيد، هل أنتم مستعدون؟ وهنا ارتفعت في الجو دندنة رتيبة حول دكسن، إذ أخذ كل مغن ينددن بملاحظات للمغني الآخر. انضمت زوجة ولش إليهم وراء المنضدة المنخفضة التي أقيمت عند إحدى نهايتي غرفة الموسيقى، واتخذت مكانها قرب مارغريت وهي السوبرانو⁽¹⁾ الأخرى. وكانت هناك امرأة أخرى صغيرة الجسم ذات شعر بني قصير وهي الكونتراليو⁽²⁾ الوحيدة.

بجوار دكسن كان سيسل غولد سمث، زميله في قسم التاريخ الذي كان صوته الصادح يملك من القوة الوحشية ما يكفي لطمس أي أصوات قد يشعر دكسن بالرغبة في إصدارها. ومن ورائه وإلى الجانبين كانت هناك ثلاث قواعد: الأولى لموسيقار محلي، والثانية لعازف كمان هاو يستدعى في بعض الأحيان سداً للحاجة في فرقة أوركسترا المدينة، أما الثالثة

(1) السوبرانو: صاحبة الصوت الأعلى في الغناء النسوي.

(2) الكونتراليو: المرنة أو مغنية لها أخفض صوت في الغناء النسوي.

ألقى دكسن نظرة على امتداد خطوط النقاط السود التي بدت وكأنها تعلق وتهبط إلى حد كبير، واستطاع أن يؤكد لنفسه أن كل فرد يتعين عليه أن يغني طوال الوقت. لقد مرّ بنكسة قبل عشرين دقيقة في أثناء عزف مقطوعة رديئة لبرامز، وكانت تبدأ بعشر ثوان من الصوت الصادح الذي لا يدعمه شيء. ولتوخي المزيد من الدقة دون دعم من غولد سمث الذي نفذت ذخيرته في مواجهة فاصل دقيق، فقد تركه يفتح فمه ويفلقه بصمت. والآن أخذ يعيد تقديم النوتة التي كان غولد سمث يردها، فوجد النتيجة مسلية وليس العكس. لماذا لم يتحلوا باللباقة ويسألوه أولاً إن كان يرغب في الانضمام إليهم بدلاً من دفعه إلى المنصة دفعاً ووضع كومة من الأوراق في يده؟

بدأت الموسيقى القصيرة بإشارة من سبابة ولش. أبقى دكسن رأسه خفيضاً وحرك شفثيه أقل ما يمكن لكي لا يدع أحداً يشعر بالحركة، وألقى نظرة على الكلمات التي كان يغنيها الآخرون. فقرأ الجمل الآتية: «عندما بحثت عن الحب من موقعي حبيباً، والعاطفة الرقيقة مطلوبة، اكتشفت جيداً أن وعودها كاذبة وخائنة ولكني حين سألتها عن السبب...».

وهنا نظر باتجاه مارغريت التي كانت تبدو سعيدة وهي تغني، إذ واطبت بانتظام على الغناء مع فرقة جمعية حزب المحافظين المحلية في الشتاء، وفكر في التغييرات الضرورية التي ينبغي إدخالها على ظروفهما ومزاجيهما لجعل كلمات الموسيقى الافتتاحية تنطبق عليهما حتى إن كان ذلك من طرف بعيد. لقد وعدته أو منحته وعوداً هي كل ما يعنيه كاتب الكلمات. لكنه إذا كان يعني ما يبدو أنه يقصده بعبارة «العاطفة الرقيقة مطلوبة» فإن هذا الأمر لم يبحث عنه في مارغريت وربما ينبغي له أن يفعل ذلك. على أي حال، فإن الناس يفعلون ذلك دوماً، ومما يدعو إلى

الأسف، أنها لا تبدو جميلة بما يكفي، المهم أنه سيحاول أن يفعل ذلك يوماً ما، وإذًاك سيرى ما الذي سيحدث.

في هذه الأثناء رفع غولد سمث صوته بالغناء: «ومع هذا، ومع هذا فإنهم ينكرون» كانت آخر جملة يغنيها، فما كان من دكسن إلا أن فتح فمه بينما ظلّت إصبع ولش مرتفعة، ثم أغلق فمه بهزة صغيرة من رأسه، وهي هزة كثيراً ما استخدمها المغنون عندما يرون الإصبع تتحرك بسرعة إلى أحد الجانبين. بدا الجميع مبتهجين بالأداء ومتلهفين إلى فعالية أخرى من النوع نفسه.

- نعم، إن الفعالية اللاحقة هي ما يطلق عليه الباليه. من المؤكد أنهم لا يعنون ما سنقدمه الآن، وعنوان الباليه هو: «الآن هو شهر ميس» أما الآن فأرجو من الجميع...

وفي هذه الأثناء دوّت في الغرفة ضحكة قادمة من وراء دكسن، فنظر حوله ورأى الشحوب يعلو وجه جونز، وكانت عيناه بأهدابها الكثيفة تتفرّسان فيه فسأله:

- ما هي النكتة؟

قال جونز وهو ينظر إلى دكسن:

- سوف ترى. سوف ترى.

في نحو أقل من دقيقة واحدة، شاهد دكسن بوضوح ما حصل، إذ بدلاً من الأجزاء الأربعة الاعتيادية، كانت هذه المقطوعة تحتوي على خمسة أجزاء، وقد كتب إزاء كل سطر من السطرين الثالث والرابع من الموسيقى من الأعلى (المغني الأول) و(المغني الثاني)، يضاف إلى ذلك مادة تافهة كانت على الصفحة الثانية وفيها أيضاً فجوات متعددة، وربما توقع ولش أن يلاحظ غياب أحد الأجزاء في مثل هذه الظروف. لقد فات الأوان بالنسبة إلى دكسن لإيضاح أنه لم يقصد شيئاً عندما قال قبل نصف

ساعة إنه يستطيع قراءة الموسيقى بوصفها هواية، وأن الأوان فات تماماً لنقل الولاء إلى القاعدة.

وقال غولد سمث:

- من الأفضل أن تؤدّي دور المغني الأول يا جيم، لأن في الثاني شيئاً من الصعوبة.

أوما دكسن برأسه وهو سعيد، ولم يسمع أي ضحكة أخرى من جونز. وقبل أن يصرخ ثانية كان الجميع قد أنهوا المقطع الخاص بالبيانو والدندنة وبدأوا بالمقطوعة نفسها. حرّك دكسن شفّتيه وبدأ الغناء، إلا أن ولش أوقف إعطاء الإشارة بإصبعه التي ظلّت معلقة في الهواء، فتوقف الغناء حالاً، ثم قال:

مكتبة

- أوه أيها المغنون، إنني لم أسمع...

وهنا تنهى إلى السمع صوت طرقات على الباب الكائن في نهاية الغرفة، وأعقبه فتح الباب بقوة ودخول رجل طويل القامة يرتدي سترة رياضية صفراء اللون محكمة الأزرار، وكانت لحيته الكثة تبدو طويلة في أحد الجانبين مما جعل نصف رباط عنقه يختفي تحتها. وتوقع دكسن بنشوة أن يكون هذا الشخص هو الرسام المسالم برتراند، وكان ولش يوحى كل دقيقة منذ تناول العشاء بوصوله مع صديقه بضجة متوقعة، ومن المؤكد أن وصوله كان يعني حدوث بعض التعليقات عاجلاً أو آجلاً. لكن وصوله في هذه الأثناء بدا كأنه أفضل طريقة لمواجهة الفشل في تأدية الافتتاحية الموسيقية، وبينما كان دكسن يفكر في هذا الموضوع غادر السيد ولش وزوجته مكانيهما وذهبا لتحية ابنهما، ولحق بهما بقية الحضور الذين وجدوا في الاستراحة مناسبة جيدة لتجاذب أطراف الحديث بعضهم مع بعض. أشعل دكسن سيجارة وهو مسرور إذ وجد نفسه وحده، فقد تشبّث عازف الكمان الهاوي بمارغريت، بينما تجاذب غولد سمث والموسيقار

أطراف الحديث مع كارول زوجة غولد سمث التي رفضت أن تفعل شيئاً أكثر من الجلوس والإصغاء إلى الغناء في مكانها قرب المدفأة. أما جونز فكان مشغولاً بالبيانو. تحرك دكسن من مكانه واتجه إلى نهاية الغرفة واتكأ على الجدار قرب الباب حيث توزعت رفوف الكتب، واستطاع من موقعه أن يشاهد بعناية صديقة برتراند وهي تدخل على مهل وتردد. وبعد مرور عدة ثوان، وقفت في مكانها دون أن يلحظها أحد عدا دكسن نفسه.

وفي الدقائق اللاحقة التي مرّت، استطاع دكسن أن يلاحظ كل ما يريد من الفتاة. كانت ذات شعر قصير وعينين بنيتين وشفقتين خاليتين من أحمر الشفاه. كما لاحظ دكسن تقاطيع فمها ومنكبيها العريضين ونهديها الكبيرين وخصرها الدقيق وبساطة تنورتها المصنوعة من القديفة ذات اللون البنيّ. وكانت ترتدي أيضاً قميصاً من الكتان الأبيض الذي يخلو من الزرشرة. بدا مظهرها هجوماً لا يستطيع دكسن مقاومته، كان مناسباً لعاداته ومقاييسه وطموحاته، كانت مهياً لكي تضعه في المكان الصحيح. لقد كانت فكرة أن مثل هذه المرأة لا تظهر للعيان إلاً ملكاً لرجل مثل برتراند مألوفة لديه، بحيث لم تعد تبدو مظهراً من مظاهر غياب العدالة، وأن الطبقة الهائلة التي تضمّ مارغريت قدّر لها أن تؤمن له معشر النساء: أولئك النسوة اللاتي يختلط عندهن العزم مع الاحتفاظ بالجازبية في التمثيل، والنسوة اللاتي في وسع تنوراتهن الضيقة وأحمر الشفاه الذي لا يناسب لون بشرتهن إن وجد، بل حتى ابتسامتهن المتكلفة، أن تقضي على ذلك الوهم وتقضي على أي أمل بتجديده، غير أن التجديد كثيراً ما أتى: فالسترة الصوفية الجديدة من شأنها أن تقلّل إلى حدّ ما عيوب القدمين الكبيرتين، والكريم يعش الشعر الجاف، تماماً مثلما يقود قدحان كبيران من الشراب إلى إنعاش الحديث عن المسرح الإنكليزي أو الطعام الفرنسي.

التفتت الفتاة جانباً، فوجدت دكسن يحذق إليها مما أثار ذعرها، فما

كان منها إلا أن اعتدلت بهزة رشيقة كأنها جندي ينتقل من وضع الاستراحة إلى وضع الاستعداد. نظر كل منهما إلى الآخر لحظة من الزمن، وفي الوقت الذي أوشك فيه دكسن على الشعور ببعض الوخزات في رأسه، دوى صوت مرتفع في الغرفة وهو ينادي:

- أوه، ها أنتِ هنا يا عزيزتي، تفضلي من هنا وسأقدمك إلى الحضور.

وفي هذه الأثناء تقدم برتراند إليها، وهو يلقي نظرة عدائية قصيرة على دكسن الذي لم تعجبه تلك النظرة. وكان الشيء الوحيد الذي أراده من برتراند هو الاعتذار بشيء من الذل لظهوره.

أحسّ دكسن بضيق شديد عندما رأى صديقة برتراند ترغب في التعرف إليه مما جعله يتعد عن طريقها بعض الوقت. ثم غادر مكانه وأخذ يتحدث إلى مارغريت وعازف الكمان الهاوي. غير أن برتراند سيطر على المجموعة الوسطية وأثار الضحك بينها بقصصه التي كان يسردها. أما صديقتها، فكانت تراقبه باستمرار وكأنه سيسألها في وقت لاحق أن تلخص المغزى. ثم أعقب ذلك تقديم القهوة والمعجنات لكي تحلّ محلّ وجبة المساء، فأخذ دكسن كمية كافية له ولمارغريت. وفي هذه الأثناء حضر إليهما ولش، وقال على نحو غير مفهوم:

- أوه، تقدّم إلى هنا يا دكسن. أودّ أن أعرفك بابني برتراند و... هيا تعال.

وبينما كان دكسن برفقة مارغريت، وجد حالاً أنه أصبح في مواجهة الشخصين اللذين أراد ولش أن يلتقيهما، إضافة إلى إيفان جونز.

قال ولش وهو يجذب الاثنين إلى جانبه:

- أقدم لكما السيد دكسن والأنسة بيل.

وقبل أن يخيم الصمت قالت مارغريت:

- هل تمكث فترة طويلة هنا يا سيد ولس؟

فشعر دكسن بالامتنان لوجودها معه، ولأنها تجد دوماً ما تقوله.

نجح برتراند في اختطاف قطعة من الطعام كان غيره يوشك أن يأخذها، وشرع في التهامها وهو يفكر، ثم قال أخيراً:

- أشكّ في ذلك، بعد التفكير، أعتقد أنه يتعيّن عليّ أن أشكّ في ذلك. عندي مسائل كثيرة متنوعة في لندن لا بد من الاهتمام بها.

ابتسم فتحركت لحيته التي أخذ الآن يزيل عنها فتات الطعام.

وأضاف:

- إلاّ أنه من دواعي البهجة الحضور إلى هنا ومعرفة أن مشعل

الحضارة لا يزال متوهجاً في الأقاليم، وعلى نحو جيد جداً.

فسألت مارغريت:

- كيف تسير أعمالك؟

ضحك برتراند لهذا السؤال، والتفت إلى صديقه التي ضحكت

هي الأخرى ضحكة موسيقية صافية تشبه ضحكة مارغريت الشبيهة بقرع أجراس فضية صغيرة.

كرّر برتراند قائلاً:

- أعمالي؟ أنت تجعلين ذلك يبدو كأنه نشاط تبشيري، ناهيك عن

أن بعض أصدقائنا من شأنهم النفور من ذلك الوصف لأعمالهم.

ثم التفت إلى صديقه وقال:

- فرد على سبيل المثال.

فأجابت:

- نعم أو قد يكون أوتو.

- من المؤكّد أوتو، فهو يبدو كالمبشر حتى لو لم يتصرّف بذلك

الشكل.

ثم ضحك ثانية فضحكت معه صديقه.

فسأل دكسن ببرود:

- ما هو عملك؟

- إنني رسام، ومن المؤسف أنني لست رسام بيوت، وإلا كنت قد حصلت على ثروة عظيمة وتقاعدت. لا، إنني أرسم الصور ومن المؤسف مرة أخرى، إنني لا أرسم صور أعضاء نقابة العمال، أو قاعات المدينة، أو النساء العاريات، وإلا كنت الآن أجلس فوق كومة هائلة من النقود. لا. أرسم صوراً لا أكثر، لا أكثر، صوراً. وما هو عملك أنت، شرط أن يكون لي الحق في السؤال؟

تردد دكسن في الإجابة، إذ كان قد سمع حديث برتراند من قبل باستثناء الخطبة المنمقة، وأزعجه بوسائل كثيرة لم يتصور أنها ممكنة. أما صديقة برتراند، فقد شرعت تنظر إليه نظرة تنطوي على التساؤل، ورفعت حاجبيها اللذين كان لونهما داكناً أكثر من شعرها، وقالت بصوتها العميق نسيباً:

- أرجو أن تشبع فضولنا.

كانت عينا برتراند هو الآخر مثبتتين فيه، وتبدوان كأنهما تفتقران إلى التحدّب الذي تتمتع به العين الاعتيادية. قال دكسن لبرتراند وقد عزم على ألا يتخذ موقع المهاجم:

- إنني واحد من مرؤوسي والدك، وأهتمّ بفترة العصور الوسطى في قسم التاريخ هنا.

قال برتراند:

- مذهل! مذهل!

بينما قالت صديقه:

- لا بد أنك تستمتع بهذا. أليس كذلك؟

لاحظ دكسن أن ولش قد انضم إلى المجموعة، وأخذ ينقل نظره من وجه إلى آخر بحثاً عن موقع يدخل منه في جو المحادثة، غير أن دكسن قرّر عدم إعطائه مثل تلك الفرصة مهما كان الثمن. وقال بلهجة هادئة وسريعة في الوقت نفسه:

- حسناً، للموضوع جاذبية خاصة.

ثم التفت إلى الفتاة وأردف:

- صحيح، إنه لا يتمتع بالجاذبية الموجودة في اهتماماتك.

فكر دكسن أنه لا ينبغي له أن يجعل برتراند يظنّ أنه أقلّ منه أو منها شأناً في المحادثة.

نظرت الفتاة إلى برتراند مندهشة وقالت:

- إلا أنني لم أر أي جاذبية في...

فقال دكسن:

- لكنني على يقين أنه لا بد من أن هناك الكثير من العمل الشاق والتمارين المرتبطة به. إلا أن الباليه...

وهنا لم يعر دكسن لكزة من مارغريت أي اهتمام وأضاف:

- «لا بد أن يحتوي على الكثير من الجاذبية. لهذا كثيراً ما فهمت الأمر». وبينما هو يتحدث ابتسم لبرتراند ابتسامة مؤدبة، ونظر إليه نظرة تشي بالغيرة، وشرع يحركّ قهوته بأصابعه الرشيقّة، ممّا أدّى إلى انسكاب كمية لا بأس بها على الملعقة.

احمرّ وجه برتراند، وكان منحنيّاً يحاول ابتلاع قطعة من الخبز بينما ردّدت الفتاة بدهشة صادقة:

- الباليه؟ لكنني أشتغل في إحدى المكتبات. ما الذي جعلك تعتقد أنني...؟

في هذه الأثناء بدا جونز متبرّماً وكذلك ولش، ما الذي فعله؟ لقد

هاجمه في آن واحد الشعور بالخوف والتفكير في أن يكون الباليه من مفردات ولش وهي تعني الممارسة الجنسية.

قال برتراند:

- انظر إليّ يا دكسن أو مهما كان اسمك. لعلك تظنّ أنك تثير الضحك هكذا. لكنني أرجو أن تتوقف عن ذلك لو سمحت. أنت لا تريد أن تزيد الطين بلة؟ أليس كذلك؟

كان صوت برتراند المرتفع ولا سيما في نطقه العبارات الأخيرة بما فيها من تركيز على الحروف الصائتة، قد جعل دكسن يرغب في جذب الاهتمام إلى عيوبه، بل إلى غرابة عينيه. لعل هذا يكون دافعاً لبرتراند كي يهجم عليه وذلك رائع، فقد كان واثقاً بأنه سيربح المواجهة مع فنان كهذا، أو ستعمل سلبية برتراند على منعه من القيام بذلك. غير أن الصمت الذي أعقب ذلك، جعل دكسن يقرّر التنازل. لقد ارتكب خطأً بحق الفتاة، ولا ينبغي له زيادة الطين بلة.

فقال:

- إنني آسف إذا كنت قد ارتكبت أي خطأ، غير أنني كنت أعتقد أن الأنسة لوسمور لها علاقة بـ...

وهنا التفت إلى مارغريت ينشد العون، غير أن ولش تقدّم وهو يصيح قبل أن تتمكن هي من الكلام:

- مسكين يا دكسن، لا بد أنك ظننت أن هذه الأنسة هي سونيا لوسمور صديقة برتراند التي سخرت منا جميعاً في وقت ما، ولا بد أن برتراند اعتقد أنك تسخر منه أو أي شيء من هذا القبيل ها... ها... ها... فقال برتراند ووجهه لا يزال محمراً:

- حسناً، لو تكبّد عناء التعرف إلينا، لما حدث ما حدث بدلاً من... فقاطعته صديقتة وهي تقول:

- لا تكترث للأمري يا سيد دكسن، إنه سوء فهم بسيط لا أكثر.
أستطيع أن أفهم سبب حدوث ذلك. إن اسمي هو كريستين كالاهاان وهو
ليس الاسم نفسه كما ترى.

- حسناً، شكراً جزيلاً أنك فهمت الأمر، وأنا آسف جداً لما حدث
آسف جداً.

فقال برتراند وهو ينظر إلى الفتاة:

- كلا. كلا. لا تدع المسألة تؤثر فيك يا دكسن، أرجو أن تسمح لنا
بالانتقال إلى المجموعات الأخرى.

ثم تحرك برتراند وصديقه ومن ورائهما جونز باتجاه مجموعة غولد
سمت وبقي دكسن وحده مع مارغريت.
فقالت له:

- هيا خذ سيجارة، لا بد أن بك حاجة إلى واحدة. يا إلهي، يا له من
حيوان برتراند هذا. لا بد أنه أدرك أن...

فقال دكسن وهو ممتن للسيجارة والدعم الذي قدمته له مارغريت:
- كانت غلطتي في الواقع. كان ينبغي لي أن أكون موجوداً هناك
لكي أتعرف إليهما.

- نعم، لماذا لم تكن هناك؟ إنه لم يكن مضطراً إلى تعقيد الأمور.
ذلك طبعه على أي حال بحسب معلوماتي.

- لم أستطع تصور مقابله. كم مرة قابلته من قبل؟

- أتى مرة واحدة مع صديقه لوسمور. غريب، أليس كذلك؟ إذ
كان يوشك أن يتزوجها، لكن ها هو الآن مع فتاة أخرى. نعم لقد قدم له
نيدي خطبة رنانة، وعندما اقترب موعد الزواج وقبل يومين اثنين من ذلك،
وبقدر ما يعلم...

- انظري يا مارغريت! ألا نستطيع الخروج من هنا وتناول بعض

الشراب؟ إن بي حاجة إلى ذلك، ولا أعتقد أنني سأحصل على الشراب هنا. لا تزال الساعة الثامنة ونستطيع العودة ثانية...

فضحكت مارغريت، واستطاع أن يرى عدداً كبيراً من أسنانها. وكانت إحداها تحمل لطفة من أحمر الشفاه. وقالت:

- أوه يا جيمز أنت عنيد. ماذا بعد ذلك؟ إننا لا نستطيع فعلاً الخروج. ماذا تعتقد سيقول عنا السيد نيدي وزوجته وبخاصة عند وصول ابنهما الذكي، سوف تتلقى إنذاراً في نحو أسبوع بسبب ذلك.

- نعم أعتزف أنك على حق، لكنني مستعد لعمل أي شيء لقاء ثلاثة أقذاح سريعة من الشراب، فأنا لم أشرب شيئاً منذ أن تناولت قدهاً مساء أمس في الطريق قبل أن أجيء إلى هنا.

- «من الأفضل ألا تتناول شيئاً فتبذّر نقودك». ثم بدأت تضحك مرة أخرى وأضافت:

- كنت رائعاً في المقدمة الموسيقية، فقد أديت أفضل أدوارك حتى الآن.

- أرجو ألا تذكريني بذلك.

- بل أفضل من أدائك الدور في مسرحيته آنوي، فقد جعلت لكنتك الأداء يبدو رهيباً. ماذا كان دورك؟ أعتقد أنه دور فعال.

فصاح دكسن:

- أرجو أن تتوقفي عن ذكر ذلك، إذ لم يعد في وسعي تحمّل أي شيء. لماذا لم يختاروا مسرحية إنكليزية؟ حسناً، أنا أعرف السبب. لا تشرحي لي. انظري ماذا سيحدث بعد الآن؟

- بعض التسجيلات بحسب اعتقادي.

- حسناً، ذلك يدفعني إلى الخروج على أي حال. فليس من العار عدم العزف، فأنا لست إلا إنساناً عادياً، لكن أليس ذلك فظيلاً يا مارغريت؟

أليس فظيماً؟ كم عدد الأشخاص الذين سيعزفون مرة واحدة يا ترى؟
ضحكت مارغريت مرة أخرى وهي تحاول أن تنسى موضوع الشراب
على الرغم من أنه لا يزال يملك ثلاثة جنيهاً ينبغي أن تكفيه حتى موعد
تسلّم الراتب بعد ثمانية أيام. أمّا في المصرف فقد أودع ثمانية وعشرين
جنيهاً، وهو مبلغ قرّر أن يحتفظ به هناك خوفاً من أن يستغنى عن خدماته.
قالت مارغريت:

- إن كريستين فتاة جميلة.

- نعم، أليس كذلك؟

- وتملك قواماً مدهشاً. أليس كذلك؟

- نعم.

- من النادر أن تجد فتاة تملك مثل ذلك القوام المدهش والوجه
الجميل.

فقال دكسن بلهجة مقتضبة وهو يسمع هذه الأوصاف:

- صحيح.

- من المؤسف أنها دمثة جداً.

تردّدت قليلاً ثم قرّرت أن تعلق بهذه الكلمات:

- إنني لا أحبّ المرأة التي تتصرّف في مثل هذه السنّ كأنها سيدة

تسّم بحسن الذوق وسماحة النفس. ذلك اعتداد فارغ بالنفس.

بعد أن وصل دكسن إلى النتيجة نفسها، وجد أنه لا يريد أن يؤكّد

هذه الصفة بهذه الطريقة فقال:

- أوه، إنني لا أدري، من الصعب الحكم على ذلك في مثل هذه

السن.

ضحكت مارغريت وقالت:

- أنت دوماً تدعم الوجوه الجميلة. أليس كذلك؟ ذلك يخفي أشياء

كثيرة كما أعتقد.

فكّر دكسن في أنها على حق، وامتنع عن قول أي شيء، إذ شعر بالحيرة وبأنه لا يدري ما يقول. نظر كل منهما إلى الآخر بلهفة، كأنما الكلمة التي سيقولها أي منهما ستكون إهانة.

أخيراً قال دكسن:

- تبدو كأنها ملطخة بالفرشاة نفسها الملطخ بها برتراند.

ابتسمت مارغريت له ابتسامة ساخرة غريبة وقالت:

- أعتقد أن أشياء كثيرة تجمع بينهما.

- أعتقد ذلك.

في هذه الأثناء أخذت إحدى الخاديات تجمع الأطباق الفارغة، بينما أخذ الجميع يتحركون في أماكنهم. وبدا من الواضح أن المرحلة اللاحقة من السهرة توشك أن تبدأ، فاختفى برتراند وصديقه، ربما كانا يريدان إفراغ حقائبهما. كما أن دكسن ترك مارغريت بعد أن دعاها ولش للمساعدة في ترتيب الكراسي. ثم سأله:

- ما هي الفعالية اللاحقة في المنهاج يا أستاذ؟

بدت ملامح ولش العميقة تشي بنظرة مكتئبة إثر فترة الساعة ونصف الساعة التي مرّت به قبل قليل. فحملق إليه. وقال:

- عزف أو عزفان لا أكثر.

- لطيف. من هو الشخص الأول الذي سيعزف؟

فكّر ولش ملياً وهو يمدّ يديه فوق ظهر كرسي منخفض يشبه الوسادة، وقال إن الموسيقار المحلي وعازف الكمان الهاوي سيعزفان سونيتا على الكمان لشخص تيبوتوني يبعث على السأم، وثمة لحن مناسب لعدد من التسجيلات، ومن المتوقع أن يقدم جونز في وقت لاحق عزفاً على آلة الأوبو، فهزّ دكسن رأسه كأنه مسرور.

التفت إلى مارغريت فوجدها تتحدّث إلى كارول غولد سمث وهي امرأة في حوالى الأربعين من العمر، نحيفة وذات شعر بني طويل سبط، ويعدها دكسن حليقة له على الرغم من أنها في بعض الأحيان تثير الذعر في نفسه قليلاً بمظهرها الناضج.

فقال لدكسن بصوت واضح جداً:

- مرحباً بك يا جيم، كيف حالك؟

- لست على ما يرام. لا تزال أماننا ساعة من الزعيق والنعيق.

- صحيح، أمر سيئ تماماً. أليس كذلك؟ لماذا أحضرنا إلى مثل

هذا المكان؟ حسناً، إنني أعرف سبب مجيئك يا جيم. سببه أن مارغريت

تسكن هنا، لكنني أسأل لماذا حضرت أنا شخصياً؟

فقال مارغريت:

- مرافقة الزوجة لزوجها كما أظن.

- أعتقد أن ذلك صحيح. لكن لماذا حضر هو؟ حتى المشروبات

غير موجودة.

- لاحظ جيمز ذلك توأ.

فقال دكسن محاولاً البدء بحديث قد يساعده على التخلص من

الإحراج الذي شعر به جراء سوء التفاهم المربك بينه وبين لوسمور

كالاهان:

- المسألة لا تستحقّ المجيء ومقابلة ذلك الرسام العظيم اليس

كذلك؟

بدت ملاحظته لسبب لم يدركه غير مقبولة، إذ نظرت إليه مارغريت

نظرة متعالية كأنها استنكار لأي حماقة، لأنها كانت تشعر أن أي ملاحظة

مناوثة لأي شخص تصبح ملاحظة غير حكيمة ما لم يكونا على انفراد، أما

كارول فقد أغضت عينيها وعدلت من شعرها وقالت:

- ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟

- لا شيء في الواقع. لقد حدث سوء تفاهم بيني وبينه قبل قليل. ذلك كل ما هناك، لقد اختلط عليّ اسم صديقتي، فبدأ عدوانياً كما أعتقد، لم يحدث أي شيء خطير.

فقلت كارول:

- ذلك أمر طبيعي. فهو يشعر دوماً بأن الآخرين يتحاملون عليه. ذلك طبعه.

فقال دكسن:

- أوه، أنت تعرفينه إذاً أليس كذلك؟ إنني آسف يا كارول هل هو واحد من أصدقائك العظام؟

- ليس تماماً، لقد التقيناه الصيف الماضي وأنا وسيسل قبل أن تحصل على وظيفتك. في وسعه أن يثير المتعة في بعض الأحيان، على الرغم من أنك محق بشأن اعتقاده أنه رسام عظيم، وقد يشعرك أنك أقل شأناً منه. في الواقع لقد التقيته مرة أو مرتين يا مارغريت فما هو رأيك فيه؟

- نعم لقد التقيته عندما حضر هنا سابقاً. أعتقد أنه لا غبار عليه عندما يكون وحده. أما إذا كان حاضراً بين مجموعة من الناس، فأعتقد أنه يسعى إلى جذب اهتمام الجميع إليه.

في هذه الأثناء دوت ضحكة عالية جعلت الثلاثة يديرون رؤوسهم نحو مصدرها. فرأوا برتراند يتقدم وهو يقود غولد سمث من ذراعه. فقال لكارول بينما أثار الضحكة لا تزال تقطر من وجهه:

- ها أنت هنا يا عزيزتي كارول كيف حالك؟

- بخير، شكراً لك أيها الرجل العزيز، أستطيع أن أدرك كيف تسير أمورك. إنها ليست من الفتيات اللواتي تسعى إليهنّ كما جرت العادة. أليس كذلك؟

- كريستين؟ أوه، إنها فتاة رائعة رائعة، بل هي أفضل فتاة.

فواصلت كارول الحديث وهي تبسم ابتسامة خفيفة.

- هل لديك مشاريع بشأنها؟

- مشاريع؟ كلا، كلا إطلاقاً. لا شيء البتة.

فقال غولد سمث بلهجة رتيبة تختلف عن لهجته المتعالية.

- ليس ذلك من عادتك أيها الولد العجوز.

فقال برتراند وهو يشير بإبهامه وسبابته ليؤكد الكلمة الأخيرة:

- بصراحة لقد جعلت مني حالياً شخصاً مجروح الكبرياء.

فقال غولد سمث بجزع:

- كيف ذلك يا برتراند؟

- في مستطاعك أن تصوّر أنه على الرغم من رغبتني الجامعة في

هذا النوع من الرياضة...

ثمّ أوماً برأسه تجاه البيانو حيث كان عازف الكمان الهاوي يحاول

ضبط كمانه بمساعدة الموسيقار وأضاف:

- لا يكفي إحضاري إلى هنا دون مساعدة... أنا سعيد برؤيتكم

جميعاً. لا. لا. لقد وعدوني بمقابلة يوليوس غور أورغوهارت، ولا بد

أنكم سمعتم به.

كان دكسن قد سمع فعلاً بهذا الشخص، وهو ثري من المولعين

بالفنون يسهم في الكتابة في الصفحات الفنية في المجلات الأسبوعية في

بعض الأحيان، ويملك بيتاً في تلك المنطقة تأتي إليه بعض الشخصيات

لتمكث فترة من الزمن. كما أن ولش نفسه وجد فيه صيداً ثميناً حاول

دوماً اصطياده. نظر دكسن مرة أخرى إلى عيني برتراند، ورأى أنهما عينان

غريبتان فعلاً. وبدا كأن قطعة من مادة مطرزة موجودة تحت وجهه لا يظهر

منها أي شيء إلا من فتحتين اثنتين. وفكر دكسن ما الذي يجمع شخصاً

كهذا وبهاتين العينين وهذه اللحية وهاتين الأذنين المختلفتين وغور
أورغوهارت؟

في الدقائق القليلة اللاحقة عرف دكسن ما الذي يجمع هذين
الشخصين، إلا أن العلاقة واهية على الرغم من ذلك.

فالآنسة كالاهاان تعرف عائلة غور أورغوهارت، ولعلها من أقربائه
وقد رتبت الأمور. حتى إن برتراند تعرّف إليه في عطلة نهاية الأسبوع
الحالية. لكنّه وجد في وقت متأخر أن غور أورغوهارت موجود حالياً
في باريس، لهذا يتعين عليه القيام بزيارة ثانية إلى ذلك الجزء من العالم
لمقابلته. غير أن هناك سبباً واحداً نسيه دكسن تماماً يجعل اللقاء في لندن
أقل مدعاة للرضا. ثم ما الذي سيفعله غور أورغوهارت لبرتراند عند
مقابلته إياه؟

عندما استفسرت مارغريت عن هذه المعلومات بطريقتها المؤدبة،
رفع برتراند رأسه الضخم وحول نظراته من وجه إلى وجه وقال بلهجة
متأنية:

- إنني أعرف من مصدر موثوق جداً أن صديقنا المهم سيعلن عما
قريب أن وظيفة سكرتيره الخاص شاغرة، ولا أعتقد أن التنافس على
الوظيفة سيكون علانية، لهذا السبب أعدّ العدة للقيام بهذا الدور. الوصاية.
إنها الوصاية. نعم الوصاية تلك هي القضية سأجيب عن رسائله بيد وأرسم
باليد الأخرى.

ثم أطلق ضحكة مدوية شاركه فيها غولد سمث ومارغريت ثم
أضاف قائلاً:

- لهذا، من الطبيعي أن أنتهز الفرصة وأحقّق ما أريد، ومعدرة
لاستخدام هذا التعبير.

وفكّر دكسن: لماذا لا يعنونه على استخدام هذا التعبير؟ لماذا؟

سأل غولد سمث:

- متى تعتقد أن في وسعك زيارتنا مرة أخرى أيها الولد الكبير.
ينبغي لنا أن نعدّ ذلك شيئاً خاصاً. أليس لديك فرصة هذه المرة؟
فقال برتراند:

- أوه، أتوقع أن أحضر في غضون أسبوعين تقريباً.

ثم أضاف بلهجة ذات مغزى:

- لدينا ارتباط آخر أنا والآنسة كالاهاان في عطلة نهاية الأسبوع
القادم. ولا أريد أن أضيع الفرصة.

- عطلة نهاية الأسبوع التي تلي حفلة الصيف الراقصة في الكلية.

قالت ذلك مارغريت بسرعة محاولة التقليل من أهمية تصريحه كما
ظنّ دكسن، إذ كيف يعقل أن يتفوّه بمثل هذه الأشياء أمام امرأة يكاد لا
يعرفها بعد، وأمام رجل لا بد أن يعتقد أنه لم يشعر نحوه بالودّ منذ أول
لقاء؟

سأل برتراند باهتمام ظاهر:

- أوه، حقاً؟

- نعم ستأتي أنت أيضاً يا سيد ولش هذا العام، أليس كذلك؟

- أعتقد أن في وسعي تدبير ذلك. إنني أتذكّر كيف قضينا وقتاً طيباً
في المرة السابقة. أوه، أرى أن علبة السجائر أخرجت. إنني أحبّ السجائر.
أأستطيع تناول واحدة منك يا سيسل؟ حسناً، ماذا عن الحفلة؟ أعتقد أنهم
لا يستطيعون إبقاءك بعيداً عنها.

فقال غولد سمث:

- أعتقد أنهم سيستطيعون هذه المرة. فهناك مؤتمر لمدّرسي التاريخ
يعقد في مدينة ليدز ووالدك يرغب في أن أحضره.

فقال برتراند:

- أوه يا عزيزي. يا لسوء الحظ، يا لسوء الحظ. ألا يوجد شخص آخر يستطيع إرساله عوضاً عنك؟

ثم نظر إلى دكسن بعد أن أكمل جملته.

فقال غولد سمث:

- لا أعتقد، فقد درسنا الموضوع جيداً.

- «أمر يدعو إلى الرثاء. أوه، حسناً، هل يحضر أي شخص آخر

منكم؟» في هذه اللحظة نظرت مارغريت إلى دكسن، بينما قالت كارول:

- ماذا بشأنك يا دكسن؟

فهزّ دكسن رأسه بثبات وقال:

- كلا. فأننا لست راقصاً. أعتقد أن المسألة كلها لا تعدو أكثر من

تبذير النقود.

قال وهو يفكر في أنه من المزعج حقاً لو حاولت مارغريت ابتزازه

وإجباره على أخذها معه.

فقال برتراند:

- «أوه، إننا لا نريد ذلك. أليس كذلك؟ لن يحصل ذلك أبداً. إنني

أتعجب، أين ذهبت الأنسة كالاهاان؟ لقد مرّ عليها وقت طويل وهي في

المرافق الصحية. ثم لماذا كل هذا التأخير بشأن العازفين؟» نظر دكسن

حوله فوجد العازفين ينتظران وهما يدخان ويتجادبان أطراف الحديث

بعد أن فرغا من إعداد آلاتهما الموسيقية، غير أن ولش كان قد توارى عن

الأنظار، لا بد أنه يمارس خبرته الرهيبة بوصفه مراوغاً في الطرف الآخر

من الغرفة الطويلة والقليلة الإضاءة، فتح الباب ودخلت الأنسة كالاهاان.

كانت فتاة قوية البنية مما جعل دكسن يعتقد أنها كانت تسير باضطراب.

قال برتراند وهو ينحني بأدب:

- أوه يا عزيزتي، كتنا نسأل ماذا حدث لك؟

بدا عليها الاضطراب وقالت:

- أوه، كنت...

- كنا ناقش موضوع السيد غور أورغوهارت وهل يكون موجوداً في عطلة نهاية الأسبوع التي تلي العطلة القادمة. حيث ستقام حفلة راقصة في الكلية في تلك الفترة. هل لديك أي معلومات بشأن ذلك؟

- حسناً. قالت سكرتيرته إنه سيكون موجوداً في باريس حتى أواسط الشهر القادم وعندئذ سيكون الأوان قد فات أليس كذلك؟
قال برتراند دون أن يبدو عليه الارتباك بتاتاً لهذه الأنباء:

- نعم، أعتقد ذلك. سيكون الأوان قد فات. أوه، لا بد أن يكون ذلك في وقت آخر.

- لقد كتبت إلى عمي وطلبت منه أن يخبرني عن موعد عودته.
أراد دكسن أن يضحك مما يجري كان يستمتع دوماً وهو يسمع الفتيات لا الرجال وهنّ يستخدمن كلمة (عم) أو (أب). كان هناك (عم) أو (أب) واحد في العالم كله. أو كان هذا (العم) أو (الأب) هو (عم) أو (أب) الحاضرين جميعاً.

سألت كارول:

- ما الذي يضحكك يا جيم؟

وهنا حمله إلى برتراند.

- لا شيء أبداً.

قال دكسن ذلك وهو يحملق إلى وجه برتراند، وتمنى لو أن هناك موضوعاً يستطيع به أن يهزم برتراند حتى لو كان ذلك على حساب خسارة والده، إذ إن أي وسيلة باستثناء العنف كان لها ما يبرّرها. غير أنه لم يكن هناك أي مجال يستطيع فيه أن يستثمر مثل هذه الوسيلة. تخيل في لحظة من الزمن أنه يكرّس السنوات العشر القادمة من حياته في العمل ناقداً فنياً

لكي يتسنى له نقد أعمال برتراند نقداً سليماً، وفكّر في جملة قرأها من قبل في أحد الكتب تقول: «ثم أمسك به من تلاييه وكاد أن يقضي عليه خنقاً». ثم ابتسم بينما ارتجفت لحية برتراند غير أنه لم يقل أي شيء.
أما مارغريت فقد أرادت كالمعتاد أن تقول شيئاً ما:

- كنت أقرأ عن عمك مؤخراً يا آنسة كالاهاان. فقد كتبت عنه إحدى الصحف المحلية حيث ذكرت أنه سيقوم معرضاً للرسوم بالألوان المائية في قاعة هذه المدينة. إنني لا أدري ما ينبغي لنا أن نفعله لجعل الأمور تسير على ما يرام من دونه.

على الرغم من أن هذه الملاحظة قد لا تحظى بأي تعليق، فإنها ذات مفعول مألوف عند أصدقاء مارغريت، وهو إصابة مستمعها بالذهول جراء الهدف الكامن وراءها ألا وهو إرغامهم على الحديث. على مقربة منهم كان عازف الكمان يضحك بصوت عال لما يقصّه عليه الموسيقار:

- أين هو ولش يا ترى؟

قالت الآنسة كالاهاان:

- نعم إنه إنسان كريم جداً.

فقالت مارغريت:

- شيء جميل وجود مثل هؤلاء الأشخاص.

نظر دكسن إلى كارول في محاولة منه لجذب نظرها. إلا أنها كانت تتبادل هي وزوجها النظرات.

قال برتراند:

- لا أعتقد أننا سنرى المزيد من هؤلاء الرجال مستقبلاً إذا كان الصبية في نقابة النقل هم الذين يسيرون أمورنا.
فتدخل غولد سمث قائلاً:

- لا أعتقد أن ما قدموه كان سيئاً. كما أنك لا تستطيع...

فقال برتراند وهو ينظر إلى الجماعة:

- إنني أتفق وإياك في أن سياستهم الخارجية كانت رديئة جداً ما عدا عدم قدرتهم المذهلة على صبّ الماء على الزيت المشتعل، لكنّ سياستهم الداخلية، معاقبة الأغنياء... أقصد... وهنا بدا عليه التردّد، لكنه أردف قائلاً:

- حسناً، ذلك أمر واضح وبسيط. أليس كذلك؟ إنني أطلب بعض المعلومات لا أكثر ألسنا متفقين؟ ذلك ما أقصده. وهل هناك شيء آخر؟ هل أنا على خطأ؟

فقال دكسن وهو يتظاهر بأنه لم يلحظ مارغريت وهي مقطّبة أو كارول وهي توشك أن تمتعض:

- حسناً، ما هو الخطأ في ذلك؟ حتى لو لم يكن هناك أي شيء آخر؟ لو أن رجلاً يملك عشرة أرغفة من الخبز وآخر يملك رغيفين، ثم أصبح من الضروري أن يتخلى أحدهما عن رغيف واحد، فمن المؤكّد أنك ستأخذ هذا الرغيف من الشخص الذي يملك عشرة أرغفة.

تبادل برتراند وصديقه النظرات، بينما ارتسمت التعابير المماثلة على وجهيهما، ثم هزّأ أيديهما وابتسما ورفعوا حواجبهما وهما يطلقان الزفرات. لقد بدا الأمر كأن دكسن يقول إنه لا يفهم شيئاً في الفن إطلاقاً، إلا أنه يعرف ما يعجبه.

قالت الفتاة:

- لكننا لا نعتقد أن هناك ضرورة أن يتخلى أحدهما عن رغيف من الخبز يا سيد دكسن. ذلك كل ما في الأمر.
- لا أعتقد أن ذلك كل ما في الأمر.

قال ذلك دكسن في الوقت نفسه الذي تدخّلت فيه مارغريت وهي

تقول:

- دعونا لا نخرج بعيداً عن الموضوع...

ثم قال برتراند:

- إن كل ما في الأمر هو أن الأغنياء...

بدا أن برتراند هو الذي ربح هذه المعركة الصغيرة، إذ قال بصوت

أخذ يرتفع تدريجياً:

- كل ما في الأمر هو أن الأغنياء يؤدّون دوراً مهماً في المجتمع

الحديث أكثر من أي وقت مضى. ذلك كل ما في الأمر، ولا أريد أن أثير

فيكم الضجر بمجموعة التفاهات التي تقول إنهم ساعدوا في تقدم الفنون

وما أشبه. إن حقيقة كونهم مستودعاً للابتذال يثبت القضية، وأنا واحد من

محبّي الفنون كما ترون.

نطق برتراند الكلمة الأخيرة - ترون - على نحو غريب وبطريقته

الخاصة، إذ غيّر فيها حرف العلة، مما جعل شفّيته تفرجان قليلاً لتنطبقا

بعد قليل على حرف آخر. وبعد تفكير قليل أدرك دكسن أنه لا يستطيع أن

يقول أي شيء آخر فاكتفى بالقول بلهجة ساخرة:

- صحيح. أنت كذلك.

وبدا أن ذلك قد شجّع برتراند الذي قال بصوت مرتفع جذب إليه

أنظار جميع من حوله:

- نعم. أنا كذلك. وهل تريد أن أخبرك بالأشياء الأخرى التي أحبّها؟

الأغنياء. إنني أفتخر بعدم قبول هذا في المجتمع اليوم، لماذا أحبّهم؟

لأنهم مثيرون، لأنهم كرماء، لأنهم تعلّموا كيف يقدّرون الأشياء التي

أحبّها أنا شخصياً. لأن بيوتهم عامرة بالأشياء الجميلة، ذلك هو السبب

الذي يدعوني إلى حبّهم، وذلك هو السبب الذي يجعلني لا أريد أن أراهم

يعاقبون؟

في هذه الأثناء صاحت زوجة ولس من ورائهم:
- من هنا يا أعزائي. إذا أردنا انتظار الأب فإننا سنقضي الليل كله في
الانتظار. هل نبدأ؟ لو تفضلتم بالمجيء إلى هنا لأصبح في وسعنا جميعاً
الجلوس.

فقال برتراند:

- حسناً يا أمي.

ثم أخذت المجموعة تعزف. إلا أنه قال قبل أن ينصرف وعينه
مبتتان على دكسن:

- ذلك واضح تماماً أليس كذلك؟

في هذه الأثناء جذبت مارغريت دكسن من كمه، بينما قال بوّد بعد
أن أدرك أن لا رغبة له في المنازلة بعد انتهاء الجولة:

- أوه، نعم يبدو أنك محظوظ بين الأغنياء الذين تعرفهم أكثر مني،
ذلك كلّ ما في الأمر.

فقال برتراند بشيء من الازدراء وهو يقف جانباً كي تتمكن مارغريت
من المرور به.

- ذلك لا يدهشني بتاتاً.

فقال دكسن بغضب:

- حسناً، من الأفضل لك أن تستفيد منهم ما دمت في صحبتهم، لأنه
ربما لن يأتي اليوم الذي ستظلّ فيه برفقتهم كما تعرف.

ثم بدأ ينسحب وراء مارغريت، إلا أن الأنسة كالاهاان أوقفته وهي
تقول:

- أفضل ألا تتكلّم بتلك اللهجة لو سمحت.

نظر دكسن حوله فرأى الآخرين قد اتخذوا أماكنهم في المقاعد،

بينما أخذ عازف الكمان يثبت آلة عزفه تحت ذقنه، فقال بصوت خفيض بعد أن تهاوى على أقرب كرسي:

- هل قلت إنك تفضلين ألا أتكلّم بتلك اللهجة؟

فقالت وهي تجلس جنب برتراند:

- نعم، لو سمحت. إن مثل هذه الأشياء تزعجني. آسفة جداً إنني لا

أستطيع عمل شيء حيال ذلك. أخشى أنها مسألة تخصني.

لو أن دكسن لم يتعلم كره هذه المناقشة عندما بدأتها مارغريت فإنه

ربما لم يجب بالأسلوب الذي أتبعه. وقال:

- هل زرت أي طبيب بشأن ذلك؟

في هذه الأثناء كان عازف الكمان قد مال بالنصف الأعلى من جسمه

وبدأ يعزف لحناً سريعاً لا طعم له بمصاحبة الموسيقى. أما برتراند فقد

مال بجسده وقال مخاطباً دكسن بصوت مرتفع:

- ما الذي تقصده أيها الحقير؟

فقال دكسن وهو يوتّع من توجيه نيرانه:

- من هو طبيبك العقلي؟

- انظر إليّ جيداً يا دكسن! أنت تتحدّث كأنك ترغب في لكمة قوية

على أنفك هذا. أليس كذلك؟

عندما يجد دكسن من يستفزه، فإنه لا يصبح في مستطاعه السيطرة

على ترتيب أفكاره، لذلك قال:

- لو رغبت في ذلك، أعتقد أنك الشخص القادر على توجيه مثل

هذه اللكمة إليّ؟

قطّب برتراند لهذه الجملة الغامضة جيّنه وقال:

- ماذا؟

فقال دكسن بينما كان قلبه يخفق سريعاً وهو يتحوّل من البساطة والهدوء:

- هل تعرف كيف تبدو بلحيتك هذه؟

- حسناً، هيا بنا إلى الخارج قليلاً.

غير أن صوت البيانو طغى في هذه اللحظة على الجملة الأخيرة.

فقال دكسن:

- ماذا؟

في هذه الأثناء التفتت السيدة ولش ومارغريت وجونز والسيد والسيدة (سمث) والمرأة الكونتراليو، وقالوا جميعاً بصوت يشبه صوت قاطرة بخارية تنفث بخارها داخل غرفة زجاجية:

- حسناً...

نهض دكسن ومشى على رؤوس أصابعه باتجاه الباب فحاول برتراند النهوض واللحاق به، إلا أن صديقه حالت دون ذلك.

قبل أن يصل دكسن الباب، دخل ولش وهو يقول دون أن يخفض

صوته:

- أوه، لقد بدأت، أليس كذلك؟

فهمس دكسن:

- نعم. أعتقد أنني...

- من المؤسف أنكم لم تتمكنوا من الانتظار قليلاً. كنت بصدد

مكالمة هاتفية، إذ أتصل بي ذلك الشخص من ... من ...

فقال دكسن وهو يسعى إلى الخروج من الباب:

- سأراك فيما بعد.

- ألا تبقى لسماع بي راسين - غريكر؟

- لن أتأخر كثيراً يا أستاذ أعتقد أنني سوف...

ثم أشار بيده بضع إشارات أراد أن تكون غير مفهومة وأضاف:
- سأعود سريعاً.

ثم خرج وأغلق وراءه الباب تاركاً ولش وهو مقطّب الجبين
كالمعتاد.

* * *

أنشد دكسن:

«كان يسير بسرعة تسعين ميلاً في الساعة في منحدر عندما بدأت صفارته بالصفير. عثر عليه في الحطام ويده على الصمام الخانق...».

ثم توقف فجأة وهو يلهث إذ بدا من الصعب جداً السير في الطريق الرملي الجاف إلى بيت ولش ولا سيما بعد أن احتسى كمية كبيرة من الشراب. ارتسمت على شفثيه ابتسامة حالمة في الظلام وهو يستمتع في ذاكرته بتلك اللحظة المدهشة في الساعة العاشرة. كانت تلك اللحظة أشبه بأولى التجارب الحقيقية في الفن أو الخير الإنساني وهي نشوة غامرة قوية. وبعد أن احتسى آخر قذح في ذلك المساء بحسب ظنه، لاحظ أن الناس كانوا لا يزالون يطلبون المشروبات وأن الناس ظلّوا يأتون، وأن الثقة كانت بادية على وجوههم ولم يكونوا قلقين لأن ستة بنسات جديدة دخلت في منضدة البليارد. وقد استنار روحياً عندما وجد عامل المشرب بسترته البيضاء يدخل بصعوبة حاملاً صندوقين من الشراب.

كانت البلدة الصغيرة والمدينة تقعان في مقاطعتين مختلفتين. كما أن مشارب المحلة تظلّ مفتوحة حتى الساعة العاشرة والنصف في فصل الصيف الذي بدأ رسمياً الآن، على العكس من مشارب المدينة والفندق الذي مكث فيه بصحبة مارغريت. كان يصعب عليه التعبير بالكلمات عن مشاعر الامتنان. ولا يستطيع أن يفِي دينه السعيد ذلك سوى المزيد من النداءات على طلبات الشراب. وأدى ذلك إلى أنه صرف من النقود ما هو فوق طاقته، وشرب أكثر مما ينبغي. ومع هذا لم يشعر إلا بالسعادة والطمأنينة. وبينما هو في طريقه ارتطم بدعامة الباب وأحسّ بالألم، إلا أنه

واصل زحفه حول طوق البيت المفروش بالحصى.

كانت الغرفة الطويلة الواسعة والواقعة عند مؤخرة البيت حيث عزفت فيها الموسيقى تسبح في ظلام دامس، ذلك حسن.

وكانت غرفة الاستقبال تقع وراء تلك الغرفة وقد بدت منارة، كما تنهى إلى سمع دكسن بعض الأصوات لأشخاص يتجاذبون أطراف الحديث. ولما نظر من فتحة في الستارة، رأى ولش وهو يرتدي معطفاً مطرياً أزرق اللون وفيه بعض الخطوط القرمزية ويعتمر قبعة صيد وهو يوشك أن يخرج من الباب ووراءه الموسيقار وسيسل غولد سمث. وهما يرتديان معطفين مطريين أيضاً. وقد بدا أن هؤلاء يوشكون أن يذهبوا إلى بيوتهم. وتخيل دكسن نوع القيادة مع ولش. أما كارول التي كانت ترتدي سترة صوفية خفيفة، فقد تأخرت قليلاً لتبادل هي وبرتاند بضع كلمات. ولم يكن هناك شخص آخر في الغرفة.

كانت إحدى النوافذ القريبة مفتوحة، غير أن دكسن لم يتمكن من سماع الكلمات التي أخذ برتراند ينفّثها بها. إلا أنه استطاع أن يفهم من حركة شفطي برتراند، أنه وجه سؤالاً أجابت عنه كارول قائلة:

- نعم، أمرٌ حسن جداً.

في هذه اللحظة خطا برتراند إلى الأمام وطوّقها بذراعه ولم يتمكن دكسن من رؤية ما حدث بعد ذلك، لأن برتراند كان يقف وظهره إزاء النافذة. ولو أنه قبلها لما كانت القبلة لتستغرق أكثر من لحظة واحدة. حرّرت كارول نفسها من ذراعه وأسرعت إلى الخارج، فلاحق بها برتراند. عاد دكسن إلى غرفة الموسيقى، ودخل من النافذة وفكر في أن ما شاهده فيها لا يصدّق. وعلى الرغم من أنه متمرس بمثل هذا النشاط، وجد في وجوده قريباً منه أمراً غير مقبول. فرؤية سيسل غولد سمث والتحدث إليه عدّة مرات في الأسبوع على مدى عدة أشهر، لم تزد قيمة

ذلك الشخص بل منحه حق المطالبة بشيء، حق المطالبة الذي أثارته رؤية زوجته بين يدي طرف ثالث ولا سيما ذلك الطرف. تمتنى دكسن لو أنه لم يكتشف تلك الفجوة الكائنة بين الستائر، ثم حاول إبعاد المسألة كلياً عن ذهنه، إذ يتعين عليه أن يصبّ اهتمامه على الوصول إلى غرفة نومه دون أن يلحظه أحد.

وجد دكسن أن المغامرة الصغيرة في الدخول من غرفة الموسيقى واحتمال مواجهة شخص ما لا بد أن يتحملها، فقرّر تحسّس طريقه في الظلام، وتهاوى على أحد المقاعد وأغمض عينيه وسمع وهو منشرح صوت سيارة ولش وهي تغادر المكان. بعد لحظة شعر أنه يميل إلى الخلف ومعدته منتفخة. فتح كلتا عينيه مرة أخرى، وشعر أن فكرة تناول القدح الأخير من الشراب كانت فكرة بائسة. نهض من مكانه وأخذ يؤدي تمريناً بسيطاً تعلّمه من قبل عندما كان في سلاح الجو الملكي. لقد تعلّم أن خمسمائة وثبة مع رفع الذراعين ساعدته كثيراً فيما مضى على صفاء ذهنه. أما الآن، فبعد مائة وثمانين وثبات بدا ذهنه أفضل من السابق فأدرك أن وقت الذهاب قد حان.

في منتصف الطريق في القاعة سمع صوت برتراند وهو يضحك، إلا أن ضحكته جاءت مكتومة بسبب الباب، فتسلّق السلالم. كانت غرفته بسبب هوى معماري خاص لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق حمام كبير، حاول فتح الباب الخارجي، غير أن شيئاً لم يحدث، إذ بدا أن الحمام مشغول. ربّما قرّر جونز أن يقطع طريق الغرفة التي يشغلها الشخص الذي شوّه مجلاته.

وقف دكسن منتصباً واتخذ وضعاً لكي يندفع نحو الباب ويفتحه عنوة. ثم أخذ يؤدي حركات خليعة قصيرة. وفي هذه اللحظة فتح شخص ما الباب في الجهة الأخرى من الفسحة القائمة بين السلالم. فلم يجد

دكسن شيئاً يفعلهُ سوى التظاهر بأنه في انتظار دخول الحمام وقد عزّز تلك الفكرة ارتداؤه المعطف المطري.

- ماذا تفعل هنا يا جيمز؟

لم يشعر دكسن بسعادة أكبر عندما علم أن ذلك الشخص لم يكن سوى مارغريت فقال:

- حسناً، ساعديني في الخروج من هنا.

وشعر بسعادة أكبر عندما أومأت له بالمجيء وقادته دون أن تضيف أي كلمة أخرى إلى داخل غرفتها، وفي الوقت الذي أغلق فيه الباب خرج الشخص الذي كان يشغل الحمام. شعر دكسن أن قلبه أخذ يخفق بسرعة وقال:

- حمداً لله على ذلك.

- حسناً، أين كنت طوال المساء يا جيمز؟

وبينما هو يقصّ عليها قصّته، علّق بطريقة عدوانية على تعبيرها وسلوكها اللذين كانا ينطويان على الامتعاض، ذلك الامتعاض الذي سرعان ما تغلّب على إحساسه بالارتياح. ترى ماذا سيكون من شأن مثل هذا التصرف لو أنهما قد تزوّجا؟ في الوقت نفسه تعيّن عليه الاعتراف بأنها كانت تبدو جميلة جداً وهي ترتدي ثوباً أزرق اللون وشعرها البني ينسدل على كتفيها. خلع معطفه وأشعل سيجارة وبدأ يشعر بالتحسّن. أنهى حديثه دون أن يذكر ما رآه من نافذة غرفة الاستقبال.

بعد أن أصغت مارغريت إليه بصمت، ابتسمت ابتسامة رقيقة

وقالت:

- حسناً، أعتقد أنني لا أستطيع أن ألومك. لقد افتقر سلوكه إلى

الكياسة على أيّ حال. كما أدرك لماذا فكرت السيدة نيدي في أن ذلك أمر غريب.

- أوه، هل فكرت في أن ذلك أمر غريب؟ متى قلت لها إنني غادرت المكان؟

- لم أجد الفرصة لأقول أي شيء، لقد أخبرها إيفان بأنك ربما ذهبت إلى أحد المشارب.

- سألوي عنق ذلك الفاسق يوماً ما. يا إلهي! لا بأس. أليس كذلك؟
روح الصداقة العظيمة. من شأن ذلك أن يعكّر صفو علاقتي بنيدي. أرجو ألاّ تسميه إيفان.

- لا تقلق يا دكسن، إذ لم يبذُ على نيدي الاعتراض.
فصاح دكسن بصوت يكتفه الازدراء:

- ما الذي يجعلك على ثقة بذلك؟ لا سبيل إلى الإفصاح عما يجري داخل رأسه. انتظري لحظة هنا. أريد الذهاب إلى الحمام. أرجو ألاّ تغيبني.

عندما عاد دكسن وجد أن مارغريت لا تزال جالسة على السرير إلاّ أنها من الواضح قد وضعت شيئاً من أحمر الشفاه لأجله. فشعر بالسعادة لا لأنها بذلت جهداً في ذلك، بل لأنها تودّ الإعراب عن التقدير. لقد بدأ في الواقع يشعر بأنه على ما يرام ثانية، وظلّ كذلك حتى إنه اتكأ على الكرسي بينما أخذاً يتحدثان عدة دقائق عن بداية الأمسية ثم قالت مارغريت:

- ألا تعتقد أنه ينبغي لك الذهاب، فالوقت متأخر الآن.
- أدرك ذلك. سأغادر في مدى لحظة لقد استمتعت كثيراً.
- وأنا كذلك. إنها المرة الأولى التي نبقي فيها وحدنا مدة... كم مضى علينا؟

جعلت إحدى نتائج هذه الاستفسارات دكسن يظنّ أنه ثمل جداً ومن ثم لا يكون في وسعه تفسير ما فعله، ألا وهو الجلوس على السرير بجانب مارغريت وتطبيق كتفيها بيده وطبع قبلة قوية على فمها. ومهما

كانت الدوافع إلى ذلك، كالرداء الأزرق اللون والشعر غير المشدود وأحمر الشفاه الذي وضعته عمداً وأقداح الشراب المحلي ورغبته في إيصال علاقتهما إلى حافة الأزمة والرغبة في تجنب المزيد من الأسئلة والوعود وقلقه بشأن عمله، فقد كانت النتائج واضحة: فقد طوّقت عنقه بذراعها وبادلته القبلة بحماس، بل بحماس أشدّ من أي وقت تبادلها القبلات ومارسا الجنس في شقتها. خلع دكسن نظارته ثم أزاح نظارتها هي الأخرى ووضعها في مكان ما. قبلها ثانية على نحو أقوى من السابق. وشعر برأسه يدور بسرعة. بعد دقيقة أو دقيقتين لم يكن هناك أي سبب يحول دون وضع يده داخل ياقة رداثها. فما كان منها إلا أن همست بضع كلمات وأحكمت تطويق عنقه بذراعيها.

هل هناك سبب يمنعه من الاستمرار؟ بدا أن في وسعه الاستمرار على الرغم من أنه لا يدري إلى أي مدى. هل يرغب هو في ذلك؟ نعم نوعاً ما، لكن أليس في ذلك إجحاف بحقها؟

تذكر بوهن كيف أنه نصحتها بعدم ممارسة الجنس فترة طويلة نسبياً مدة سنة تقريباً؟ بعد ما حدث لها مع كاجبول. هل هذا إنصاف لها؟ هل هذا إنصاف له؟ إنه لا يستطيع إلا أن يعاملها كصديق من الجنس الآخر. أما بوصفه حبيباً فإنه يبدو أشبه براعي بقر يواجه أول مرة ثوره المدهش. ليس ذلك من الإنصاف له. كما أنه ليس من الإنصاف لها مواجهتها بشيء لا يمكن إلا أن يثير فيها الإزعاج والقلق على المدى القصير، فضلاً عما قد يحدث مستقبلاً. لا، يجب ألا تفعل ذلك. من الناحية الأخرى فكّر دكسن بأنها من المؤكّد ترغب في ممارسة الجنس، فقد شعر بأنفاسها الدافئة والرقيقة على خده، كما أن رغبته التي خمدت قليلاً عادت فاشتعلت فجأة من جديد. لقد خشي في الواقع أن تردّه. لذلك جذب يده ثم عاد ثانية ووضعها على رقبتها هذه المرة. إلا أن الرعشة التي انتابت مارغريت

جعلته يسحب يده بقوة هذه المرة بعيداً، مما جعل من الصعب عليه أن يعيد التفكير ثانية. ثم ران الصمت المطبق عليهما.

بعد فترة قصيرة وبينما هما مستلقيان على السرير، قام بحركة ليست واضحة فحسب، بل لعلها صريحة جداً. أمّا مارغريت فقد وجدت من الصعب تفسير تلك الحركة على الرغم من عنف ردّ فعلها إزاءها. تقدّم دكسن أكثر من السابق دون تردّد. وبعد دحرجة قصيرة وجد نفسه إلى جانب السرير، وبقوة كامنة استطاع أن يعيد رأسه إلى نهاية السرير السفلى. نهضت مارغريت من مكانها وسوّت من وضع رداثها والتقطت معطفه.

وقالت:

- اخرج من هنا يا جيمز.

فنهض على قدميه وتناول معطفه بعد أن رمته إليه وقال:

- إنني آسف. ماذا دهاك؟

فقالت وجسدها الصغير يرتجف من شدة الغضب:

- اخرج من هنا!

- حسناً، لكنني لا أرى أي سبب...

في هذه الأثناء فتحت الباب وأشارت برأسها. كان هناك وقع أقدام على السلالم.

قال لها دكسن:

- انظري. ثمة أحد قادم...

غير أنه في تلك اللحظة وجد نفسه خارج الغرفة ومعطفه على ذراعه ورأسه مصاب بدوار شديد. ثم وجد في منتصف الطريق إلى الحمام الأنسة كالاهاان فقال بأدب:

- مساء الخير.

غير أنها أشاحت بوجهها عنه وواصلت سيرها نحو غرفتها. حاول

فتح باب الحمام بيد أنه وجدته مُغلقةً هذه المرة أيضاً، ودون أن يفكر طويلاً طرح رأسه إلى الخلف وملاً رثيته بالهواء ثم أطلق صرخة غضب مدوية تعيد إلى الأذهان أداء غولد سمث في المقدمة الموسيقية. ثم هرع نازلاً السلالم وعلّق معطفه على المشجب ودخل غرفة الطعام وركع أمام خزانة ربما هي مزيفة أو أصلية تعود إلى القرن الثامن عشر.

في لحظة، تناول دكسن زجاجة من الشراب البرتغالي من بين مجموعة من الزجاجات وكانت تملأ نصف رف داخل الخزانة. من هذه الزجاجات نفسها كان ولش قد سكب لدكسن في المساء السابق أقل كمية من الشراب يمنحها إياه أي إنسان. كانت بعض العبارات المدونة على الزجاجات باللغة الرومانية وفي ذلك شيء من الحق، فهي ليست بريطانية تماماً وليست أجنبية تماماً.

فتح الزجاجات وتمنى لو كان معه بعض الكشمش والبندق. ثم أخذ يحتسي ما في الزجاجات بنهم مما جعل بعض الشراب ينساب على ذقنه ويتسرب إلى ياقة قميصه. كانت ثلاثة أرباع الزجاجات مليئة بالشراب عندما بدأ بالشرب، فأصبحت فارغة تقريباً عندما أنهى شربه، فما كان منه إلا أن أعادها إلى مكانها السابق ومسح فمه بغطاء جده على البوفيه. وهنا شعر بالمتعة الفائقة وتوجّه إلى غرفته دون أي مقاومة.

وهنا سار بضع دقائق وخلع ثيابه على مهل وهو يفكر في ما حدث له مع مارغريت. هل أراد فعلاً ما أوحى به حركاته؟ والجواب الوحيد هو نعم، إلى حدّ ما. إلا أنه لم يكن يتعيّن عليه القيام ببذل المحاولة أليس كذلك؟ أو ليس بتلك القوة على أي حال عندما لم تبدُ راغبة. ثم لماذا قررت أن تبدو راغبة بعد أسابيع كثيرة كانت تبدو فيها عديمة الرغبة؟ لا بد أن السبب يرجع إلى روائي جديد منهمة الآن في قراءة إحدى رواياته. لكن من الطبيعي أن تبدو راغبة على أي حال. وفكر دكسن في أن ذلك

هو فعلاً ما كانت تريده. إنها لا تعرف ماهية الشيء، لكنّ غرائزها كانت تطالب به، ثم يأتي واجبه بعد ذلك. أليس كذلك؟ على أيّ حال، لقد تحمّل ما جرى. لكن هل من العدل توريطها في موقف كهذا بعد كل الذي تحمّلت منه؟ وحالما أدرك دكسن الإطار العقلي الذي يتضمن هذا السؤال، هرع إلى التخلص منه ودخل الحمام وهو يحكم أزرار لباس النوم.

لم يكن الحمام مريحاً مثل غرفة النوم. وعلى الرغم من أن الليلة كانت باردة نسبياً في مثل هذا الوقت من فصل الصيف، شعر بالحرارة وبدأ يتصبّب عرقاً. انتصب فترة من الوقت أمام حوض الغسيل محاولاً اكتشاف عمق مشاعره. بدا جسده متورماً في المنطقة الواقعة تحت الصدر، أمّا الضوء المنبعث من المصباح الكهربائي فلم يبدُ نوراً بقدر ما بدا غازاً فسفورياً رقيقاً جداً. فتح حنفية الماء البارد وانحنى فوق الحوض، وما إن فعل ذلك، حتى أدرك أنه ينبغي له مقاومة دافع داخلي إلى الاستمرار بالانحناء حتى أصبح رأسه بين الحنفيّتين. بلّل وجهه وتناول قدحاً من الرف الزجاجي فوق الحوض وشرب كمية كبيرة من الماء أنعشته حالاً على الرغم من الأثر الجانبي الذي لم يستطع أن يدركه فوراً.

نظف أسنانه باستعمال كمية كبيرة من معجون الأسنان، ثم بلّل وجهه ثانية وملاً القدح مرة أخرى، واستعمل كمية أخرى من معجون الأسنان. وقف بجانب سريره متأملاً، كان وجهه ثقيلاً كأن أكياساً صغيرة من الرمل ثبتت على عدة جوانب منه وأخذت تسحب اللحم من العظام، هذا إذا كانت لا تزال بقية من العظام في وجهه. وفجأة ازداد شعوره سوءاً وأطلق حسرة مروعة، إذ شعر كأن شخصاً وثب من خلفه ووضع في بدلة غوص مصنوعة من مادة غير مرئية من الصوف والكتان. تأوّه بهدوء ولم يرغب في أن يساوره شعور أكبر بأنه ليس على ما يرام.

بدأ يدخل سريره. كانت سجائره الأربع الباقية - هل دخّن فعلاً

انتتي عشرة سيجارة في ذلك المساء؟ - موجودة في العلبة وموضوعة فوق منضدة لماعة قرب سريره ومعها علبة كبريت وقده بلاستيك لشرب الماء ومنفضة سجائر كانت موجودة أصلاً فوق رف المدفأة. وشعر مؤقتاً بعدم استطاعته رفع قدمه الثانية ووضعها على السرير مما جعله يدرك الأثر الجانبي لتناول كل تلك الكمية الكبيرة من الماء: لقد أصبح ثملاً. على رف المدفأة كانت هناك قطعة من الخزف الصيني تمثل شكلاً دينياً مشهوراً في بلدان الشرق جالساً القرفصاء. هل وضع ولش ذلك الشكل في ذلك المكان ليكون موعظة صامتة موجهة إليه في فوائد الحياة التأملية؟ فإذا كان الأمر كذلك، فإن الرسالة وصلت بعد فوات الأوان. مدّ يده وأطفأ النور من الزر المتدلي فوق رأسه. بدأ يشعر بأن الغرفة أخذت ترتفع إلى الأعلى من نهاية السرير اليمنى السفلى، لكن على الرغم من ذلك، بدت كأنها تحتفظ بموقعها نفسه. ألقى جانباً الأغطية وجلس على حافة السرير وساقاه متدليتان. فوجد أن الغرفة احتفظت بوضعها الاعتيادي. بعد عدة لحظات سحب ساقيه إلى الخلف واضطجع ثانية فوق السرير، ف شعر أن الغرفة أخذت ترتفع به. وضع ساقيه على الأرض فوجد أن الغرفة أصبحت ساكنة. في هذه الأثناء وضع ساقيه على السرير، لكنّه لم يضطجع فوجد أن الغرفة أخذت تتحرك ثانية. فجلس على حافة السرير، لا شيء. وضع ساقاً واحدة فوق السرير. فحصل شيء ما، بل شيء كثير في الواقع. من الواضح إنه في وضع دقيق جداً. فأخذ يسبّ ويلعن بصوت عال وهو يكدس الوسائد، وأتكأ عليها جزئياً ومدّ ساقيه حتى منتصفها فوق السرير. بهذا الوضع بعينه استطاع دكسن أن يرخي جسمه بحذر ويخلد إلى النوم.

* * *

عاد دكسن إلى الحياة مرة أخرى. فقد عاد إلى وعيه قبل أن يتخلص من شيء ثقيل أَلَمَ به، ذلك الشيء الذي لم يكن التجوال الفاتن في أروقة النوم، بل ذلك التقيؤ السريع الذي اضطّر إليه. كان ممدداً عاجزاً عن الحركة، والقيء يندفع من فمه، ويبدو أشبه بعنكبوت على لوح المصباح المكسو بالقطران، لقد ألمه الضياء لكن ليس بالقدر الذي ألمه النظر إلى الأشياء، وبعد أن ألقى نظرة واحدة، عزم على ألا يحرك عينيه ثانية، كما استمرّ الطرق الخافت في رأسه مما جعل المشهد كله ينبض أمامه، وأحس أن مخلوقاً ما ليلياً استخدم فمه مرحاضاً أولاً ومرقداً ثانياً. وفي الليل أيضاً كان يعاني وهو يقطع البلاد طولاً وعرضاً حتى تمكن منه رجال الشرطة السرية وأشبعوه ضرباً مما زاد إحساسه أنه ليس على ما يرام.

مدّ يده ولبس نظارته فرأى حالاً أن أغطية السرير أمامه كانت في حالة غريبة. اعتدل في وضعه قليلاً فرأى منظراً زاد شدة الطنين في رأسه، كانت قطعة كبيرة من الملاء المقلوبة على السرير مفقودة. كما أن قطعة أصغر منها قليلاً من البطانية المقلوبة أيضاً كانت مفقودة هي الأخرى، وأن قطعة بحجم كفّ يده من الجزء الرئيس من البطانية العلوية كانت مفقودة أيضاً. ومن الثقوب الثلاثة التي بدت حافاتها سوداء اللون استطاع أن يرى لطخة بنية اللون على البطانية الثانية. مرّر إصبعه حول ثقب الملاء، ثم نظر إليه فوجده ملطخاً بلون رمادي داكن وذلك يعني أنه رماد. والرماد يعني حريقاً، والحريق لا بد أن يعني سيجارة. هل احترقت سيجارته كلها على البطانية؟ فإذا لم تحترق، أين هي إذا الآن؟ إنها غير موجودة على السرير أو داخله... مال إلى الجانب وهو يصرّ أسنانه، فرأى قناة بنية اللون

صغيرة الحجم تنتهي بقصاصة صغيرة من الورق عديمة اللون، وتمتد فوق قطعة رقيقة من السجادة الغالية الثمن على ما يبدو. شعر بحزن شديد لهذا المنظر وهو شعور ازداد عندما نظر إلى المنضدة الكائنة جوار السرير حيث شاهد أخذودين متفحمين لونهما أسود يميل إلى اللون الرمادي اللامع وفي بعض المناطق يتخذان شكل زاويتين حادتين ويتهيان بمنفضة السجائر التي كانت تحتوي على عود ثقاب مستعمل. أما على المنضدة فقد كان هناك عودان آخران غير مستعملين، بينما كانت بقية العيدان وعلبة السجائر الفارغة على أرض الغرفة، إلا أنه لم يجد أي أثر لقدح الماء.

أفعل بنفسه كل ذلك؟ أم أن لصاً اقتحم عليه الغرفة؟ هل كان ضحية التبع؟ فكّر في أنه لا بد قد قام بنفسه بهذه الأشياء، وتمنى لو أنه لم يفعلها إذ من المؤكد أن ذلك سيعني خسارته وظيفته خصوصاً إذا لم يذهب إلى السيدة ولش ويعترف لها بما فعله، مع أنه لا يستطيع القيام بذلك. ولم يجد عذراً يخلو من تبريرات لا يمكن تفسيرها. فإضرام النار لا يمكن السكوت عنه خصوصاً إذا كشف أن السكر يفضل على الالتزامات إزاء المضيفين والضيوف وحفلة الموسيقى. وكان الأمل الوحيد يكمن في ألا يعير السيد ولش الأمر اهتماماً عندما ستخبره زوجته عن احتراق أغطية السرير. غير أن ما عرف عن ولش هو دقة الملاحظة، كالهجوم الذي شتّه على كتاب طالبه في تلك المقالة على سبيل المثال. إلا أن ذلك الهجوم لم يكن إلا هجوماً على ولش نفسه في الواقع، كما أنه لن يهتم كثيراً بما حدث للملاء⁽¹⁾ والبطانيات ما دام أنه لم يستعملها شخصياً في ذلك الوقت. تذكر دكسن عندما فكّر ذات مرة في إحدى المناسبات السابقة في أن الترنج بفعل الشراب قرب غرفة الاستراحة بوجود ولش وتوجيه اللكمات إلى زجاج النوافذ والعبث بالمجلات من شأنه أن يغيب عن نظر ولش كلياً،

(1) الملاء: جمع ملاءة وهي ما يغطى به السرير.

شريطة أن يظلّ شخصه مصنوعاً لا يمسه شيء، تذكر أيضاً إحدى الجمل الواردة في كتاب وضعه ألفرد بيزلي سبق له أن تصفّحه وهذه الجملة هي: «لا يمكن للدماغ أن يتلقّى الحافز إلاّ إذا كان الأخير يشبع حاجة عضوية» فبدأ بالضحك الذي سرعان ما تحوّل إلى رجفة.

نهض من سريره وذهب إلى الحمام، ثم عاد بعد دقيقة أو اثنتين وهو يحمل شفرة حلاقة ومعجون أسنان وبدأ يقطع بعناية الحافات المحروقة للأغطية بالشفرة. لم يدرك السبب الذي دفعه إلى القيام بذلك غير أن العملية بدت فعلاً مفيدة، إذ لم يعد سبب الكارثة واضحاً جداً للعيان، وعندما عدل جميع الحافات، انحنى إلى الأسفل ببطء كأنه أصبح رجلاً كبير السن، وقصّ الجزء المناسب من السجادة ووضع المخلفات في جيب سترته آملاً أن يأخذ حماماً ثم يهبط إلى الطابق الأسفل ويتصل ببيل أتكنسن طالباً منه الاتصال ليسلم رسالته الخاصة به في موعد يسبق الموعد الذي اتّفقا عليه. جلس على حافة السرير لحظة للتخلّص من الإجهاد الذي جعله يحسّ بالدوار بفعل السجادة، وقبل أن ينهض ثانية دخل شخص ما الحمام المجاور ثم سمع السلسلة الحديدية تجذب من مكانها والماء يندفع في المرحاض، كما سمع بعد ذلك صوت الماء وهو يتدفّق من الحنفية. لعل ولش أو ابنه أو جونز يوشك أن يأخذ حماماً. ومهما كانت هوية الشخص فقد تحدّدت بعد أن شرع ذلك الشخص في الغناء بصوت عميق ينقصه المران. كانت الأغنية معروفة لدكسن وهي لموزار. من المؤكّد أن برتراند من غير المحتمل أن يغني أي شيء، كما لم يخف جونز عدم اهتمامه بأي موسيقى تسبق رچارد شتراوس. تحرّك دكسن ببطء شديد كأنه مارد الغابة يرزح تحت الفأس ووضع وجهه الحار فوق الوسادة. من شأن ذلك الوضع أن يمنح دكسن الوقت الكافي لكي يستجمع شتات أفكاره، إلاّ أنه في الواقع لم يكن يرغب في ذلك قطّ. فكلّما استطاع أن

يعد أفكاره بعضها عن بعض بخاصة الأفكار التي تراوده عن مارغريت، كان ذلك أفضل. إنه أول مرة، لم يستطع أن يتجنب ما ستقوله له، هذا إذا كانت ستقول أي شيء عندما يلتقيها المرة القادمة. دفع لسانه تحت أسنانه السفلى، ثم لوى أنفه بشدة وهذر بضع كلمات. كم من الوقت سيمضي قبل أن يتمكن من إقناعها بفتح درج لوحها وإفراغه كمقدمة للصراع الهائل الذي سيخوضه لجعلها تصغي إليه وهو يعتذر؟ بذل جهده لكي يستمع إلى أغنية ولش ويتعجب من نبوءتها المعاكسة تماماً وتكريسها المتكشف الذي لا مراوغة فيه للملل والضجر، غير أنه لم يفلح. ثم حاول أن يشعر بالبهجة للموافقة على نشر مقالته، إلا أن كل ما استطاع تذكره عدم اهتمام ولش على ما يبدو بسماع ذلك النبأ، ونصيحته الساخطة له كما فعل بيزلي بأن يحصل على «موعد محدد للنشر وإلا فإن ذلك لا يعني شيئاً يا دكسن لا شيء». جلس في مكانه ووضع قدميه بتؤدة على الأرض. هناك خطة بديلة من خطة أتكنسن، وهي الخطة البسيطة واللطيفة للخروج حالاً دون تبادل كلمة واحدة مع أي شخص، لكن هذه الخطة لن يصيبها النجاح على أي حال إلا إذا توجه إلى مكان بعيد جداً من مثل لندن. ما الذي يحدث في لندن الآن؟ بدأ يخلع ثياب النوم بعد أن قرّر أن يستغني عن الحمام. من شأن تلك الشوارع والساحات الفسيحة أن تكون مهجورة في مثل هذه الساعة ما عدا قلة من الأشخاص الوحيديين والمسرعين. في وسعه أن يتصور كل شيء في خياله وهو يتذكر عطلة نهاية الأسبوع التي قضاها في لندن إبان الحرب. أطلق زفرة وفكر في مدن أخرى مثل مونت كارلو أو تركستان الصينية ولم يفكر في شيء وهو يسير على أرض الغرفة بينما إحدى رجله لا تزال في ثياب النوم والثانية خارجها، إلا في الألم الذي كان يشعر به في رأسه كأنه ماء يتدفق فوق قصر من الرمال، تشبّت برف المدفأة وكاد أن يسقط التمثال الشرقي للشخص، وانهار كأنه أصيب بطلق

ناري كما يحدث في أفلام رعاة البقر. هل هناك في تركستان الصينية يا ترى أشخاص من مثل مارغريت وولش؟

بعد دقائق معدودة ذهب إلى الحمام، فوجد أن ولش ترك بعض الأوساخ حول الحمام والبخار على المرأة. بعد قليل من التفكير مدد دكسن يده وكتب على البخار: نيد ولش أحرق له وجه يشبه مؤخرة الثور. ثم مسح الزجاجة بمنشفة ونظر إلى نفسه. لم يبدُ عليه في الواقع أنه كان متوعكاً جداً على أي حال، بدا أفضل مما كان يشعر. كان شعره قد بدأ يقف فوق رأسه على الرغم من محاولة تمشيطه باستخدام فرشاة مبللة بالماء. فكّر في استخدام الصابون بديلاً من دهن الشعر، إلا أنه قرّر عدم فعل ذلك لأنه استخدم هذه الوسيلة عدة مرات من قبل فجعلت شعر رأسه القصير عند جانبي الرأس يبدو مثل ريش البط، أما نظارته فقد أضحت جاحظة أكثر مما هي عليه، لكنه على الرغم من كل شيء فكّر في أنه يبدو كالمعتاد متمتعاً بصحته ونزيتها ورقيقاً، وينبغي له أن يقتنع بذلك.

كان مستعداً تماماً للهبوط إلى الطابق الأسفل والذهاب إلى الهاتف عندما عاد مرة أخرى إلى الغرفة وتفحص أغطية السرير الممزقة. كانت تبدو غير مرضية إلى حد ما، إلا أنه لم يستطع أن يفسر ذلك. خرج وأحكم غلق باب الحمام الخارجي وأخذ شفرة الحلاقة وبدأ يعالج حافات الثقوب ثم رجع قليلاً إلى الورااء وبدأ ينظر إلى ما فعله، فوجد أن منظر الأغطية أفضل من السابق. فقد بدت الثقوب كأنها حدثت بسبب العث أو النخر الجاف وليس من عمل أي شخص، ثم غير من وضع السجادة لكي يصبح الجزء المحترق غير بعيد عن أحد الكراسي القريبة. فكّر في أخذ المنضدة الموجودة بجانب السرير إلى الطابق الأسفل ورميها بعد ذلك من الحافلة وهو في طريق عودته، إلا أن صوتاً مألوفاً تنهى إلى سمعه وهو يغني. ارتفع الصوت كأنه هاجس شيء مخيف أو ضارّ إلى أن بدأ باب الحمام

ومقبضه بالاهتزاز. توقّف الغناء إلى أن جذب المقبض، ثم استمر، بل رافقه رفس الباب ودفعه بالكتف كما يبدو. لم يفكر ولش في أن الحمام ربما كان مشغولاً من قبل شخص آخر عندما أراد العودة لاستخدامه ثانية - ما هو السبب الذي يدعوه إلى العودة إليه ثانية؟ - كما أنه لا يدرك الآن ذلك. جاهد ولش لكي يفتح الباب بطرقه أو ركله بحذائه بعد أن فشل في فتحه بيده، وأخيراً عاد من حيث أتى وسمع صوت باب يغلق.

غادر دكسن الحمام ودموع الغضب تملأ عينيه مما جعله يطأ دون قصد القدح ويحطّمه، نظر إلى الساعة الموجودة في الطابق الأسفل فوجدها تشير إلى الثامنة والدقيقة العشرين، فاتّجه إلى غرفة الاستقبال حيث يوجد فيها الهاتف. فرح لأن أتكنسن اعتاد الاستيقاظ مبكراً صباح أيام الأحاد وجلب الصحف من الخارج، إذ من شأنه أن يضبطه متلبساً وهو في طريقه. التقط دكسن سماعة الهاتف، لكن ما أزعجه أكثر من أي شيء آخر في الدقائق الخمس والعشرين التالية هو التنفيس عن مشاعره دون أن يسبّب ذلك ألماً شديداً في رأسه، إذ لم يأت شيء من السماعة في ذلك الوقت إلاّ صوت يشبه همس القواقع البحرية الخافت، وبينما هو يجلس على ذراع أحد الكراسي الجلدية، تهياً له أن كل من في البيت أخذ ينشط من حوله. فقد سمع صوت وقع أقدام فوق رأسه في الطابق العلوي، بينما نزل آخرون ودخلوا غرفة طعام الإفطار، ثم جاء أشخاص آخرون من مؤخرة المنزل ودخلوا بدورهم غرفة طعام الإفطار، وفي طرف قصي من المكان تناهى إلى سمعه صوت المكنسة الكهربائية، وشخص ما يجذب سلسلة خزان الماء في أحد المرافق الصحية، بينما أغلق شخص آخر أحد الأبواب بقوة ونادى رابع بصوت عال على أحد ما. ولما أدرك أن حشداً ما أخذ يتجمّع حالاً خارج باب غرفة الاستقبال، ترك سماعة الهاتف وغادر المكان وهو يحسّ بالآلام في مقعده بسبب جلوسه في مكان ضيق

وآلام أخرى في ذراعه بسبب هزّة قاعدة جهاز الهاتف.

تعود أساليب تقديم طعام الإفطار في منزل أسرة ولش إلى فترة زمنية سابقة، شأنها في ذلك شأن الكثير من أساليب تفكيرهم. فالطعام يحتفظ به في البوفيه في أطباق الإحماء كما ختم دكسن. كما أن كمية الغذاء وتنوّعه أعادا إلى الأذهان فكرة أن زوجة ولش كانت تساعد زوجها في راتبه الجامعي بقسط لا بأس به من راتبها، وطالما تعجّب دكسن كيف استطاع ولش أن يتوصّل إلى الزواج بالنقود. إذ يكاد السبب لا يتعلّق بأي فائدة شخصية سواء أكانت حقيقية أم مفترضة، كما أن التقلبات التي يمرّ بها فكر ولش لا تترك مجالاً للبخل، لعل الرجل العجوز قد حصل في وقت ما أيام شبابه على ما يفترق إليه حالياً وهو أسلوبه. لكنّ دكسن شعر، على الرغم من الانهيار الذي سبّبه له الصداع والغضب، بالسعادة وهو يفكر في نوع الطعام الذي سيكون متوافراً هذا الصباح، والذي سيكون دليلاً ملموساً على رفاهية آل ولش. ذهب إلى غرفة طعام الإفطار ومعه الأغذية بينما ظلّت مارغريت بعيدة جداً عن طريق عقله.

لم يكن في الغرفة سوى الأنسة كالاهاان التي كانت تجلس وأمامها طبق مملوء بالطعام. ألقى عليها دكسن التحية فقالت بصوت حيادي لا عداة فيه:

- أوه، صباح الخير.

وسريعاً قرّر أن يتعامل معها بصراحة كأفضل وسيلة لإخفاء خشونته السابقة أو القادمة. لقد استطاع أحد أصدقاء والده، وكان بائع مجوهرات، أن يتخلّص من حديث الشتائم طوال السنوات الخمس عشرة التي عرفه فيها دكسن باستخدام هذه الطريقة. فقال بلهجة فيها تشديد على اللكنة الشمالية:

- أخشى أنني أخطأت في حقك الليلة الفائتة.

فرفعت نظرها إليه فهاله جمال رقبتها وقالت:

- أوه، لو كنت مكانك لما ألتفتني الأمر كثيراً، فأنا الأخرى لم أتصرف تصرفاً جيداً.

فقال وهو يتذكر أنه استخدم سابقاً هذا التعبير لإثارة بهجتها.

- جميل جداً أن تنظري إلي الأمر بهذه الطريقة. لقد تصرفت تصرفاً سيئاً على أي حال.

- حسناً، أرجو أن تنسى الأمر.

- إنني سعيد بذلك، شكراً جزيلاً.

ثم ساد الصمت فترة قصيرة لاحظ فيها سرعتها في الأكل والكمية الكبيرة التي تتناولها، كما لاحظ بقايا بركة كبيرة من المرق في صحنها بجانب كمية كبيرة من البيض المقلي واللحم والطماطم، وبينما هو يراقبها عادت فأخذت كمية أخرى من المرق من الزجاجه، ثم نظرت فوجدته يتأملها باهتمام. فرفعت حاجبها وقالت:

- إنني آسفة. فأنا أحب المرق. أرجو المعذرة.

لاحظ دكسن أنها احمرّت خجلاً بعد أن تفوهت بجملتها الأخيرة فقال من أعماق قلبه:

- لا بأس بذلك. إنني مولع به أيضاً.

ثم دفع جانباً صحنه وكان مملوءاً برقائق الذرة وكانت من نوع لا يحبه، إذ استخدم الشعير في إعدادها، وكانت رؤيته البيض والطماطم واللحم سيئاً دفعه إلى تأجيل تناول طعامه. فقد شعر وهو يجلس أن المريء والمعدة مسدودان تماماً. صب له فتجان قهوة وأخذ يشربه ثم ملاء ثانية. بعد قليل سأله الفتاة:

- ألا تتناول شيئاً؟

- ليس الآن. لا أعتقد.

- ما الأمر؟ أشعر أنك على ما يرام؟

- كلا. كلا في الواقع لا بد من الإقرار بذلك. إنني أشعر بصداخ خفيف.

- «أوه، لقد ذهبت إلى المشرب إذاً، كما قال ذلك الرجل، ما اسمه؟» فقال دكسن وهو يحاول أن يضيف انطباعاً حسناً على صاحب الاسم بلفظه بطريقة خاصة:

- جونز، لقد ذهبت حقاً إلى المشرب.

- لا بد أنك شربت كمية كبيرة.

قالت ذلك بعد أن توقفت عن تناول الطعام، إلا أنها ظلت تمسك بالشوكة والسكين وقبضتها فوق غطاء المائدة مما جعله يلاحظ أصابعها والأظافر المديّة وقال:

- أعتقد أنني شربت كمية كبيرة.

- كم شربت؟

- أوه، إنني لا أحصي عدد الأقداح. إنها عادة سيئة أن يحصي المرء عدد الأقداح.

- نعم، لكن كم العدد تقريباً؟

- أوه، سبعة. أو ربما ثمانية.

- أفلاح من الشراب أليس كذلك؟

- أوه، نعم، أعتقدين أنني أبدو كمن يستطيع شرب المشروبات

الأخرى؟

قال ذلك وهو يتسم لاعتقاده أنها تبدو لا بأس بها على أي حال، وأن الزرقة التي تشوب بياض عينيها ساعدت على إضفاء علامات الصحة عليها. غير فكره بسرعة بشأن ملاحظته الأولى، وفقد الاهتمام بالثانية عندما قالت: «حسناً، إذا كنت تشرب بهذا القدر، فما عليك إلا أن تتوقع

أنك ستبدو شاحباً في اليوم التالي. أليس كذلك؟»

قالت ذلك ثم اعتدلت في جلستها.

تذكر دكسن أباه الذي ظل يرتدي الياقات البيض الصلبة حتى اندلاع الحرب، والتي نبه له عدم استعمالها بائع المجوهرات بوصفها غير لائقة، وهذا هو الاعتراض نفسه الذي أبداه دكسن إزاء كريستين وقال ببرود نوعاً ما:

- نعم. لا بد من توقع ذلك. أليس كذلك؟

وتذكر أن هذه العبارة كان قد التقطها من كارول غولد سمث. لقد جعله التفكير فيها يتذكر لأول مرة في ذلك الصباح العناق الذي شاهده في الليلة السابقة، وأدرك أن ذلك له أثره القوي في الفتاة وفي غولد سمث على حدّ سواء. «حسناً، يبدو أن في استطاعتها الاهتمام بنفسها»، وقالت:

- لقد سألت الجميع أين ذهبت ذلك المساء؟

- لم أشك في ذلك. أخبريني كيف كان ردّ فعل السيد ولش؟

- تجاه أي شيء؟ تجاه اكتشافه أنك ربما ذهبت إلى المشرب؟

- نعم، هل بدا عليه الانزعاج؟

- ليس عندي أي فكرة في الواقع.

ثم أضافت بعد أن شعرت أن ذلك قد يكون عديم المعنى:

- أنا لا أعرفه أبداً، لهذا لا أستطيع إخبارك، يبدو أنه لاحظ شيئاً،

أرجو أن تفهم ذلك.

فهم دكسن ما تعنيه الفتاة، كما شعر أن في وسعه تناول البيض

واللحم والطماطم الآن، فنهض لجلب الطعام وهو يقول:

- حسناً، ذلك يبعث على الارتياح حقاً، أعتقد أنه لا بد لي من

الاعتذار إليه.

- إنها فكرة حسنة.

قالت ذلك بلهجة جعلته يدير ظهره إلى الخزانة لحظة، لقد شعر

بالكراهية تجاه الفتاة وصديقها حتى إنه لم يستطع أن يفهم لماذا لم يكره

كل منهما الآخر. وفجأة تذكر أغطية السرير. كيف يمكن أن يكون بهذه الدرجة من الحماسة؟ لا يمكن أن يترك الأمور على تلك الحالة، لا بد أن يفعل شيئاً ما. لا بد له من الذهاب إلى غرفته بأسرع وقت وملاحظة ما يمكن أن توحى به، وفجأة قال وهو يتمالك نفسه:

- أوه يا إلهي، أعتقد أنه ينبغي لي الذهاب الآن...

- أينبغي لك أن تعود الآن؟

- إنني لن أغادر، في الواقع حتى.. أقصد أن... ينبغي لي الصعود

إلى الطابق الأعلى.

وعندما شعر أن عذره هذا واه، أضاف وهو لا يزال يمسك بغطاء

أحد الأواني:

- هناك شيء ليس على ما يرام في غرفتي ويتعين عليّ أن أغيره.

ثم نظر إليها فرأى عينها تتسعان وأردف:

- لقد شبّ حريق في غرفتي الليلة الفائتة.

- هل أضرمت النار في غرفتك؟

- لا لم أضرمها عمداً، لقد أشعلت سيجارة فاحترق المكان.

تغير تعبيرها ثانية وقالت:

- هل احترقت غرفة نومك؟

- السرير فقط، لقد احترق بفعل السيجارة.

- أتقصد أنك أحرقت السرير؟

- نعم.

- بفعل السيجارة؟ ألم تقصد ذلك؟ لماذا لم تطفئها إذًا؟

- كنت نائماً ولم أحسّ بها إلى أن استيقظت.

- كان ينبغي لك أن تطفئها، ألم تحرقك؟

- لا يبدو ذلك.

- أوه، يا لها من حادثة.

ثم نظرت إليه وهي تطبق شفيتها الاثنتين وأخذت تضحك بطريقة تختلف تماماً عن الطريقة التي كانت تضحك بها في الليلة السابقة. فكّر دكسن في أن ضحكها كانت تفتقر إلى الجرس الموسيقي. في هذه الأثناء تدلت خصلة من شعرها الأشقر الذي مشطته بعناية، فعدلت من وضعها وقالت: «حسناً، ما الذي ستفعله بشأنها؟»

- لا أدري، لا بد لي من عمل شيء ما.

- نعم، إنني أتفق وإياك في ذلك. ينبغي لك أن تبدأ ذلك بسرعة قبل أن تراها الخادمة.

- أعلم ذلك، لكن ما الذي ينبغي لي أن أفعله؟

- هل الوضع سيئ؟

- جداً، لقد احترقت قطع كبيرة بأكملها.

- أوه، حسناً. إنني لا أدري حقاً ما أقول، إلا إذا رأيت ذلك. ما

لم... كلا لن يفيد ذلك.

- انظري إليّ. أعتقد أن في وسعك الصعود و...

- إلقاء نظرة عليها؟

- نعم. أعتقد أن ذلك في استطاعتك؟

اعتدلت في جلستها وفكرت قليلاً، ثم قالت:

- نعم. هذا حسن جداً. إنني لا أضمن لك أي شيء.

- لا. لا.

ثم تذكر بسعادة أن لديه بعض السجائر فأضاف:

- شكراً جزيلاً.

وبينما هما يتجهان نحو الباب قالت له:

- ماذا بشأن طعام فطورك؟

- أوه، سأستغني عنه. لا وقت لدي الآن.
- لو كنت مكانك لما استغنيت عنه لأن طعام الغداء لن يكون غنياً.
- لكنني لن أنتظر حتى... أعني ليس لدي الوقت الكافي... انتظري لحظة...

ثم اندفع عائداً إلى الخزانة والتقط بيضة مقلية وحشرها بكاملها في فمه، راقبته وهي تضم ذراعيها إحداها إلى الأخرى وتنظر إليه نظرة خالية من التعبير. وبينما هو يلوك الطعام بين أسنانه، تناول قطعتين من اللحم أودعهما فمه ثم أشار إليها بالذهاب وعلامات الغثيان تبدو عليه.

خرجوا من القاعة واتجها إلى السلالم. تناهى إلى سمعها صوت آلة الأوكريئة الموسيقية من بعيد. لعل ولش تناول إفطاره في غرفته. واكتشف دكسن بارتياح أن في وسعه فتح باب الحمام. فنظرت إليه الفتاة نظرة صارمة وقالت:

- لماذا ندخل هنا؟
- إن غرفتي تقع على الطرف القصي من الحمام.
- أوه، أدرك ذلك، يا له من أمر غريب.
- أعتقد أن ولش العجوز بنى هذا الجزء من المنزل، وكان سيكون أفضل لو جعل الحمام بعيداً عند نهاية غرفة النوم.
- أعتقد كذلك، يا إلهي. لا بد أنك ذهبت إلى المدينة أليس كذلك؟

دخلت الفتاة الغرفة وأشارت بإصبعها إلى الملاءة والبطنيات كما تعرض في أحد المتاجر وقالت:

- لكن لا يبدو هذا كأنه حرق. يبدو أنه مقصوص بشيء ما.
- نعم لقد قصصت الحافات المحروقة بشفرة حلاقة، إذ فكّرت في أن ذلك يجعل منظرها أفضل مما لو تركتها وأثار الحريق بادية عليها.

- لماذا فعلت ذلك بحق السماء؟

- إنني لا أستطيع أن أشرح ذلك في الواقع. لقد فكّرت في أن ذلك سيجعلها تبدو أفضل.

- حسناً، هل حصل ذلك كلّ بفعل سيجارة واحدة؟

- لا أدري، يحتمل ذلك.

- لم تكن مضطراً إلى فعل ذلك كلّ إضافة إلى المنضدة والسجادة، لم أتصوّر أنني سأكون طرفاً في هذا كله.

قالت ذلك وهي تصرّ أسنانها التي بدا الصف الأمامي منها يفتقر إلى الانتظام قليلاً، وكان هذا الشيء يبدو مثيراً لرباطة جأشه أكثر من أي شيء آخر، وأخذ يفكر في أنه لاحظ ما يكفي بشأنها الآن فقال: «شكراً لك».

ثم نهضت وأطبقت شفتيها وبدا عليها التفكير وقالت:

- أعتقد أن أفضل شيء نستطيع عمله هو إعادة ترتيب السرير بكل ما فيه من ضرر وإخفاؤه تماماً عن الأنظار. في وسعنا وضع البطانية المتضررة قليلاً إلى الأعلى، ووضع البطانية السفلى على الجانب. ماذا بشأن ذلك؟ من المؤسف أن ليس هناك أي حشوة.

- نعم يبدو لي ذلك جيداً، لا بد أنهم سيكتشفون الأمر عندما يعيدون ترتيب السرير، أليس كذلك؟

- صحيح، إلّا أنهم ربما لن يربطوا ذلك بالتدخين خصوصاً بعد التغييرات التي أجريتها بشفرة الحلاقة، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن يتعيّن عليك وضع رأسك عند نهاية السرير والتدخين، أليس كذلك؟

- تلك نقطة مهمة في الواقع. من الضروري أن ننهي الأمر بأسرع وقت.

سحب دكسن السرير، بينما أخذت الفتاة تراقبه وذراعاها مضمومتان إحداهما إلى الأخرى. ثم شرع الاثنان في إعادة ترتيب كل شيء. وبينما هما منهما كان سمعا صوت المكنسة الكهربائية يطغى على صوت جهاز

التسجيل الذي يملكه ولش. في هذه الأثناء أخذ دكسن يتفرّس في الفتاة، على الرغم من عزمه على غضّ النظر عن أي شيء فيها، رأى أنها أجمل بكثير ممّا تصوّر.

ووجد نفسه يرغب في تغيير ملامح وجهه وصوته كما كان يفعل كلما أوكّل إليه ولش مهمة، أو عند رؤية ميشي عن بعد، أو التفكير في السيدة ولش، أو عند إخبار بيزلي بشيء أتى جونز على ذكره. أراد أن يفجّر مكنوناته وأن يدفع الهواء من فمه على نحو يستطيع معه أن يكبح المشاعر التي أثارها فيه: السخط والألم والامتعاض والنكاية والغضب اللامجدي وأشكال الألم المختلفة جميعها. لقد أخطأت الفتاة مرتين، الأولى عندما بدت بذلك الشكل، والثانية عندما ظهرت أمامه وهي تبدو بذلك الشكل، وهو يستطيع تحمل ملكات الحب العاديات، كممثلات الأفلام الإيطالية وزوجات أصحاب الملايين والفتيات المنشورة صورهن في التقاويم، بل إنه يستطيع القيام بأكثر من ذلك، فهو يحب النظر إليهن. أمّا الفتيات من هذا الطراز، فإنه ما من شأنه أن ينظر إليهن بتاتاً. وتذكّر أنه قرأ ذات مرة في أحد الكتب أن رجلاً ما ادّعى أنه ارتوى من الحب مثل أفلاطون أو ريلكه، وقال إن الحب شعور يختلف، نوعاً لا درجة فحسب، عن المشاعر الجنسية الاعتيادية. فهل هو الحب الذي كان يشعر به إزاء مثل هذه الفتاة؟ فهو لم يسبق له أن أحس أو تصور أي مشاعر تشبه إلى حدّ كبير ما يفكر فيه الآن. بيد أنه على الرغم من الدعم المشكوك فيه الذي يقدمه أفلاطون أو ريلكه، فهو يملك البحث الخاص بالموضوع الذي يناقش ذلك. حسناً، ما هو إذاً إن لم يكن الحب؟ لا يبدو ذلك شبيهاً بالرغبة، فهو عندما جلس قربها عند طرف السرير بعد إكمال ثنيه آخر زاوية شعر برغبة شديدة في مدّ يده ولمسها. غير أنه لو أقدم على مثل هذا العمل لبدا أمراً طبيعياً له ولا اعتراض عليه، وكأنه يمدّ يده لتناول ثمرة خوخ من صحن الفاكهة. وعلى أي حال، فإن هذا كله، ومهما أطلق عليه من التسميات، ما هو إلا أمر لا

يستطيع حياله فعل أي شيء.

وقالت الفتاة:

- أعتقد أنه يبدو الآن جميلاً جداً، ولا يمكنك تخمين ما موجود تحته إن لم تكن لديك أي فكرة عن الموضوع.
- نعم، شكراً جزيلاً على الفكرة والمساعدة.
- أوه، لا بأس. ما الذي ستفعله بشأن المنضدة؟
- لقد فكرت في الأمر. فهناك غرفة توضع فيها الأمتعة القديمة غير الصالحة للاستعمال عند نهاية الممر، وهي مملوءة بالأثاث القديم والكتب العفنة وما أشبه. لقد أرسلوني مساء أمس إلى هذه الغرفة لجلب حامل للنوتة الموسيقية. أعتقد أن تلك الغرفة تصلح مكاناً لهذه المنضدة. فإذا ذهبت ورأيت إن كان الطريق خالياً فإنني سأهرع بالمنضدة إليها.
- اتفقنا. أعتقد أن تلك فكرة عظيمة. فبعد أن تخفي المنضدة لن يصبح في ميسور أحد أن يربط الشراشف بالتدخين. سوف يفكرون في أنك ربما مزقتها بقدمك وأنت تتخبط في كابوس.
- أيسبب كابوس تمزيق بطانيتين؟
- نظرت إليه وهو فاغر فاه وأخذت تضحك. جلست فوق السرير، إلا أنها قفزت ثانية كأن حريقاً شبّ مرة أخرى. أخذ دكسن يضحك هو الآخر، لا لأنه أصبح مبتهجاً جداً، بل لأنه شعر بالامتنان لضحكها.
- واصل الضحك دقيقة أخرى عندما أومأت له وهي خارج باب الحمام، فلما أسرع نحو صحن الدرج وهو يحمل المنضدة فتحت مارغريت باب غرفتها بقوة ورأتهما وقالت:
- ماذا تعتقد أنك تفعل يا جيمز؟

* * *

قال دكسن وهو يحول نظره من امرأة إلى أخرى:

- نحن... إني... إني... إني في الواقع أريد التخلص من هذه المنضدة.
في هذه الأثناء أطلقت الفتاة صوتاً عالياً غريباً لضحكة نصف مكبوتة، بينما
قالت مارغريت:

- ما هذا الهراء؟

- إنه ليس هراء مارغريت أوكد لك إني...

فقاطعت الفتاة قائلة:

- إذا سمحت لي... أعتمد أن من الأفضل التخلص من هذه المنضدة
أولاً، ثم ستشرح كيف ولماذا بعدئذ.

فقال دكسن:

- لا بأس.

ثم خفض رأسه وأسرع داخل الممر. وفي مخزن الأمتعة القديمة دفع
جانباً هدفاً للرمي، وهو ينظر إليه بوجهه الفلاحي «أي حماقات شهد هذا
الهدف يا ترى؟» ثم ألقى المنضدة وراءه، ثم فتح قطعة طويلة من الحرير
البالي وفرشها فوق المنضدة، ثم وضع فوق القطعة كتاباً عنوانه «درس من
إسبانيا» وخزانة ذات أدراج تحتوي بلا شك على أصداق البحر وخصل
من شعر الأطفال. وأخيراً وضع إزاء هذه الأمتعة حاملاً ثلاثي القوائم
يستعمل لتثبيت بعض السخافات الفوتوغرافية أو التلسكوبية. وعندئذ رجع
قليلاً إلى الورا ليرى المشهد، وجده رائعاً، إذ ليس في وسع أي شخص
أن يرتاب في أن هذه الأمتعة وضعت هنا بهذا الشكل منذ عدة سنوات.
ابتسم وأغمض عينيه لحظة قبل أن يعود ثانية إلى عالم الواقع.

كانت مارغريت تنتظره عند باب غرفتها، وكانت إحدى زاويتي فمها ملتوية بطريقة يعرفها جيداً، أما الفتاة الثانية فقد توارت عن الأنظار.

- حسناً، ما الذي كان يجري يا جيمز؟

أغلق دكسن الباب، وأخذ يشرح لمارغريت ما حصل، وبينما هو يتحدث تذكر حادث الحريق والإجراءات المضادة التي اتخذها وتصور كم هي مضحكة. ولا بد أن مارغريت التي لم تتورط في الحادثة شخصياً قد وجدت في ذلك أمراً مضحكاً أيضاً، لهذا فقد كانت الحادثة أشبه بقصة من القصص التي تعجبها، لهذا استرسل في الحديث طويلاً عند الخاتمة. غير أنها خرجت عن الموضوع وقالت له دون أن يبدو أي تغيير على ملامحها:

- لكنني وجدتك أنت والفتاة تستمتعان بما حصل، كأنكما على

الرغم من كل ذلك...

- حسناً، وهل هناك سبب يحول دون استمتاعنا؟

- «كلا، لا يوجد أي سبب إطلاقاً. كما أن الأمر لا يتعلق بي

شخصياً. يضاف إلى ذلك أنها وجدته أمراً سخيماً وصبيانياً، ذلك كل ما هناك». فقال دكسن بجهد:

- انظري إليّ يا مارغريت. في وسعي أن أفهم لماذا بدا لك الأمر

كذلك. لكن ألا تفهمين؟ إن كل ما في المسألة هو أنني لم أقصد حرق ذلك الشرشف. وما دام الحادث قد وقع، فلا بد لي من القيام بشيء ما،

أليس كذلك؟

- لم يكن في وسعك بلا شك الذهاب إلى السيدة ولش وشرح ما

حصل.

- فعلاً، وإلا وجدت نفسي مطروداً من الوظيفة في غضون خمس

دقائق.

ثم أخرج سيجارتين وأشعلهما وهو يحاول أن يتذكر إذا ما كانت صديقة برتراند ذكرت شيئاً بشأن زوجة ولش، فظنّ أنها لم تقل شيئاً.
- ستطرد من الوظيفة في وقت أقلّ من ذلك لو اكتشفت أمر تلك المنضدة.

فقال بانزعاج:

- لن تكتشفها.

ثم أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

- وماذا بشأن الشرشف؟ لقد ذكرت أن ترتيب الفراش كان من بنات أفكار كريستين كالاها.

- ماذا بشأنه؟ ماذا بشأن الشرشف؟

- يبدو أنك قضيت وقتاً ممتعاً معها أكثر من الليلة السابقة.

- نعم، ذلك صحيح. وجدير بالذكر أنني اعتقدت أنها فتاة فظة جداً.

ماذا تقصدين؟

- إقحام نفسها بتلك الطريقة وإرسالك مع المنضدة بتلك الطريقة.

فقال دكسن وهو يحسّ بلسعة تمس كبرياءه:

- أنت تلحين في هذه المسألة يا مارغريت، لقد كانت على حق

تماماً. كان في ميسور أحد أفراد عائلة ولش المجيء في أي لحظة. وإذا أقحم شخص نفسه في الأمر فهو أنت لا هي.

ثم ندم دكسن على حديثه هذا قبل أن يفرغ منه. أما مارغريت فقد

حملت إليه وفمها نصف مفتوح ثم قالت:

- إنني آسفة، لن أقحم نفسي ثانية.

- أرجو أن تفهمي يا مارغريت أنني لم أقصد ذلك، لا تكوني سخيّة

إنني...

فقال بصوت عال وهي تبذل جهودها للمحافظة على ثباته:

- أرجوك، اذهب من هنا.

جاهد دكسن لكي يطرد فكرة أن مارغريت، ممثلة وكاتبة سيناريو أجادت تمثيل دورها بينما كره نفسه لفشله في ذلك. وأخذ يقول وهو يحاول نقل الإلحاح إلى لهجته:

- لكن لا ينبغي لك أن تنظري إلى الأمور بهذا الشكل. لقد تفوّحت بكلام غبي وأنا أعترف بذلك. فأنا لم أقصد فعلاً أنك أقحمت نفسك. لا بد أن تفهمي...

- أوه، إنني أفهم جيداً يا جيمز، أفهم جيداً.

كانت لهجتها هذه المرة خالية من أي تعبير، كانت ترتدي قميصاً متعدد الألوان، أما التنورة فكانت ذات حاشية وجيب. كما كانت تتعل حذاء خفيضاً وتنورة عليها خرزات من الخشب. ارتفعت عالياً تلافيف الدخان المنبعث من سيجارتها مكونة بذلك شعاعاً بلونين رمادي وأزرق حول ذراعها العارية.

اقترب منها دكسن أكثر من السابق، ولاحظ أنها قد غسلت ترواً شعرها وتركت خصلات جافة وصغيرة تتدلّى على الجزء الخلفي من رقبتها. فاكشف في تلك الحالة أنها أكثر أنوثة من الأنسة كالاهاان وفكّر: يا لها من امرأة مسكينة مارغريت، ثم وضع يده على كتفها الأدنى بصورة تدعو إلى القلق.

قبل أن يتحدّث دفعت يده من فوق كتفها، واتّجهت نحو النافذة وشرعت تتحدّث بلهجة أدرك معها دكسن أنها بداية لمرحلة جديدة من المشهد الذي يدور بينهما.

- اغرب عني، كيف تجرؤ على ذلك؟ توقّف عن دفعي وجنبي من هنا وهناك. من أنت؟ أنت لست حتى مهذباً كي تعتذر عمّا حدث الليلة السابقة، لقد تصرّفت تصرفاً أحمق وأرجو أن تدرك أنك لست سوى إنسان

تافه، إنني لم أعطك حتى أدنى انطباع... ما الذي يجعلك تعتقد أن في وسعك أن تتصرف هكذا ثم تمضي في سبيلك؟ ماذا تعتقدني؟ يبدو أنك لا تعرف ما الذي عانيت وتحمّلت في الأسابيع الأخيرة الماضية. ذلك أمر لا يمكن غفرانه أبداً، لن أسامحك على ما اقترفته. كان ينبغي لك أن تدرك مشاعري.

واصلت حديثها على هذا النحو، بينما كان دكسن يتفّرّس رأسها وعينيها، وازداد هلعاً. اهتزّ جسدها يميناً ويساراً، وتأرجح رأسها من جانب إلى آخر وهو يركز على رقبتها الطويلة إلى حدّ ما، مما جعل الخرزات الخشبية تهتز هي الأخرى على تنورتها المتعددة الألوان. ووجد نفسه وهو يفكّر في أن كل ما جرى يختلف تماماً عن حركاتها التمثيلية. فاللواتي يرتدين مثل هذه الثياب لا يمانعن عموماً في مثل هذه التصرفات، ومن المؤكد أنهن لا يمانعن بالشكل الذي أبدته مارغريت. من الخطأ أن يرتدي المرء ثياباً ويتصرّف معظم الوقت بطريقة غير ناضجة، في حين يكون الآخرون متزينين دوماً. فإزاء كاجبول لم تكن تصرفاتها صحيحة أبداً. أليس كذلك؟ لكن من الخطأ التفكير بذلك الأسلوب، بل إنه أمر سيئ تماماً أن يسمح لنفسه بالانزعاج بسبب بعض الأشياء التي تخصّها وتقولها وإخفاء أهمّ الأشياء المتعلقة بها: أي الفترة الحرجة والظروف الصعبة التي عانتها منذ فترة. نعم، إنها على حق، في الواقع، ولكن ليس بالطريقة التي كانت تقصدها، لقد تصرّف تصرفاً سيئاً إزاءها ولم يحترم مشاعرها، وكان ينبغي له أن يكرّس جلّ وقته في الاعتذار إليها، فطرد الإحساس من عقله وهو إحساس لا يدري له أساساً بأنه على الرغم من انفعالها استطاعت أن تحتفظ بصوتها منخفضاً.

وقالت:

- كنت حتى عصر أمس أفكّر في كيفية بنائنا علاقة ثمينة، علاقة

جيدة فعلاً غير أن ما حدث أمر سخيف، أليس كذلك؟ إنني مخطئة تماماً... إنني...

فانفجر (دكسن) قائلاً:

- أنت مخطئة تماماً الآن بينما كنت على صواب قبل ذلك. إن هذه الأشياء لا تتوقف بتلك الصورة. البشر ليسوا بتلك البساطة، وهم ليسوا كالألات.

واصل دكسن حديثه على هذا النحو، بينما أخذت مارغريت تحدّق إلى عينيه، بدا الابتدال الذي اتّسمت به كلماته عاملاً مساعداً لملاقاة نظراتها. وقفت وهي تضع إحدى ساقها على الساق الأخرى بطريقتها المفضلة، وتكشف عمداً عن ساقها الجميلتين اللتين تعدّان أجمل ممتلكاتها. تحرّكت قليلاً على نحو تلامس فيه نظراتها النور، ولكي تمنعه من ملاحظة اتّجاه عينها. أربكه منظرها كثيراً، إلّا أنه تظاهر بالتشبث بهدفه المتمثل بالوعد والإقرار الذي سينهي هذه المواجهة ويجلب شيئاً من الراحة في الابتعاد عن النزاهة.

بعد برهة شعرت قليلاً بالانزعاج، ثم ازداد انزعاجها وأخيراً أصبحت مكتئبة وقالت أخيراً وهي تسوّي شعرها براحة يدها:

- أوه يا جيمز! أرجو أن نتوقف عن هذا الآن فأنا أشعر بالتعب، أشعر بالتعب الشديد ولا أستطيع الاستمرار أكثر من هذا، إنني ذاهبة للنوم إذ لم أستطع النوم فترة كافية الليلة الماضية. كل ما أريد هو أن أخلو إلى نفسي وأرجو أن تفهم هذا.

- ماذا بشأن الإفطار؟

- لا أريد أي شيء. كما أن وقت الإفطار قد فات الآن على أي حال، ولا أريد التحدث إلى أي إنسان.

ثم تهالكت على السرير وأغمضت عينها وأضافت:

- أرجو أن تتركني لوحدي.

- هل أنت على ثقة بأنك ستكونين على ما يرام؟

فأجابت وهي تطلق حسرة كبيرة:

- أوه، نعم. أرجوك.

- لا تنسي ما قلته لك.

ولأنها لم تجب بشيء، خرج بهدوء وذهب إلى غرفته حيث اضطجع على السرير وشرع يدخن ويفكر في الأحداث التي مرّ بها في الساعة الماضية. لقد أفلح في إبعاد مارغريت عن ذهنه حالاً وهو يعلم أن كل شيء اكتنفه التعقيد. لكنّ الأمور كانت تسير دوماً على ذلك النحو. كره ما قالته له تماماً مثلما كره الأشياء التي قالها لها، إلاّ أنه كان مضطراً إلى ذلك.

فكّر في سلوك الأنسة كالاهان الجيد على الرغم من فتورها في بعض الأحيان، وفكّر أيضاً في معقولية اقتراحها، ونوبات الضحك التي كانت تتابها مما يثبت أنها لم تكن رزينة على خلاف ما كان يبدو عليها، تذكر بصعوبة تألّق بشرتها المذهل وصفاء عينيها وأسنانها الناصعة جداً، وأحسّ بقليل من البهجة وهو يفكّر في أن ارتباطها ببرتراند ما هو إلاّ ضمان أكيد على خبثها. نعم برتراند ينبغي له أن يسالمه أو يتعد عن طريقة. وفكّر في أن الابتعاد عن طريقه من شأنه أن يكون الحلّ الأفضل، وفي وسعه أن يضيف إلى ذلك الابتعاد عن طريق مارغريت، وإذا اتّصل أتكسنس هاتفياً في الوقت المحدّد، فإنه سيغادر البيت في غضون ساعة واحدة.

أطفاً سيجارته في المنفضة وبعد مرور عشرين أو ثلاثين ثانية ذهب لحلاقة ذقنه. ثم سمع بعد فترة وجيزة صوتاً يناديه فهرع نحو السلالم وصاح:

- هل هناك أحد يناديني؟

- هناك من يطلبك على الهاتف يا دكسن.

كان برتراند يجلس مع والديه وصديقه في غرفة الاستقبال، وبعد أن أشار إلى الهاتف برأسه الكبير عاد وأخذ يصغي مرة أخرى إلى والده الذي كان يتحدث كما يتحدث روبات معطوب:

- في فنّ الأطفال، تستطيع أن تلاحظ ما يسمى وضوح الرؤية، وهو نوع من التعامل مع العالم على حقيقته لا كما يريد أن يتصوره الإنسان البالغ. وهذا وهذا...

صاح أتكسن بصوت متغير من خلال سماع الهاتف:

- هل أنت جيم؟ كيف تسير الأمور في بارنوم وييلي؟

- سعيد جداً بسماع صوتك يا بيل.

وبينما كان أتكسن يصف حادثة قرأ عنها في صحيفة «ذا نيوز ذا وورلد»، سأل دكسن عن رأيه في إحدى الكلمات المتقاطعة، واقترح اقتراحاً غير عملي بشأن الاستمتاع بصحبة ولش.

راقب دكسن الأنسة كالاهاان وهي تصغي إلى بعض المعلومات التي كان يقدمها برتراند في الفن. كانت تجلس منتصبه في كرسيها وشفتاها مطبقتان، ولاحظ أنها ترتدي الملابس نفسها التي كانت ترتديها في الليلة السابقة. كان كل شيء من حولها يبدو قاسياً، إلا أنها على الرغم من ذلك، لم تمنع في وجود الشراشف المحترقة وغطاء المنضدة المتفحم على العكس تماماً من مارغريت، كما أن هذه الفتاة لم تمنع في تناول البيض المقلي مع البطاطا، إنه أمر يبعث على الحيرة.

قال دكسن وهو يرفع صوته قليلاً:

- حسناً، شكراً لاتصالك بي يا بيل، أرجو أن تعتذر لوالدي نيابة

عني وأخبرهما بأنني سأرجع في أسرع وقت ممكن.

- أرجو أن تخبر جونز بأن يضع آلة الأوبو في المكان الذي يعرفه

قبل أن تغادر المكان.

- سأبذل ما في وسعي، إلى اللقاء.

في تلك الأثناء كان برتراند يقول:

- ذلك هو الأمر الجوهري الخاص بالفن المكسيكي يا كريستين، إن

الأسلوب البدائي لا فائدة منه. واضح؟

فقال الفتاة:

- لا، لا، في الواقع...

فقال دكسن:

- أخشى أنني مضطر إلى الذهاب حالاً يا سيدة ولش، لقد كانت

المكالمة الهاتفية...

نظر برتراند إليه بنفاذ صبر، ونظرت زوجة ولش إليه نظرة حسية

ونظر السيد ولش نظرة تنم عن عدم الفهم، بينما نظرت إليه صديقة برتراند

نظرة فضولية وقبل أن يتمكن دكسن من توضيح موقفه، دخلت مارغريت

من الباب المفتوح ومن ورائها جونز. كان شفاؤها من الإرهاق سريعاً كما

يبدو. هل ساعدها في ذلك جونز يا ترى؟ قالت مارغريت:

- آه... مرحباً بكم جميعاً.

اعتادت مارغريت أن تستخدم هذه العبارة لإلقاء التحية إذا كانت

الغرفة مليئة بالأشخاص.

أخذ الجالسون في الغرفة يردون التحية وهم يتحركون من أماكنهم

فقد بدأ ولش وبرتراند الحديث في آن واحد، بينما حولت زوجة ولش

نظرها بسرعة من دكسن إلى مارغريت. أما جونز فنظر بتساؤل باتجاه عتبة

الباب، ثم قفز ولش من مكانه وهو لا يزال يتحدث واتجه نحو جونز، بينما

تحرك دكسن إلى الأمام بعد أن وجد فرصته في الحديث أخذت تتلاشى،

لهذا أخذ يسعل وقال بصوت مرتفع:

- أخشى أنني مضطر إلى الذهاب الآن. لقد جاء والديّ لزيارتي على نحو غير متوقع.

ثم توقف فترة قصيرة كي يفسح المجال لهم للتعبير عن الأسف أو الاحتجاج، ولأن أحداً لم يقل شيئاً أضاف قائلاً:

- شكراً جزيلاً لك يا سيدة ولش للسماح لي بالمبيت لقد استمتعت كثيراً وأعتقد أنه ينبغي لي الذهاب فوراً الآن، أستودعكم الله جميعاً.

خرج دكسن من الباب وسط الصمت الذي ران على المكان وحاول أن يتجنب النظر إلى مارغريت، وفضلاً عن أن حالته بعد السكر جعلته يشعر أنه يجب أن يموت أو يصاب بالجنون في أي لحظة إلا أن تلك الحالة تلاشت، أما جونز فقد صرّ أسنانه في أثناء مرور دكسن أمامه.

* * *

- أوه، أستطيع التحدث إليك قليلاً يا دكسن؟

كان هذا الطلب مزعجاً جداً للمخاطب، وهو طلب مفضل لدى عريفه الجوي، ذلك الجندي العريق الذي يحمل أفكاراً بالية عن أحقية ترفيعه إلى نائب ضابط قبل إخضاعه لإحدى اللكمات، بل لعاصفة من التوبيخ والتهديد لخطأ غير مقصود. وقد أنعش ولش هذه الجملة بمقدمة بسيطة لهذا العنصر الجديد في الانطباع السيئ الذي يكوّنه دكسن عن نفسه، وأندر في أفضل الأحوال بتكليفه بمهمة أكاديمية جديدة لاختبار مدى فائدته للقسم كما يبدو، واستخدم ميشي أيضاً هذا الأسلوب أكثر من مرة للتعبير عن رغبته في الحديث وإثارة الأسئلة عن الحياة والثقافة في العصور الوسطى. وجاء الآن دور ولش الذي وجّه الدعوة وهو يتحرك عند مدخل الصف الصغير الذي يشترك فيه دكسن وغولد سمث، وفي وسع دكسن أن يشعر ذهنياً أن مثل هذا الطلب يؤدي إلى الشاء على عمل منجز يخص حفظ ملاحظات ولش عن كتابه، وإلى عرض منصب عضو في الهيئة التدريسية على المدى المتوسط، وإلى الدعوة لحضور حفلة منزلية غير مهذبة، إلا أنه من الناحيتين العاطفية والجسدية أحسّ بالاختناق جراء احتمال الوقاحة الأكيد. فأجاب وهو يسير وراء ولش إلى الباب المجاور:

- بلا شك يا أستاذ.

غير أنه فكر مع نفسه فيما إذا كان موضوع المناقشة سيدور حول طرده، وتمت بقائمة طويلة من الشتائم بصوت خفيض لكي يكون هادئاً كما هي العادة في الدقائق الأولى من المقابلة. أما خطواته فقد اتسمت بإيقاع قوي في أثناء سيره لإضفاء بعض الشجاعة من جهة ولأغراض تتمته من

ناحية أخرى، لأنه لم يشم رائحة ذلك الصباح حتى الآن.

جلس ولش إلى مكتبه الذي تراكت فوقه أشياء كثيرة وقال:

- أوه، أوه يا دكسن.

- نعم يا أستاذ.

- أود الإشارة إلى مقالتك.

كان ولش بما عرف عنه من تفكك وتشوش، صريحاً دوماً عندما

يريد توجيه بعض التصحيحات، لهذا كانت ملاحظته هذه مشجعة.

فقال دكسن بحذر:

- أوه، نعم؟

- كنت أتحدث قبل فترة إلى أحد أصدقائي القدامى من ساوث ويلز

وهو أستاذ في الكلية الجامعة في أبرتاو حالياً واسمه آرثر وهابنز وأعتقد

أنك تعرف كتابه عن كومر هايديسيرو في العصور الوسطى، فقال دكسن

بلهجة مختلفة إلا أنه ظل حذراً:

- أوه، نعم.

أراد دكسن أن يشير إلى معرفته ذلك، إلا أنه على الرغم من ذلك لم

يرغب في الوقت نفسه في الإيحاء بأنه يعرف الكتاب معرفة جيدة خوفاً

من أن يطلب ولش دليلاً في المناقشة.

- من الطبيعي أن مشاكلهم هناك في الجنوب تختلف عن مشاكل...

عن مشاكل... طلاب درجة المقبول بخاصة. لقد أخبرني... يبدو أن كل

واحد في السنة الأولى لا يهتم إن كان سيواصل دراسة التاريخ أم لا، بل

المهم هو الحصول على قدر محدد من...

وهنا لم يعر دكسن حديث ولش اهتماماً بالغاً، وكل ما فعله هو أنه

أخذ يهز رأسه بين الفينة والفينة، وشعر بالارتياح إذ لم يحدث أي شيء

ينطوي على خطورة... ولأن أي شيء يمكن أن يصبح بمثابة الجسر الذي

سيتمد عبر الفجوة القائمة بين مقالته وشخصية هاينز، وبدأت عزيمته تتخذ لها شكلاً في ذهنه مثيرة الخوف في نفسه قبل أن يستطيع تحديدها بوضوح. فما هو الآن وحيد مع ولش، ومن شأنه أن يضطره إلى الكشف عما اتخذ من قرار بشأن مستقبله، وفي حالة عدم التوصل إلى شيء من هذا القبيل، فمتى سيتم ذلك؟ وما هي القضية التي ستجعل ذلك محددًا؟ لقد أتعبه أسلوب الابتزاز الذي يمارسونه معه، والأمل في تحسين فرصة البحث بين الكتب في المكتبة العامة عن الموضوعات التي قد تكون متوافرة لكتاب ولش في التاريخ المحلي، وإلقاء نظرة أو تصحيح مقالة طويلة عمل ولش على نشرها في مجلة محلية تعنى بالآثار، ووضع نفسه موضع الاستعداد دوماً لحضور مؤتمر رقص شعبي - شكراً لله، فهو لم يكن مضطراً إلى حضوره - وحضور عطلة نهاية الأسبوع الفنية الرهيبية في الشهر الماضي، والموافقة على إلقاء محاضرة عن إنكلترا، كما أن الوقت أصبح متأخراً جداً الآن، إذ لم يتبق من الفصل الدراسي سوى شهر واحد. ولهذا يتعين عليه أن يسدد قذائفه أو طعناته إلى ولش وإلى مواقع الهدوء التي هيأها لنفسه والوجه المقطب دوماً الذي تميز به.

بيد أن ولش أثار انتباهه مرة أخرى عندما قال:

- يبدو أن ذلك الرجل المدعو كيتين، قام بزيارة طمعاً بالحصول على كرسي الأستاذية في أيرتاو في الوقت نفسه الذي سعى فيه هاينز إلى ذلك. لقد حدث هذا قبل ثلاث أو أربع سنوات. حسناً، من الطبيعي أن هاينز لم يستطع أن يخبرني كثيراً عن الموضوع، إلا أنه ترك في نفسي الانطباع بأن كيتين قد يحصل على الكرسي بدلاً منه، إلا أن هناك أمراً غامضاً بشأنه. وأرجو أن يبقى ذلك سراً بيننا يا دكسن، نعم هناك شيء غامض بحسب اعتقادي، أما الآن فإن مجلته قد تكون صريحة تماماً، إنني لا أقول إنها ليست كذلك، بل أقول يحتمل وفكرت في أنه من الأجدي أن أخبرك بهذا

يا دكسن كي تتخذ أنت بعد ذلك القرار المناسب، أعتقد... أعتقد أن في وسعك ذلك...

- حسناً، شكراً جزيلاً لك يا أستاذ، وإنه لشيء عظيم أن تحذرني. ربما من الأفضل أن أكتب إليه مرة ثانية وأطلب منه...

- أما كتبت جواباً إليه تطلب فيه تحديد موعد نشر مقالاتك؟

- لم أكتب حتى الآن.

- حسناً، ينبغي لك إذاً أن تكتب إليه مرة أخرى يا دكسن، وتطلب منه موعداً محدداً للنشر وأخبره بأن لديك استفساراً من مجلة أخرى عن كتاباتك. قل له إنه يتعين عليك أن تعرف الموعد في غضون أسبوع واحد.

بدا ولش وهو يتحدث بهذه الطلاقة التي رافقتها نظرة حادة كأنه يحتفظ بحق إخبار الناس بما يجب أن يفعلوه.

- سأفعل ذلك حتماً.

- افعل ذلك اليوم يا دكسن.

- نعم سأفعل.

- ثم إن الأمر يهملك أنت أليس كذلك؟

كان هذا هو المفتاح الذي يأمل فيه.

- «نعم يا أستاذ، لقد أوشكت حقاً أن أسألك عن ذلك». خفض

ولش حاجبيه وقال:

- عم؟

- حسناً، إنني واثق بأنك تفهم يا أستاذ أنني قلق بشأن وظيفتي هنا

في الأشهر القليلة الماضية.

فقال ولش بمرح وعاد حاجباه إلى مكانهما الأول:

- أوه، نعم؟

- إنني أريد أن أعرف فقط موقعي.

- موقعك؟

- نعم إنني... إنني أقصد، أخشى أنني لست في المكان المناسب هنا، عندما جئت أول مرة وارتكبت بعض الحماقات. والآن، وبعد أن مرّ على وجودي هنا سنة كاملة، فمن الطبيعي ألاّ أمتع نفسي من الشعور بالقلق قليلاً.

- نعم إنني أعرف عدداً كبيراً من الشبان الذين يجدون صعوبة في الاستقرار عند تسلمهم أول وظيفة، هذا أمر متوقع تماماً خصوصاً بعد أن عشنا الحرب. إنني لا أدري إن كنت تعرّفت من قبل إلى فوكنر الشاب الموجود حالياً في نوتنكهام، لقد حصل على وظيفة هنا في عام ألف وتسعمائة...

مكتبة

وهنا توقف قليلاً ثم أضاف:

- وخمسة وأربعين، بعد أن مرّ بظروف قاسية إبان الحرب، فقد مكث فترة في بلاد الشرق في أثناء خدمته في الأسطول الجوي، ثم نقل بعد ذلك إلى البحر المتوسط وما زلت أتذكر قوله لي إنه يجد صعوبة كبيرة في التكيف عندما وجد نفسه مضطراً إلى الاستقرار هنا...

وفكّر دكسن مع نفسه: «ومنعه من توجيه لكمة إلى وجهك». انتظر فترة من الزمن عندما توقف ولش مرة أخرى، ثم عاد فاستأنف حديثه قائلاً:

- نعم كما أن الصعوبة تتضاعف عندما يحس المرء بأن وظيفته غير مضمونة، إنني أعلم جيداً أن في وسعي أن أعمل على نحو أفضل لو شعرت أن المقام قد استقر بي في العمل هنا.

- «حسناً، إن عدم الإحساس بالأمان هو العدو الأكبر للتركيز، ومن الطبيعي أن المرء يميل إلى فقدان عادة التركيز كلّما تقدمت به السن. إنني

أتذكر قيامهم بنصب مختبرات الكيمياء الجديدة هنا. حسناً، إنني أقول «جديدة» إلا أنني أعتقد أنك لا تستطيع أن تطلق عليها هذه الصفة حالياً، إن الوقت الذي أتحدث عنه كان قبل الحرب بسنوات كثيرة، لا بد أنهم وضعوا حجر الأساس...» تساءل دكسن في نفسه ما إذا كان في وسع ولش أن يسمع صرير أسنانه. فإذا كان قد سمع الصرير فإنه لم يعر الأمر اهتماماً. وقاطعه، وكأنه ملاكم لا يزال يقف على قدميه بعد عشر جولات من الهزائم وقال:

- إنني سعيد بكل شيء، ومصدر قلقي الوحيد هو هل يستغنى عني؟

رفع ولش رأسه ببطء وكأنه فوهة مدفع قديم، وأخذت تكشירתه المعهودة ترتسم فوق وجهه وقال:

- إنني لا أرى في الواقع...

فقال دكسن:

- الوضع اختياري.

وهنا زالت تكشيرة ولش وقال:

- أوه، أنت مستخدم هنا مدة ستينين يا دكسن لا سنة واحدة، وكل شيء مثبت في عقد العمل معك كما تعلم. ستان اثنان.

- «صحيح، أنا أعلم ذلك. لكن ذلك يعني تماماً أنني لا أستطيع أن أصبح عضواً ثابتاً في هيئة التدريس إلا بعد مرور ستينين. ولا يعني ذلك أنه لا يمكن أن يطلب مني ترك الوظيفة عند انتهاء السنة الأولى». فقال ولش بحرارة:

- أوه، لا. لا...

وترك عبارته دون أن يكملها، فلا يفهم منها أكان يقصد تأكيد نفي دكسن أم لا.

فسأل دكسن بسرعة وهو يستند بظهره إلى الكرسي.

- هل يمكن أن يطلب أحد مني ترك العمل بعد انتهاء السنة

الأولى؟

- نعم أعتقد ذلك.

أجاب ولش بلهجة فاترة هذه المرة، وكأنه طلب منه تقديم تنازلات

لا يستطيع أي شخص تزويه القيام بها رغم أنها واجبة من الناحية النظرية.

- حسناً، إنني كنت أسأل عما سيحدث بشأن ذلك. هذا كل ما

لدي.

فقال ولش باللهجة نفسها:

- «صحيح ليس لدي أدنى شك في أنك كنت تسأل». انتظر دكسن

ريثما يخطط لشيء ما، فنظر في أرجاء الغرفة الصغيرة المريحة بما فيها من

السجاد وصفوف الكتب وأدراج الملفات الممتلئة بأوراق امتحانات قديمة

جداً وأضابير أجيال قديمة من الطلاب، كما فكّر في موقعها من النوافذ

المغلقة المظلة على جدار مختبر الفيزياء الذي تغمره أشعة الشمس.

وراء ولش كان جدول الدروس للقسم كله مثبتاً على الحائط، وقد أعدّه

ولش نفسه وجعله في خمسة ألوان مختلفة يرمز كل منها إلى أحد أعضاء

الهيئة التدريسية في القسم، مما جعل دكسن يحس أن ذلك كله يحور

ذهنه، فأول مرة منذ وصوله إلى الكلية فكّر في أنه يشعر بصعير حقيقي

قاهر يدفعه إلى الانحراف وكذلك بالكره الشديد. وإذا لم يتحدث ولش

في الثواني الخمس اللاحقة فإنه سيفعل شيئاً من شأنه أن يسبب قذفه من

الثافذة دون أي سؤال، لكنّه لن يفعل الأشياء التي كثيراً ما حلم بها عندما

كان يجلس ويتظاهر بالعمل. فهو لم يعد يرغب في كتابة شرح قصير

على جدول الدروس، وتدوين بعض الملاحظات غير المهدية، ورأيه في

أستاذ التاريخ وقسم التاريخ وتاريخ القرون الوسطى والتاريخ ومارغريت

وعرضها أمام أنظار الطلاب والمحاضرين في أثناء مرورهم بها. كما أنه لم يعد يرغب عموماً في ربط ولش إلى كرسيه وضربه على رأسه وكتفه بإحدى الزجاجات حتى يعترف بالسبب الذي جعله يسمي أولاده بأسماء فرنسية على الرغم من أنه ليس فرنسياً أساساً، ولا... إن كل ما يريده هو أن يقول بهدوء وببطء ووضوح إنه يريد إعطاء ولش الفرصة ليتعرف مواهبه وسيقول له: «انظري إليّ أيتها الدودة البيضاء ما الذي يجعلك تعتقدين أن في وسعك إدارة قسم التاريخ حتى في مكان كهذا؟ إنني أعرف الأشياء التي تجيدينها، أيتها الدودة البيضاء!»

وفجأة قال ولش:

- حسناً، إن هذه الأمور ليست بالبساطة التي تتصورها، بل القضية صعبة جداً يا دكسن، فهناك أشياء كثيرة ينبغي أن تأخذها بعين الاعتبار.

- أفهم ذلك يا أستاذ، لقد أردت أن أسأل عن الموعد الذي سيتخذ فيه القرار، هذا كل ما في الأمر، فإذا تقرر الاستغناء عني فأعتقد أن من الإنصاف إخباري بذلك قريباً.

قال دكسن ذلك وأخذ رأسه يهتز قليلاً بفعل الغضب الذي انتابه، بينما نظر ولش إلى وجهه عدة مرات، ثم خفض بصره وأخذ ينظر إلى رسالة نصف مطوية على مكتبه وتمتم:

- نعم... حسناً... إنني...

فقال دكسن بصوت أعلى من السابق:

- لأنني سأبدأ بالبحث عن عمل آخر، علماً أن الكليات جميعها تكون قد هيأت كوادرها التدريسية لشهر أيلول قبل حلول العطلة الصيفية في تموز، لهذا أريد معرفة القرار في وقت مبكر.

بدأت ابتسامة حزينة تخيم على وجه ولش ذي العينين الصغيرتين، فشعر دكسن أولاً بالسعادة لهذا الدليل على أن الوصول إلى بواطن ولش

أمر ممكن من الخارج، ثم شعر أيضاً بوخز الضمير لحظة لرؤية رجل يكره الإفصاح عن شيء من شأنه أن يسبب الألم لشخص آخر. وأخيراً انتابه الرعب. ما الذي يخفيه ولش وراء ترده؟ لقد دمر دكسن، وإذا كان الأمر كذلك، فإن في وسعه إلقاء خطاب على الدودة البيضاء. في أي حال، على الرغم من أنه تمنى لو أن الجمهور كان أكبر.

وقال ولش بسرعة فائقة:

- سأخبرك حالما يتخذ أي قرار، أما في الوقت الحالي فلم يتخذ أي

قرار.

أدرك دكسن بعد أن ظل ساكناً لا يجد جواباً يتفوه به أن الخطاب الذي كان يزعم إلقاءه هو فكرة وحشية، فهو لم يستطيع أبداً أن يقول لولش ما كان يريد قوله له، تماماً كما هي الحال مع مارغريت، ففي كل مرة كان يعتقد فيها أنه وضع موضوع وظيفته على طاولة النقاش مع ولش أخفق في ذلك بسبب أسلوب الأخير المراوغ، وهو أسلوب اتسم هذه المرة بالصفة الشفهية لا الجسدية، وهي تقنية اتبعت كي يستوعب ضغطاً أكثر مما كان هو نفسه يأمل تحمله.

وبينما ظل دكسن ساكناً وهو أمر غير متوقع تماماً، أخرج ولش منديله، وكان من الواضح أنه يريد تنظيف أنفه وهذا أمر فظيع بلا شك، لأنه سيؤدي إلى جذب الاهتمام إلى ذلك الأنف المربع الهائل ذي المسامات المفتوحة، لكن عندما أخذت الأصوات العالية المألوفة تتردد بين الجدران والنوافذ، لم يمانع في ذلك دكسن. فمن فوائد الصوت إحداث تغيير في مزاجه، وأي عبارة ينطق بها ولش جديرة بالثقة، لهذا وجد دكسن نفسه لا يزال عند خط البداية. لكنه أمر ممتع أن يجد نفسه عند خط البداية من جديد بدلاً من أن يكون خارج موقع آخر لا يرغب فيه. يخطئ الناس عندما يقولون: «من الأفضل أن يعرف المرء أسوأ ما في الأمور بدلاً من التخبط

وعدم معرفة أي شيء، إنهم مخطئون تماماً. أخبرني بالحقيقة يا دكتور،
 فإنني سأعرف كل شيء حالاً إذا كانت الحقيقة هي ما أريد سماعه.
 عندما أدرك دكسن أن ولش فرغ من تنظيف أنفه، نهض من مكانه
 وشكره لحديثه المخلص معه. ثم أخذ يردد نغم ولش وهو في طريقه
 إلى الخارج وكان هذا النغم من نوع الروندو⁽¹⁾ لإحدى حفلات البيانو
 الموسيقية المثيرة للضجر الذي أصر ولش ذات مرة على وضعه على
 جهاز الحاكي المعقد الذي يدل عليه بوقه، وقد جاء ذلك في أربع
 أسطوانات كبيرة بوجهين ومن ذوات العلامة الحمراء، وقد ثبت دكسن
 الكلمات عليها. وبينما هو ينزل السلالم متوجهاً نحو غرفة الاستراحة
 التي أصبحت فيها القهوة جاهزة في تلك الأثناء، تمتم بهذه الكلمات من
 وراء شفتيه المطبقتين: «أيها الغبي الجاهل! أيها الأحمق!» وكان يحشر
 بين هذه الكلمات مجموعة من الكلمات الأخرى النابية. وعلى الرغم من
 غموض بعض العبارات كان يعي قصده جيداً.

بدأت الامتحانات الآن، ولم يكن هناك ما يشغل دكسن في ذلك
 الصباح سوى الذهاب إلى قاعة الجمعية في الساعة الثانية عشرة والنصف
 لأخذ بعض المسودات التي تحتوي على إجابات عن أسئلة وضعها عن
 العصور الوسطى. وعندما اقترب من غرفة الاستراحة ففكر قليلاً في العصور
 الوسطى. إن أولئك الذين يزعمون أنهم غير قادرين على الاعتقاد بوجود
 التقدم البشري، ينبغي لهم أن يفرحوا تماماً كما فرح الطلاب الذين أدوا
 الامتحان الآن، وأن يدرسوا العصور الوسطى قليلاً. فالقنبلة الهيدروجينية
 وحكومة جنوبي أفريقيا وشيان كاي شيك والسناتور مكارثي نفسه، من
 شأنهم أن يبداً ثمناً قليلاً يدفع لعدم العيش في القرون الوسطى. هل
 (1) الروندو (Rondo)، أو الرنדה، مقطوعة موسيقية يتكرر فيها النغم الرئيس بين حين
 وآخر (المورد).

اتصف الناس بالخبث والانغماس الذاتي والكآبة والتعاسة والثقة أكثر مما ينبغي وبالسوء والسخافة كما هي حالهم في العصر الأوسط، وهو الاصطلاح الذي تستخدمه مارغريت للإشارة إلى العصور الوسطى؟ صرّ أسنانه لهذه الفكرة الأخيرة، ثم توقف عن ذلك عندما دخل غرفة الاستراحة ورأى مارغريت شاحبة، غائرة العينين تجلس وحدها قرب المدفأة الخالية.

لم يطرأ على علاقتهما أي تغيير مادي في الأيام العشرة التي انقضت منذ عطلة نهاية الأسبوع التي مرّ بها. لقد احتاج إلى قضاء أمسية كاملة في الأوك لاوغ وإنفاق الكثير من المال والنفاق لحثها على الاعتراف بأنها لا تزال تشكو منه وصرف مثل ذلك كي يقنعها بتحديد شكواها ومناقشتها وتخفيفها وأخيراً إهمالها. ولسبب ما، جعله منظرها في هذه اللحظة يمتلئ بالحب والندم. وبسبب الحر الشديد في ذلك اليوم استغنى عن تناول القهوة وأخذ قحاً من الليمون من البائعة وشق طريقه بين المتحدثين واتجه صوب مارغريت. كانت ترتدي ثوبها القديم نفسه، إلا أنها استعاضت عن الخرزات المصنوعة من الخشب بدبوس زينة يتألف من الحرف (م) المصنوع من الخشب، وكان مظروف كبير مملوء بأوراق الامتحانات ملقى على الأرض بجانب كرسيها. اندفع لمحادثتها غير أن صوتاً عالياً صادراً من وعاء القهوة الموجود في الغرفة جعله يبدأ على مهل. ثم قال:

- صباح الخير يا عزيزتي. كيف حالك اليوم؟

- على ما يرام شكراً لك.

فابتسم بتردد ثم أضاف.

- لا يبدو عليك أنك تعنين ذلك.

- لا يبدو؟ إني آسفة، إني حقاً على ما يرام.

قالت ذلك بلهجة حادة بدت معها عضلات فكها صارمة كأنها تعاني
ألماً في أسنانها.

وحين وجد دكسن أن مارغريت تنظر إليه؟ اقترب منها أكثر وانحنى
إلى الأمام وقال بأدب جم:

- أرجوك يا مارغريت، لا تتحدثي بهذا الأسلوب. إنه غير ضروري
تماماً. إذا كنت تشعرين أنك على ما يرام فذلك أمر حسن وفي كلتا
الحالتين سندخن سيجارة، ولكن أرجوك ألا تحاولي اختلاق معركة بيني
وبينك إذ ليس عندي المزاج لذلك.

تحركت مارغريت من مكانها على نحو مفاجئ وجلست على ذراع
الكرسي الذي كانت تجلس عليه، فأصبح ظهرها يواجه الجالسين جميعاً
في الغرفة ما عدا دكسن الذي لاحظ عينيها وقد اغرورقتا بالدموع. وبينما
هو متردد، سمعها تنفجر في نوبة من البكاء وهي لا تزال تحديق إليه.

فقال دكسن:

- ينبغي لك ألا تفعلي ذلك يا مارغريت لا تبكي، إنني لا أقصد
شيئاً.

فأشارت له بيدها بعنف وهي تقول وجسدها يرتجف:

- أنت على حق تماماً. إنها غلطتي. إنني آسفة.

- مارغريت!

- أنا المخطئة. أراهن على أنك مضطرب قليلاً. لم أرغب في ذلك.

لم أقصد ذلك، كان كل شيء سيئاً جداً هذا الصباح.

- حسناً، أخبريني عن ذلك إذاً. هيا جففي دموعك.

- أنت الإنسان الطيب الوحيد، مما يجعلني أعاملك بتلك الطريقة.

قالت ذلك وخلعت نظارتها وبدأت تجفف دموعها.

قال دكسن:

- لا بأس أخبريني، ما القضية؟

- أوه، لا شيء، كل شيء، ولا شيء.

- هل قضيت ليلة سيئة أخرى؟

- نعم يا عزيزي، وقد جعلتني أشعر بالأسف الشديد على نفسي كما هي العادة. إنني أفكر في نفسي، أوه يا إلهي! ما فائدة أي شيء خصوصاً أنا شخصياً؟

- تفضلي سيجارة.

- أوه، شكراً لك يا جيمز، فأنا في أشد الحاجة إلى سيجارة، أبدو

على ما يرام؟

- نعم حتماً، مجرد قليل من التعب ذلك كل شيء.

- لم أستطع النوم حتى الساعة الرابعة. لا بد لي من الذهاب إلى

الطبيب والحصول على بعض العلاج. إنني لا أستطيع الاستمرار على هذا النحو.

- لكن، ألم يخبرك من قبل بأنه يتعين عليك تكييف نفسك على عدم

استعمال أي علاج؟

فنظرت إليه مارغريت كأنها منتصرة وقالت:

- نعم، أخبرني. لكنّه لم يخبرني كيف ينبغي لي أن أكيف نفسي

على عدم النوم.

- ألا يبدو أي شيء مفيداً لك.

- أوه يا إلهي. أنت تعرف كل شيء عن الحمام والحليب الساخن

وحبوب الأسبرين وفتح النافذة وغلقها...

تحدث الاثنان بهذه الصورة دقائق معدودة، بينما أخذ بقية الجالسين

في الغرفة يغادرون لقضاء أشغالهم المختلفة. ولأن المدرسين في هذا

الوقت من السنة الدراسية لا يقدمون المحاضرات، فإنهم لا بد أن يكونوا

مفروضين على بعضهم إلى حدٍ كبير. بدأ دكسن يتصبب عرقاً شيئاً فشيئاً في أثناء تجاذبهما أطراف الحديث وهو يحاول أن يبعد تذكره الجزئي أو وهمه الجزئي في أنه أخبر مارغريت عرضاً قبل يومين بأنه سيتصل بها هاتفياً من منزل ولس في الليلة التالية، وهي الليلة الفاتنة في الواقع. لهذا فقد أصبحت دعوة ما أو وعد ما أمراً مطلوباً الآن على ما يبدو لتخفيف حدة المشكلة ليس غير. وفي أول فرصة قال:

- ما رأيك في تناول طعام الغداء اليوم؟ هل لديك أي ارتباط؟
لسبب ما بدت مثل هذه الأسئلة كأنها تثير فيها جزئياً الشعور بالعودة إلى السلوك القديم فقالت:

- ارتباط؟ من تعتقد يطلب مني تناول الغداء؟

- فكرت في أنك ربما أخبرت السيدة نيدي أنك ستعودين.

- الواقع أنها ستقيم حفلة غداء صغيرة وقد طلبت مني الحضور.

- أوه، حسناً، لقد دعاك شخص إلى الغداء إذاً!

- نعم، ذلك صحيح.

قالت ذلك بطريقة تكتنفها الحيرة والضياع، إلا أنها نسيت بالإيحاء

ما ذكرته توأ أو نسيت ما كانا يتحدثان به. نجحت في إثارة هلعه أكثر مما

نجحت فيه دموعها فقال بسرعة:

- أي نوع من حفلات الغداء تلك؟

فقالت بتعب:

- أوه، إنني لا أعرف، لا شيء مثيراً كما أظن.

ثم نظرت إليه كأن نظارتها أصبحت معتمة وغير شفافة وأضافت:

- ينبغي لي الذهاب الآن.

ثم بدأت تبحث عن حقيبتها ببطء فقال دكسن:

- متى سأراك ثانية يا مارغريت؟

- لا أدري.

- إنني محتاج إلى بعض المال حتى... هل أطلب من نيدي أن يدعوني لتناول الشاي في عطلة نهاية الأسبوع؟

فقلت بصوت غريب لا أثر لأي تعبير فيه:

- إذا شئت. بيد أن برتراند سيكون موجوداً على أي حال.

- برتراند؟ أوه، حسناً، من الأفضل أن أنسى الأمر إذاً.

فقلت له مؤكدة:

- نعم، إنه قادم لحضور حفلة الصيف.

شعر دكسن وكأنه رجل يعرف أنه لن يستطيع القفز فوق القطار المتحرك ففكر في الأمر ملياً. ثم قال:

- هل نذهب إلى تلك الحفلة؟

في غضون الدقائق العشر اللاحقة توصل الاثنان إلى قرار بالذهاب، وخرجت مارغريت وهي تبسم في طريقها إلى حفظ أوراق الامتحانات ووضع بعض المساحيق على وجهها، ثم الاتصال هاتفياً بالسيدة ولش لتخبرها بأنها لن تحضر حفلة الغداء التي تبين فيما بعد أنها أقل أهمية مما كانت تبدو أول الأمر. وستذهب مارغريت بصحبة دكسن لتناول وجبة من الطعام تتألف من شطائر الجبن والشراب في أحد البارات. شعر دكسن بالسعادة لأن ورقته الراححة كان لها ذلك الوقع العظيم، ولكن هذه الورقة، شأنها شأن أي ورقة رابحة، كانت تبدو من الفائزة بمكان حتى إنه يستحق ربح عشر حيل لا حيلة واحدة، وبدت في يده أفضل مما لو كانت موجودة فوق المنضدة وقد أصبح يملك الآن معلومات بشأن أمرين تجهلها مارغريت. الأول، العلاقة أياً كان نوعها، بين برتراند وكارول غولد سمث التي قفزت مرة أخرى فجأة إلى ذهنه عند سماعه الأخبار التي ذكرتها له مارغريت، وهي أن برتراند عازم على اصطحاب كارول إلى حفلة الصيف

بعدهما تبين أن زوجها ملتزم بالذهاب إلى مدينة ليدز مندوباً رسمياً عن ولس في عطلة نهاية الأسبوع. أما صديقة برتراند الشقراء فقد أصبحت - حسب علمه - وحيدة الآن. والمثير في هذا الوضع أن كارول وبرتراند ومارغريت ودكسن نفسه سيذهبون إلى الحفلة جميعاً، مجموعة صغيرة على حد تعبير مارغريت. الأمر الثاني الذي علم به دكسن ولا تزال مارغريت تجهله هو أن بيل أتكسن وافق على لقائه في البار الذي عزم دكسن على اصطحاب مارغريت إليه الآن. ومن شأن حضور أتكسن أن يكون دعماً له في حالة حدوث أي خلاف بينه وبين مارغريت على الرغم من أن الله يعلم أنه لن تحصل أي خلافات في القريب العاجل بعد أن لعب دكسن ورقته الراححة. كما أن من شأن صمته أن يبعد أي خطر باكتشاف ترتيب لقاتهما. والأهم من هذا كله أن مارغريت وأتكسن لما يلتقيا بعد، وحين حاول دكسن أن يتخيل ما سيقوله كل واحد له عن الشخص الآخر أخذ يصرّ أسنانه. بعدها جلس وبدأ بانتظار مارغريت (والله وحده يعلم كم سيطول انتظاره). ولكي يقضي وقته وجد ورقة فكتب عليها:

«عزيزي السيد كيتن. أرجو ألاّ تمنع في أن أسبّب لك بعض الإزعاج... لكنني أفكر أنه كان في وسعك إخباري عن موعد نشر مقالتني...».

* * *

- أستاذ ولش! أستاذ ولش رجاء.

أخفى دكسن وجهه أكثر بالمجلة التي كان يقرأ فيها وقلب سحته. فهو يعتقد أن التفوه بذلك الاسم في مكان عام يكون خطيئة كبرى حتى لو لم يكن صاحب الاسم حاضراً في ذلك المكان، من المعروف أن ولش كان يتمتع بإجازة في ذلك اليوم، وهذا واضح من الأيام التي تشابه يوم أمس (يوم ناقش دكسن بشأن وظيفته) إذ أخذ ولش المحاضرتين الأولى والأخيرة صباحاً، وتمتع بإجازة بعد الظهر. تمنى دكسن لو أن البواب، ذلك الرجل السيئ جداً، توقف عن الصباح بتلك الطريقة، وابتعد قبل أن تقع عيناه عليه وملاحظته بوصفه أحد أجراء ولش. لكن عبثاً، ففي لحظة شعر باقتراب البواب من المكان الذي يجلس فيه في غرفة الاستراحة وتعين عليه أن يرفع بصره إلى الأعلى.

كان البواب يرتدي بدلة ذات لون زيتوني من الزي العسكري. ويعتمر قبعة مستدقة لا تناسبه، فهو ذو وجه طويل ومنكبين مرتفعين كما ظهر الشعر من بين منخريه، ومن الصعب تحديد سنه. أما ملامحه التي قلما تغيرت، فإنها لم تتغير أيضاً لدى رؤيته دكسن. وبينما هو يقترب قال:
- أوه يا سيد جاكسن.

وتمنى دكسن لو أنه يملك الشجاعة الكافية كي يستدير بقوة وهو في مكانه بحثاً عن هذه الشخصية الجديدة والمجهولة تماماً، وقال بلهجة تنم عن التعاون:

- نعم يا سيد ماكونوشي.

- أوه يا سيد جاكسن، هناك مكالمة هاتفية للأستاذ ولش، غير أنني

لم أعر عليه. هل في وسعك الإجابة؟ أنت الشخص الوحيد الموجود في قسم التاريخ.

فقال دكسن:

- حسناً، هل في وسعي أخذ المكالمة من هنا.

- شكراً لك يا أستاذ جاكسن، كلا، إن الهاتف الموجود هنا خارجي، بينما اتصلت السيدة التي تريد الأستاذ ولش من خط الكلية. سأحوّل الخط إلى غرفة مكتب التسجيل ولن يمانع أحد في أخذك الاتصال هناك.

فكر دكسن: سيدة؟ لا بد أن تكون زوجة ولش أو نصف مخبولة ممن يهتمون بالفنون. ومن الأفضل لو أن المتكلم هي زوجة ولش وعندئذ سيكون اتصالها مفهوماً، إلا أن الأمر السيئ في ذلك هو أن تكون قد اكتشفت أمر الشراشف أو المنضدة. لِمَ لا يدعونه وشأنه؟ لِمَ لا يذهب كل واحد منهم بلا استثناء في طريقه ويتركه وشأنه؟

لحسن الحظ لم يكن كاتب التسجيل، وهو رجل سيئ آخر، أيضاً في غرفته. فالتقط دكسن سماعة الهاتف وقال:

- دكسن يتكلم.

فجاءه الصوت من خلال السماعة يقول:

- علم طبقات الأرض المتوسط. صحيح، نعم.

وقال شخص آخر:

- من المتحدث؟

ثم تلا ذلك صوت طنين انتهى بقرعة مدوية، وعندما حول دكسن

السماعة إلى أذنه الثانية سمع الصوت الثاني يقول:

- هل أنت السيد جاكسن؟

فقال:

- دكسن يتكلم.

فجاء صوت مألوف إلى حد ما، غير أنه ليس صوت زوجة ولش بل صوت فتاة مراهقة:

- من؟

- إنني دكسن وسأبلغ الأستاذ ولش بفحوى رسالتك.

- أوه سيد دكسن!

ثم تلا ذلك صوت يشبه ضحكة مكتومة:

- كان ينبغي أن أتوقع أنك المتحدث، إنني كريستين كالاها.

- أوه، مرحباً كيف حالك؟

لم يستمر مخص الأمعاء الذي أحسّ به دكسن عندما عرف من هو المتحدث إلا وقتاً قصيراً. فقد شعر أن في استطاعه التعامل مع صوتها تعاملًا مشرفاً بينما لا تزال هي في لندن كما يعتقد.

- إنني بخير، شكراً لك. وكيف أنت؟ أرجو ألا تكون لديك مشاكل

أخرى بسبب الملاء.

فضحك دكسن وقال:

- يسعدني أن أخبرك بأن كل شيء انتهى، امسكي الخشب.

- حسناً، اسمع هل هناك طريقة أستطيع بها التحدث إلى الأستاذ

ولش؟ هل هو داخل الجامعة؟

- لم يأت منذ الصباح، من المؤكد أنه في البيت الآن. هل حاولت

الاتصال به هناك؟

- أوه، ذلك أمر يثير القلق. ربما تستطيع أن تخبرني أنت على أي

حال. أتعلم متى يتوقع حضور برتراند؟

حسناً، نعم، أعلم أن برتراند سيأتي في عطلة نهاية الأسبوع وقد

أخبرتني مارغريت بيل بذلك.

في هذه الأثناء، فقد دكسن اتزانته. يبدو أن هذه الفتاة لا تعلم أن

برتراند تخلى عنها على الأقل بقدر ما يتعلق الأمر بحفلة الصيف الراقصة، لهذا فالإجابة عن أسئلتها الخاصة ببرتراند ستكون صعبة. جاءه صوتها أقوى من السابق.

- مَنْ أخبرك بذلك؟

- مارغريت بيل الفتاة التي كانت نزيلة عائلة ولش عندما حضرت في ذلك الوقت.

- أوه، نعم. بدأت أفهم. هل ذكرت لك أن برتراند سيحضر حفلة الصيف الراقصة؟

فكّر دكسن بسرعة. يجب ألا تثار أي أسئلة عن شريكة برتراند المحتملة في الحفلة فقال:

- لم تذكر، لكن الجميع سيذهبون على أي حال.

وفكّر دكسن في السبب الذي يمنعها من أن تسأل برتراند نفسه.

- حسناً، لكنه سيأتي حتماً.

- على ما يبدو.

لا بد أن الفتاة أدركت حيرته لأنها قالت:

- «أتوقع أن تفكّر في عدم سؤالي برتراند نفسه عن ذلك، حسناً،

في الواقع يصعب العثور عليه غالباً، ويبدو أنه قد اختفى حالياً وذهب

إلى جهة لا يعلمها أحد. وهو يحب أن يروح ويجيء على هواه ويكره

الارتباط، هل فهمتني؟» فقال دكسن وهو يضم قبضة يده الثانية ثم هزّ

إصبعيه الأولى والثانية منها:

- نعم حتماً.

- لهذا فكّرت إن كان والده يعلم أين هو. إن النقطة الأساسية هي

أنني أريد أن أعرف ذلك. لقد عاد عمي السيد غور أورغوهارت من باريس

في وقت أبكر مما كان يتوقع، وقد تلقى دعوى من عميد كليتكم لحضور

حفلة الصيف الراقصة، وهو لا يدري إن كان سيحضر أم لا. حسناً، إنني أستطيع إقناعه بالحضور إذا كان برتراند سيحضر معي، عندئذ يستطيع كل منهما التعرف إلى الآخر، وهذا ما يريده برتراند، لهذا يجب أن أعرف حالاً، لأن الحفلة ستقام بعد غد، ويرغب عمي في معرفة المكان الذي سيقضي فيه عطلة نهاية الأسبوع قبل وقت مناسب، أخشى أن القضية فيها الكثير من التعقيد.

- ألا تستطيع زوجة ولش إلقاء بعض الضوء على القضية؟

وساد الصمت لحظة ثم قالت:

- لم أتصل بها في الواقع.

- حسناً، أعتقد أنها تعرف أكثر مني. أليس كذلك...؟

- آلو... حسناً، إنني ما أزال على الخط. أصغ إليّ يا دكسن، أرجو

أن يكون الأمر سرّاً بيننا. أعدني؟ إنني لا أريد الاتصال بها إذا استطعت أن أعرف الأمر من مصدر آخر... لم ننسجم كثيراً عندما كنت موجودة معكم. لا أريد مناقشتها في أمور تخص برتراند من خلال مكالمة هاتفية. أعتقد أنها ستظن أنني... لا بأس أرجو أن تفهم قصدي.

- أفهم قصدك، أنا أيضاً لم أنسجم على نحو بارع مع السيدة، والآن

لديّ اقتراح سأتصل بولش وأخبره بأن يتصل بك، وإذا لم يكن موجوداً فسأترك له رسالة أو شيئاً من هذا القبيل، وسأبذل جهدي كي لا تتدخل السيدة ولش في الموضوع، وإذا لم تسر الأمور على ما يرام فسوف أتصل بك أنا شخصياً وأخبرك بالأمر، ما رأيك؟

- عظيم، شكراً جزيلاً. يا لها من فكرة مدهشة. سأعطيك رقم هاتف

المكان الذي أعمل فيه حتى الساعة الخامسة والنصف. مستعد؟ وبينما كان دكسن منهمكاً في تسجيل رقم الهاتف، أكد لنفسه مرات كثيرة أن السيدة ولش لم تستطع اكتشاف أمر الشرافش أو المنضدة، وإلاّ فمن المؤكد أن

مارغريت كانت حذرتة بشأنها. وفكر في مشاعر هذه الفتاة تجاهه. وأخيراً قال:

- حسناً، لقد سجلت الرقم.

فقال الفتاة بحيوية:

- عظيم جداً أن تفعل هذا من أجلي. لكن ألا تشعر أن ذلك يجعلني أبدو كالحمقاء، بينما تتكبد أنت عناء هذا الإزعاج لإنقاذي...
فقال:

- كلا، أبدأ. إنني أدرك هذه الأمور جيداً.

وقال لنفسه: «أفضل من أي شخص آخر».

- حسناً، إنني ممتنة لك في الواقع. إنني لا أستطيع مواجهة...
في هذه اللحظة تخلل جملتها شيء يشبه إشارة لاسلكي وتلاه صوت امرأة وهي تقول:

- لقد انتهت الدقائق الثلاث الثانية، أترغبين في ثلاث دقائق أخرى؟

قبل أن يتمكن دكسن من الكلام صاحت كريستين كالاها.

- نعم، من فضلك. أرجو عدم قطع الاتصال.

فتوقف صوت المرأة بينما قال دكسن:

- ألو.

- ما زال معك على الخط.

- أصغي إليّ. ألا يكفلك ذلك مبلغاً طائلاً من المال؟

- لا يكلفني، بل يكلف المحل.

ثم أطلقت إحدى ضحكاتها المعهودة التي لا تشبه رنين الأجراس الفضية، إذ كان تنافر النغمات يتضح أكثر من خلال سماعة الهاتف. وضحك دكسن أيضاً وقال:

- حسناً، أرجو أن تنتهي الأمور على خير. ومن المؤسف ألا تنتهي

كذلك بعد كل هذه الترتيبات.

- نعم، صحيح. هل تذهب إلى الحفلة؟

- أخشى ذلك.

- تخشى؟؟

- نعم، إنني في الواقع لست راقصاً كما تعلمين. وأخشى أن تكون

تلك الحفلة مناسبة لتعذيبي.

- لماذا ستذهب إذا؟

- فات الأوان على عدم الذهاب الآن.

- ماذا؟

- قلت ربما سأتمتع قليلاً آنذاك.

- أوه، أعتقد أنك سستمتع فعلاً، أنا شخصياً لست راقصة جيدة حقاً

ولم أتعلم الرقص تعليماً صحيحاً قط.

- لا بد أنك تمرّنت كثيراً.

- ليس كثيراً في الواقع، فأنا لم أحضر الكثير من الحفلات الراقصة.

- عندئذ نستطيع أن نجلس معاً في الخارج.

فكّر دكسن في أن عبارته تلك تنطوي على جرأة كبيرة، وما كان

ينبغي له أن يتفوّه بها.

- إذا حضرت.

- نعم، إذا حضرت.

في هذه الأثناء سادت لحظة الصمت التي تسبق الوداع وشعر دكسن

بالحزن، فقد أدرك أول مرة أنها من غير المحتمل أن تحضر الحفلة، وأنها

من غير المحتمل أيضاً أن تفكر في أي سبب يدعوها للحضور، ومن ثم

من غير المحتمل جداً أن يراها ثانية بعد الآن. ومن المقرّف أن يفكّر في

أن العوامل التي تقرّر ذلك هي قوة طموحات برتراند الجنسية والمالية

والاجتماعية وطبيعتها.

- حسناً، شكراً لك مرة أخرى على مساعدتك.

- عفواً. أرجو أن أراك فعلاً يوم السبت القادم.

- وأنا كذلك، وداعاً ربما ستتصل بي ثانية.

- هذا صحيح، إلى اللقاء.

اتكأ في جلسته وأطلق حسرة وهو يحاول أن يتصور هياتها عند الطرف الآخر من الخط. لا بد أنها كانت تجلس منتصبه في كرسياها في المكتب كأنها كاتب ملاح جوي قيل له «استمر» في أثناء زيارة تفتيشية يقوم بها السلاح الجوي، أو هل أن الأمر غير ذلك؟ لم يظهر عليها ذلك من خلال سماعه الهاتف.

لقد تحدثت إليه بارتياح ألفه فيها منذ أن رآها في حادثة الملاء والمنضدة. بيد أن صداقتها الظاهرة عن طريق أسلاك الهاتف ربما يكون أساسها غيابها المادي. من جانب آخر، إلى أي مدى تكون قسوتها في بعض الأحيان وهماً يستند إلى الشكل الذي تبدو فيه؟

كان دكسن يبحث عن علبة سجائره، عندما دخل جونز حاملاً رزمة أوراق. هل كان يصغي إليه يا ترى؟ فسأله دكسن بلباقة كاريكاتيرية:

- هل في وسعي مساعدتك؟

ولما رأى جونز أنه يتعين عليه الكلام قال:

- أين هو؟

فمدّ دكسن رأسه باحثاً تحت المكتب، وفي الدرج الأعلى وأخيراً في سلة المهملات. ثم قال:

- ليس هنا.

فقال جونز دون أن تتغير ملامحه الشبيهة بلون الجبن.

- سأنتظر.

- لن أنتظر.

قال ذلك دكسن وهو يخرج من الغرفة بعد أن عزم على الاتصال
ببيت ولش من هاتف غرفة الاستراحة، وبينما هو يمرّ بغرفة البواب سمع
ماكونوشي يقول:

- ها هو الآن يا سيد ميشي.

ثم رسم على وجهه ملامح الأسكيمو، وهي إخفاء رقبتة بين كتفيه
إضافة إلى أنها محاولة لتقليص حجم وجهه إلى النصف ومن ثم جعله
عريضاً أيضاً. وبعد أن نفذ ذلك الوضع واستمر به بضع لحظات التفت
ورأى ميشي.

- أوه، أرجو ألا تكون مشغولاً يا سيد دكسن.

كان دكسن يعلم جيداً أن ميشي يعرف تماماً هو الآخر كيف ولماذا
لا يمكن أن يكون دكسن مشغولاً. فقال:

- ليس في هذه اللحظة، ما الذي أستطيع أن أفعله لأجلك؟

- بشأن موضوعك في السنة القادمة.

- نعم، ماذا بشأنه؟

كانت المؤامرة حتى هذه اللحظة تكاد تكون لمصلحة دكسن،
فالفتيات الثلاث الجميلات اللواتي يسعى لأجل تأمينهن لصفه أبدين
اهتماماً أكبر في المناقشة الأخيرة، بينما ظلّ اهتمام الطالب ميشي على
حاله.

- أتقوم بنزهة بين الحشائش يا أستاذ؟ من المؤسف أن يبقى المرء
بين الجدران في مثل هذا اليوم الرائع. أليس كذلك؟ أودّ الاستفسار عن
مفردات المنهج الدراسي يا أستاذ، لقد درسنا المفردات بعناية أنا والأنسة
أوشونوسي والأنسة ماك كوركوديل والأنسة ريز وليامز، وأعتقد أن الفتيات
يشعرن بأن الموضوع ثقيل إلى حدّ كبير، أما أنا فلا أشاطرهن الرأي. وكما

قلت لهن، فإن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى معرفة أولية كبيرة وإلا سيكون بلا معنى. لكنني أخشى أنهن لم يقتنعن، فهن بطبيعتهن يتمتن بمزاج محافظ على العكس منا، ويشعرن على سبيل المثال بأنهن مع وثائق غولد سمث يكتنّ في أمان أكثر وعلى ثقة بما سيحصلن عليه هناك.

كان دكسن واثقاً هو الآخر أيضاً. إلا أنه سمح لصوت ميشي بأن يطنّ في أذنيه وهما يخرجان إلى ضوء الشمس الساطع ويعبران الإسفلت نحو الحشيش الممتد أمام المبنى الرئيس. هل يريد ميشي يا ترى أن يخبره بأن الفتيات الثلاث سيغيّرن اختيارهن، وأنه شخصياً ملتزم به؟ كلا، إنهم سيحولون دون ذلك بطريقة غير قانونية إذا اقتضت الضرورة، فقال دون أن يتمكن من إبعاد نبرة الحزن عن صوته: ما الذي يفترض فيّ أن أعمله إذا؟ نظر إليه ميشي وبدا له أن شاربه أكبر من المعتاد، أما رباطه الحريري الذي برزت عقدته المربوطة بطريقة وندسور، فكان لا ينسجم ولون قميصه الذي يشبه لون البسكويت، وكان بنظونه الأرجواني اللون يهترّ بخفة مع حركاته. وقال وفي صوته حد أدنى من الدهشة:

- ذلك شأنك يا أستاذ.

فقال دكسن دون اكتراث:

- إنني أفكّر لو أن في وسعي الاستغناء عن الموضوع.

- لا أعتقد أن هناك الشيء الكثير لتضحّي به بسهولة يا سيد دكسن بقدر ما يتعلق الأمر بي، فإنني أعتقد أن القاعدة العريضة هي مصدر اهتمامي الأساس.

كان هذا أمراً يستحق أن يعرف، فالقاعدة التي تتألف من نقطة واحدة هي الشيء الذي يجب أن يسعى لأجله.

- حسناً، سأفكّر في الأمر مرة أخرى، على أي حال، لأرى إن كان في وسعي أن أعمل شيئاً بشأن الموضوع.

- حسناً يا أستاذ.

قال ذلك ميشي وسلوكه يشبه سلوك رئيس الأركان وهو يوشك أن ينفذ خطة أمره التي يستحيل تنفيذها.

- هل تتصل بي، أو...

- سأدرس المسألة هذه الليلة وأحدثك بالأمر صباح الغد إن كان ذلك يناسبك.

- بلا شك. هل في وسعك المجيء إلى غرفة استراحة طلاب السنة الثانية حوالى الحادية عشرة. سأطلب من الفتيات الحضور وفي وسعنا أن نتناول جميعاً فنجان قهوة.

- رائع يا سيد ميشي.

- شكراً لك سيد دكسن.

بعد هذه التحية الفكتورية أو التي تشبه تحية فريق منوعات، عاد دكسن إلى غرفة الاستراحة وكانت خالية هذه المرة، فجلس قرب الهاتف. وفكر في أن كل مفردات المنهج التي من شأنها أن تثير المتعة في نفس ميشي ينبغي حذفها تماماً حتى لو كانت تلك المفردات ضرورية جداً. وماذا يهم؟ ربما لم يكن يتعين عليه الانخراط في هذا المنهج. وفي هذه الحالة لماذا يقلق بشأن الاهتمام الذي أبداه ميشي والفتيات الثلاث الجميلات؟ أطلق حسرة ورفع سماعة الهاتف.

وفوراً جرت الأحداث بسرعة كبيرة. ففي حين كانت النداءات التي تطلب من بيت ولش تتأخر بعض الوقت، فإن محاولة الاتصال بالبيت من الخارج بواسطة الهاتف كانت سريعة جداً. ففي أقل من ربع دقيقة كانت زوجة ولش تقول له من الطرف الآخر:

- سيليا ولش تتكلم.

وهنا شعر كأنه قضم قطعة من البسكويت، ففي غمرة تفكيره نسي

زوجة ولش، لكن ما سبب الجزع؟ فقال بلهجة اعتيادية:

- في وسعي التحدث إلى الأستاذ ولش رجاء؟

- أنت السيد دكسن أليس كذلك؟ قبل أن أستدعي زوجي، أرجو أن

تخبرني لو سمحت بما فعلته بالملاء والبطانيات الموجودة على سريرك
عندما...

وهنا أراد دكسن أن يصرخ. لكن عينيه الواسعتين وقعتا على نسخة
من جريدة محلية بقربه. فقال دون تفكير وبعد أن غيّر صوته قليلاً ومطّ
شفتيه:

- لا، يا سيدة ولش. لا بد أن في الأمر بعض الخطأ. هنا جريدة
«الإيفنغ بوست» وليس عندنا شخص اسمه السيد دكسن. إنني على ثقة
بذلك.

- أوه، إنني متأسفة جداً، لقد ظننت في البداية أنك... يا لي من
سخيفة.

- لا بأس يا سيدة ولش، لا بأس.

- سوف أستدعي زوجي حالاً.

- «في الواقع أنني أريد التحدث إلى السيد برتراند ولش». قال دكسن
ذلك وهو يتسم لمكره، ففي ثوانٍ معدودة سينتهي هذا الفصل المرعب.

- إنني لست متأكدة إن كان... انتظر لحظة من فضلك... وهنا
تركت سماعة الهاتف، وفكر دكسن في أنه من الأفضل له أن ينتظر. كما
أن المعلومات التي ذهبت السيدة ولش على ما يبدو للحصول عليها
والخاصة بمكان وجود برتراند هي كل ما أراد الحصول عليه من معلومات
يقدّمها للأنسة كالاهان، كما أن في وسعه الاتصال بها وإخبارها أيضاً،
نعم، «انتظر بأي ثمن».

كان ثمن واحد لهذا الانتظار قد ظهر على شكل صوت يتذكّره جيداً

إذ أخذ في أذنه قائلاً: «برتراند ولش يتكلم!» مما جعل دكسن يتخيل أن برتراند كان في الواقع معه في الغرفة وأن سماعة الهاتف قد تحوّلت بفعل ساحر إلى تلك الشفتين الورديتين المغطاتين باللحية.

قال دكسن بعد أن أفلح في إحداث بعض التهدج بواسطة أنفه:

- هنا صحيفة «الإيفنغ بوست».

- هل في وسعي أن أقدم أي خدمة يا سيدي؟

استعاد دكسن وضعه قليلاً وقال وهو يخطط:

- نعم، نحن بصدد كتابة موضوع عنك سينشر يوم السبت القادم إذا لم يكن لديك أي مانع.

- اعتراض؟ اعتراض؟ أي اعتراض يقدمه رسام متواضع لقليل من الشهرة؟ في الأقل أعتقد أنه لا ضرر من ذلك.

ضحك دكسن ضحكته المعهودة وقال:

- أوه، لا ضرر من ذلك بتاتاً. أؤكد لك ذلك يا سيدي. لدينا بعض

المعلومات عنك. إلّا أننا نرغب في معرفة اهتماماتك الحالية.

- فعلاً. فعلاً ذلك معقول. حسناً، أنا الآن مشغول بعمليين أو ثلاثة.

هناك لوحة رائعة لفتاة عارية، ولا أدري إن كان قراء جريدتك يرغبون في هذا النوع.

- نعم إنهم يرغبون في هذا جداً يا سيد ولش أؤكد لك ذلك وبخاصة

إذا أخبرناهم بالموضوع قبل وقت مناسب، وأعتقد أنه لا اعتراض لديك

إن أطلقنا عليها اسم «شكل أنثى عارية». هل لديك اعتراض يا سيدي؟

أعتقد أن الصورة تمثل أنثى.

فضحك برتراند كأنه كلب صيد في المقدمة يعلن نهاية عملية البحث

وقال:

- أوه، إنها أنثى فعلاً. في وسعك أن تراهن بآخر دولار لديك على

ذلك.

ضحك دكسن من ذلك وفكر: أي قصة ستؤلف عن هذا الموضوع بالنسبة إلى بيزلي وأتكسن، ووجه إليه سؤالاً آخر وكان يفترض به أن يكون محتفظاً بهدونه في تلك اللحظة:

- أستطيع أن تقول شيئاً عما يطلق عليه عموماً المعالجة؟

- المعالجة جريئة وعصرية. إن الرسامين الحديثين يعقدون التفاصيل

كثيراً، ونحن لا نريد ذلك، أليس كذلك؟

- فعلاً يا أستاذ، أعتقد أن هذه اللوحة مرسومة بالألوان الزيتية.

- أوه، نعم ويبلغ حجمها ثماني أقدام x ست أقدام أو هكذا سيكون

حجمها بعد تطيرها. لوحة رائعة جداً.

- هل لديك أي عنوان لها؟

- حسناً، نعم رأيت أن أسميها «العارضة الهاوية»، لأن الفتاة التي

تمثلها اللوحة هي فتاة هاوية وتعمل عارضة للرسامين، في الأقل عندما

تجلس أمامهم. ولو كنت في مكانك لما وضعت هذه التفاصيل الخاصة

بالعنوان.

- لا تحلم بذلك.

قال ذلك دكسن بصوته الطبيعي تقريباً، فقد أحكم إغلاق فمه على

نحو لإرادي في غضون الثواني القليلة الماضية. يا له من فتى برتراند

أليس كذلك؟ تذكر إحياءات برتراند في عطلة نهاية الأسبوع التي قضاها

بصحبة الأنسة كالاهاان عند أول لقاء بينهما. يا إلهي! لو أن الأمور وصلت

إلى الاقتال فإنه...

فسأل برتراند بلهجة يشوبها القليل من الارتياب:

- ماذا قلت؟

فأجاب دكسن:

- كنت أتحدث إلى شخص آخر هنا في المكتب يا سيد ولش.

لقد فهمت ذلك كله يا سيد شكراً لك. والآن ما هي مشاغلك الأخرى؟

- حسناً، هناك صورة شخصية لي حيث أقف خارج المنزل وورائي حائط من الطابوق، ويبدو في الصورة الجدار أكثر ارتفاعاً مني، والفكرة الرئيسية هي امتقاع اللون وتجعد الملابس إزاء الحائط الأحمر الهائل والأملس. إنها صورة فنان بقدر أو بآخر.

- آه، صحيح يا سيد. شكراً لك، هل هناك شيء آخر؟

- هناك لوحة صغيرة تمثل ثلاثة عمال ينظرون إلى صحيفة في أحد المشارب. غير أن هذه اللوحة لا تزال في مراحلها الأولى.

- «افهم ذلك. حسناً، ذلك يفيدنا حقاً يا سيد ولش». ثم أضاف

دكسن بعد أن أدرك أن لحظة تحول جريئة أصبحت مطلوبة الآن:

- لقد ذكرت السيدة الشابة شيئاً ما عن إقامة معرض يا أستاذ. هل

ذلك صحيح؟

- نعم سأقيم معرضاً محلياً صغيراً في فصل الخريف لكن من هي

السيدة الشابة هذه؟

فضحك دكسن في سرّه وقال:

- فتاة تدعى الأنسة كالاهاان يا أستاذ، أعتقد أنك تعرفها.

فقال برتراند بصوت أقوى قليلاً:

- نعم إنني أعرفها، لماذا؟ ما هو دورها في هذا كله؟

فقال دكسن بدهشة مزعومة:

- لماذا؟ فكرت في أنه ربما ينبغي لك أن تعرف، فالفكرة فكرتها

في الواقع وهي تعرف أحد العاملين معنا في الصحيفة، وأعتقد أنها هي صاحبة فكرة كتابة الموضوع القصير عنك.

- حقاً. حسناً، إنها المرة الأولى التي أسمع فيها مثل هذا الشيء.

هل أنت على ثقة بذلك؟

أطلق دكسن ضحكة محترفة هادئة وقال:

- أوه، إننا لا نرتكب أي أخطاء في مثل هذه الأمور يا أستاذ، فهي خارج نطاق عملنا، وأرجو أن تفهم ما أعني يا سيد ولش.

- نعم. أعتقد كذلك. لكن الأمر يبدو كله...

- حسناً، ينبغي لي أن أنظر في المسألة معها إذاً يا أستاذ إذا كنت

ترتاب في ذلك، في الواقع، عندما كانت الأنسة كالاهاان مع أنكسن...

- من هو أنكسن، إنني لم أسمع به!

- السيد أنكسن في مكتبنا في لندن يا أستاذ، لقد ذهبت إليه توأ يا

أستاذ وأرادت منا أن نطلب منك الاتصال بها إذا استطعنا الاتصال بك.

يبدو أنها لم تتمكن من الاتصال بك في البيت. يبدو أن أمراً عاجلاً قد طرأ

وهي ترغب في أن تتصل بها أنت ظهر اليوم قبل الساعة الخامسة والنصف

إذا كان ذلك في وسعك.

- حسناً، سأفعل ذلك. بالمناسبة ما اسمك؟ ربما سأحتاج...

فقال دكسن دون تردد:

- بيزلي يا أستاذ ألفرد آر. بيزلي.

- حسناً، شكراً لك يا سيد بيزلي، بالمناسبة متى سينشر الموضوع؟

- أوه يا أستاذ أخشى أنه ليس في ميسوري أن أحدد ذلك. لكن

من المؤكد أن الموضوع سينشر في غضون الأسابيع الأربعة القادمة. إننا

نرغب في إعداد المادة قبل وقت مناسب استعداداً لأي طارئ، هل فهمت

يا سيد ولش؟

- بلا شك، بلا شك. هل حصلت على كل ما تحتاج إليه من

معلومات؟

- نعم، شكراً جزيلاً سيد.

- كلا، كلا. شكراً لك أنت أيها الصديق القديم.

قال ذلك برتراند ثم أضاف وهو يعود إلى ترحيبه السابق:

- إنكم مجموعة طيبة من الرجال يا سادة الصحافة.

فقال دكسن:

- يسعدني أن أسمع ذلك منك يا أستاذ.

ثم قلب ملامح وجهه وهو يمسك بسماعة الهاتف فأصبح يشبه

أديث سيتويل، وأضاف:

- حسناً، مع السلامة، وشكراً لك يا سيد ولش، إنني ممتن لك

كثيراً.

- إلى اللقاء يا بيزلي.

استرخى دكسن في مقعده ومسح وجهه على الرغم من أنه كان يرغب

في مسح شكله كله. ثم أشعل سيجارة. لقد جعله الهلع متهوراً ولكن ليس

على النحو الذي لا يمكن إصلاحه. والمفتاح الرئيس للموقف كله يكمن

في إنهاء الخدعة حالاً قبل أن يتمكن برتراند من تضخيم المسألة كلها.

ولا بد من حشر الأنسة كالاهاان في الجزء اللاحق من القصة بعناية: اتصل

بها شخص مجهول يدعى أتكسنس في ذلك الصباح، وادّعى أنه صحفي

وأخذ يناقش موضوع برتراند. وتحدث حديثاً غامضاً عن صحيفة «الإيفنغ

بوست» وحصل على رقم هاتف بيت ولش وأنهى المكالمة. وعندما يأتي

برتراند ليردّ على المكالمة سيسألها عن الموضوع ولا بد أنها ستخبره

حالاً بقصة أتكسنس وستقول له إنه يبدو أن الأمر مشكوك في صحته،

وإن صوت أتكسنس ذكّرها جيداً بشخص ما من معارفهما في لندن لعب

لعبة سخيفة معهما من قبل. ولا بد أن توضح دون أي تأكيد يشير الارتياب

أن أتكسنس اتصل بها من لندن وليس من هاتف على مسافة طويلة. وإذا

تشبّث الأنسة كالاهاان بقصتها فإنها ستكون مع دكسن بأمان تاماً، حتى

لو اتصل برتراند بصحيفة «البوست» مستفسراً عن بيزلي ويتمثل الخطر بأنها تشترك في المؤامرة. هناك دلائل قوية على أي حال تدعو إلى التفكير في أنها ستفعل: امتنانها لعرضه تقديم المساعدة وبخاصة في مهمته في أصعب الأوقات، وتصرفها في أثناء قضية الملاء والمنضدة، وأخيراً ضعف موقفه الشديد في حال انكشاف الحقيقة إذا كان ذلك ضرورياً. فإذا كان برتراند لا يزال مرتاباً في الأمر فإن في وسعه الضغط على الفتاة عاطفياً. لكن ما هو السبب الذي يدعوه إلى الارتياب؟ إنه يكاد لا يفكر في أنها ستمعن في تحريض شخص مجهول لكي تحصل على بعض المعلومات عن حفلة الصيف، وهذا ما فعلته في الواقع.

من الواضح أنه ينبغي الاتصال بها وحشرها في قصته، ينبغي له أن يسرع لأنه يجب أن يتناول غداءه ويعود للمراقبة في الامتحان عند الساعة الثانية. وقبل أن يشرع في أي حركة دفع رأسه إلى الوراء، وأطلق ضحكة فوضوية مدوية وطويلة. بدا له كل شيء مدهشاً حتى لو انقلبت الأمور إلى الأسوأ. غير أنها لن تنقلب. فالحملة ضد برتراند التي فكر فيها عندما كان في بيت ولش قد بدأت الآن وبنجاح تكتيكي مذهل. غير أن صوتاً تحذيرياً بأن هذه الحملة كانت حتى الآن خطيرة جداً بالنسبة إلى شخص له مثل مركزه الضعيف، وأن متعة المعركة كانت تفقده تعقله وحذره، تبّه. إلا أنه أغرق ذلك في ضحكات مماثلة متزايدة ومع هذا، فقد التقط سماعة الهاتف وطلب رقم كريستين كالاهاان، وفكر في أنه من الأفضل عدم ذكر أي شيء من مثل القصة الكاملة لما دار بينه وبين برتراند. وبعد لحظة انحنى إلى الأمام وقال:

- الآنسة كالاهاان؟ طيب إنني دكسن. أرجو أن تصغي إليّ بعناية.



قالت مارغريت:

- بصراحة يا جيمز لم يكن هناك أي احتمال لتبدو أكثر شحوباً. لقد استطاعت السيطرة على غضبها، إن فمها ظلّ مغلقاً وعينيها تشعان ناراً. أنت تعلم ذلك. ولا أستطيع القول إنني ألومها بعد أن أخبرها بتلك الطريقة على مائدة العشاء أمامي وأمام عائلة نيدي.

فسأل دكسن وهو يدور حول منصة الرقص ليأخذها بعد ذلك باتجاه الغرفة الموسيقية:

- وماذا قال بالتحديد؟

- حسناً، قال: «أوه، بالمناسبة يا كارول، أودّ أن أقول لك إن كريستين ستأتي إلى الحفلة الراقصة على أي حال وإنها ستأتي بعمها معها». ثم أخذ يستظرفها قائلاً: «لكي لا يراقص العم ابنة أخيه، وهو أمر ليس شائعاً» أو أي كلام تافه آخر. «فكرت في أن أفضل الأشياء هو تحويلها إليّ إذا لم يكن لديك أي اعتراض» وكأنما في وسعها الاعتراض بينما كنا نحن جميعاً نصغي إليه «وسيكون من دواعي سرور غور أورغوهارت مرافقتك، أنا متأكد من ذلك» ثم انتهى كل شيء.

فقال دكسن:

- ام، ام، ام...

كان يحسّ بالتعب جراء الرقص. كما أن مواصلة النظر إلى وجه مارغريت وهي تتقدّم وتراجع زاد من صعوبة الكلام. يضاف إلى ذلك، أنه ينبغي له الإصغاء جيداً إلى الموسيقى في خضم وقع خطوات كثيرة وضجيج الأحاديث، ثم أضاف:

- ذلك لا يطاق.

- لم أر في حياتي مثل ذلك الجهل، إن الرجل يصعب احتماله تماماً يا جيمز من الناحية الاجتماعية وبقية النواحي أيضاً. لكنني أقول، وهذا ما خطر ببالي في ذلك الوقت، هل تعتقد أن هناك أي علاقة بين برتراند وكارول؟

- ليس لدي فكرة. ما الذي جعلك تقولين هذا؟

- ألم تلاحظ أي شيء؟

- لا أعتقد، لماذا؟

- أوه، لا أدري، لكن الأمر الغريب حقاً، أن يأخذها معه إلى الحفلة حيث بدت منفصلة جداً.

- «أوه، لكن برتراند دوماً مفعم بحب كليهما، وما زلت أتذكر أنك كنت هناك عندما أخبرتنا، ومن الطبيعي أن تشعر أنها تشق طريقها إليه قليلاً». «آسف» قال ذلك لفتاة اصطدمت مؤخرتها بحضنه. وتمنى لو تنتهي هذه المجموعة من الرقصات، شعر بالحرارة وبدت جواربه كأن رمالاً ناعمة لاصقة منتشرة فيها، كما أحسّ بالألم في ذراعيه كالملاكم الذي يحاول أن يظل يقظاً بعد الجولة الرابعة عشرة وفكر، لماذا لم يخبر مارغريت بالعنف الذي شهده في عطلة نهاية الأسبوع. وهي لن تبوح بمثل هذه الأمور إذا طلب منها ذلك. ربما لأن هذه الأخبار ستسبب قليلاً بإزعاجها وهذا ما لا يرغب فيه. لماذا لم يرغب في ذلك؟

أخذت مارغريت تتحدث مرة أخرى بحيوية، كان وجهها متورداً إلى حد ما، بينما انتشر أحمر الشفاه على شفيتها بعناية أكثر من قبل، وبدت كأنها في حالة من السعادة. فالحمد الأدنى من الجمال الذي تتمتع به كان بادياً عليها. وقالت:

- حسناً، على أي حال، أعتقد أنها قامت بعمل أفضل مع السيد غور أورغوهارت ينبغي لي أن أقول إنه يبدو مدهشاً جداً ومن النوع النادر في

هذه الأيام، وأخلاقه ممتازة جداً. أليس كذلك؟ شيء حقيقي، نوع من التغيير بعد الوحش ذي اللحية.

أصدر دكسن صوتاً غير مسموع بواسطة حنجرتة إلا أنه قبل أن يجد الوقت الكافي للإجابة، اقتربت الرقصة من النهاية. وفي لحظة، تلا ذلك صوت قوي مزعج وانتهت الرقصة. فأطلق دكسن حسرة ومسح راحتي كفيه بمنديله وقال:

- ما رأيك بقدر من الشراب؟

فقال مارغريت وهي تحول عينيها هنا وهناك:

- انتظر لحظة، أريد أن أعرف إن كان الآخرون موجودين. كان الراقصون يبتعدون الآن عن حلبة الرقص فبدت الجدران مزينة بمشاهد من الماضي السحيق مرسومة بأسلوب متقدم بلا شك وكان المشهد القريب من دكسن يمثل صورة جندي مشاة إسبارطي؟ مقدوني؟ روماني؟ كأنه يسقط من السماء أعداءه البرابرة الفرس، القرطاجيين؟ الذين كانوا يحدقون دون أن يدركوا الخطر الجاثم فوقهم. وفي بعض الأماكن تنتصب أعمدة هائلة مصنوعة من مادة شاحبة، ابتسم دكسن ابتسامة شوق حزينة لذلك المشهد، إذ ذكرته كلها بالمطاعم الضخمة في ماربل آرج وجارنك كروس وكوفنتري ستريت حيث استمتع كثيراً هناك. وبعد أن خفض بصره عن هذه المشاهد، شاهد ميشي وسط الزحام يتحدث إلى الأنسة أوшонوسي ويضحك معها وهي أجمل الفتيات الثلاث، بل صديقه حقاً. كان وجهها يشبه وجوه العجر، أذكن ولكنه متورد مما أثر فيه تأثيراً غير مريح. وينطبق الشيء نفسه على الثوب القصير الذي كانت ترتديه. وعلى الرغم من أنه كان على مسافة خمس عشرة خطوة من ميشي، استطاع أن يتأثر بحضوره، فهو يعرف جيداً ذوق ميشي في ملابس السهرة وبراعته في الحديث وشدّ انتباه المستمعين له. فلما رآه ميشي شعر بالوجل ثم انحنى

له انحناء صغيرة، بينما ابتسمت له صديقه قبل أن تدبر وجهها وتستغرق في الضحك.

قال دكسن لمارغريت مرة أخرى:

- ما رأيك بقدح من الشراب؟

فقالت:

- آه. إنهم هناك.

كان برتراند وكريستين يقتربان، وأدرك دكسن أن عليه أن يقرّ أن برتراند كان أنيقاً في ملابس السهرة، وأنه يبدو أشبه بفنان حقيقي فركّز دكسن نظره فيه، لأنه أثار اهتمامه ولتجنب نظرات كريستين. كانت تصرفاتها منذ تلك الليلة لا تتسم بالجدّة فحسب، بل اتّسمت بالتجاهل وجعلته يشعر بأنه غير موجود هناك البتة خلافاً لتوقعاته، لكن الأسوأ من هذا كله أنها كانت تبدو في ذلك المساء في أحلى صورة. فقد ارتدت ثوباً أصفر اللون يكشف عن كتفيها. وبدا من الواضح أنها تعمدت ذلك لإظهار عدم الانسجام في ثوب مارغريت المصنوع من التفتا الزرقاء. وتصور أن هدف كريستين من هذا، هو تأكيد لون بشرتها الطبيعي، فكانت النتيجة مذهلة تماماً. بعد أن تقدّمت مع برتراند لمحت دكسن، فأراد أن يخفي نفسه خلف الجدار العازل من السراويل والتنورات، أو يسحب ياقة قميصه ويغطّي رأسه ويهرب باتجاه الشارع على الرغم من أن نظراتها إليه لم تكن تشي بشيء، وتذكر أنه قرأ ذات مرة أن شخصاً ما من مثل أرسطو وآي - أي - رچاردز قال إن رؤية امرأة جميلة تجعلنا نتحرك باتجاهها. إن أرسطو أو رچاردز على خطأ، أليس كذلك؟

- حسناً، ماذا هناك أيها الناس؟

سأل برتراند وهو يمسك كريستين بإصبعين، ربما ليحسّ نبضها. ثم

نظر إلى دكسن الذي كان حتى الآن يشعر نحوه بالود.

وقال دكسن:

- حسناً، لقد فكرت في الذهب وشرب قدح من الشراب.

- أوه، التزم الهدوء يا جيمز سيعتقد كل واحد أنك متموت إن لم

تحصل على قدح من الشراب في كل ساعة.

فقال برتراند:

- ربما سيموت، ومن المفيد ألا يجازف بذلك. ماذا بشأن ذلك يا

عزيزتي؟ أخشى أنه لا يوجد هنا سوى الشراب وعصير التفاح، ما رأيكم
في الانتقال إلى مكان آخر؟

- نعم. لا بأس لكن أين هو العم يوليوس والسيدة غولد سمث لا

يسعنا الذهب دونهم.

في حين اتفق أن هذين الشخصين ربما يكونان في البار، صرّ دكسن

أسنانه بسبب العم يوليوس. كم هو مدهش أنه يوجد شخص بهذا الاسم،
وأنه يوجد شخص آخر يسميه بهذا الاسم، وأن يكون حاضراً بنفسه ليسمع

شخصاً ينادي الآخر بذلك الاسم. وبينما هو يتسلل مع مارغريت بين
مجاميع الناس المنهمكين في الحديث من جهة، والصامتين على امتداد

الجدار من جهة أخرى، وقعت عيناه على ألفرد بيزلي وهو يقف وقفة
بائسة إلى حد ما بين القسم الثاني من الناس، كان بيزلي المعروف بعدم

قدرته على التعرف إلى النساء يحضر دوماً مثل هذه الأماسي، ولأن كل
امرأة حضرت الليلة بصحبة شريكها، ما عدا بعض النساء من أمثال أستاذة

الفلسفة وهي امرأة تبلغ الستين أو المحاضرة القدمى في مادة الاقتصاد
وهي امرأة يبلغ وزنها مائتي رطل وعشرة، فينبغي له أن يدرك أنه يضيع

وقته سدى. بادل دكسن التحية وتخيل أن عيني بيزلي تنظران إليه نظرة
حسد. وفكر دكسن أولاً أن المشرب غير فعال في قتل الوقت، ولا سيما

في أمور تتعلق بالقلب على حدّ تعبير ولش، وثانياً كم هي ضيقة الفجوة

القائمة بين مركز بيزلي ومركزه هو في مثل هذه القضايا، وثالثاً لا يوجد إلا القليل الذي يثير الحسد في الأشياء التي جعلته على الطرف الآخر من الفجوة بعيداً عن بيزلي من مثل امتيازات القدرة على التحدث إلى النساء، ورابعاً أن امتلاك العلاقات التي تشير إلى الامتياز الجنسي هو المهم وليس الجنس أو الاستمتاع به. وشعر دكسن بأنه حريّ به أن يحسّ بالهدوء والارتياح لوصوله إلى هذه النتيجة، إلا أنه لم يحسّ بذلك تماماً كما هي حال الألم الذي يصاحب المعدة، إذ لا يخفّ كثيراً عند اكتشاف المرء اسم ذلك الألم لا غير.

وصلا المشرب وهي غرفة صغيرة أُعدّت أساساً لهذا الغرض. وكان التقليد الحديث بإقامة حفلة صيف يقدم فيها الشراب، قد رسخته سلطات الكلية على الرغم من أن قلة من الناس تعتقد ذلك بحجة أن نسبة تعاطي الشراب بين الزبائن من الطلبة والتي كانت تثير القلق في وقت من الأوقات، يمكن تخفيضها بتأمين مشروبات غير كحولية ورخيصة في المبنى مما يجعل الشراب الرديء أو مركبات عصير الليمون التي تقدّم في مشارب المدينة أقل جاذبية. والأكثر غرابة من هذا كله أن هذه المحاجة ثبتت صحتها، حتى إن الغرفة التي يزورها الآن دكسن وبقية موظفي الكلية الثلاثة الآخرين والثانويين كانت تنوء ببراميل الشراب وعصير التفاح تحت لوحات تمثل، إسوة باللوحات الأكبر حجماً في قاعة الرقص، ملوكاً لهم بشرة داكنة توشك أن ترقص من حولهم فرق من الجراكة الأقزام، أو تمثل قوافل من التجار الصينيين وقد حلّقوا في الفضاء بفعل دوامات الرياح. أما الأعمدة الشاحبة اللون فقد حلّت محلها هنا أشجار نخيل موضوعة داخل أحواض مترفة جداً. وكان يتخفّى وراء هذه ماكونوشي المشرف على ندل المشرب الثلاثة وزاد من هيئته بطريقة غير محدّدة ارتداؤه سترة بيضاء وسروالاً أخضر زيتونياً.

كان غور أورغوهارت وكارول يجلسان في إحدى أجمات النخيل ويتحدثان بصعوبة، ولما رأى غور أورغوهارت الآخرين يتقدمون نحوهما، نهض على قدميه، وبدا هذا التصرف الشكلي لدكسن غير مألوف تماماً في الأوساط التي يتردد إليها، حتى إنه دهش إذ هل كان المقصود من ذلك وقف تقدمهم باستخدام القوة الجسدية؟ كان أصغر مما توقع دكسن، كونه رجلاً له شأن وعماً لكريستين، فهو في أواسط العقد الرابع، كما أن بدلة السهرة التي كان يرتديها لم تكن بدلة مذهلة كما توقع. وكان وجهه الكبير والناعم يعلو جسده الصغير والناحل ويفتقر إلى التناسق، مما يعطيه ملامح حكيم مخمور يحاول حشد فطنته، وقد عززت صورته هذه شفثاه البارزتان قليلاً وحاجب أسود واحد يمتد من صدغ إلى صدغ. وقبل أن يأخذ الجميع أماكنهم قفز ماكونوشي إلى الأمام ليرى أي شراب يريدون. فراقب دكسن خنوعه بمتعة بالغة.

وأخيراً قال غور أورغوهارت بلهجته القوية التي تنتمي إلى الأراضي المنخفضة الأسكتلندية:

- لقد أفلحت حتى الآن في الابتعاد عن طريق عميد الكلية.

فقال مارغريت وهي تضحك:

- ذلك لا يعني أي انتصار يا سيد غور أورغوهارت، إنني واثقة بأن جواسيسه يبحثون عنك في كل مكان.

- أعتقدين كذلك الآن؟ هل في وسعي الهرب ثانية إذا ما قبض

عليّ؟

فقال برتراند:

- غير محتمل أبداً يا أستاذ؟ أنت تعلم ماذا يشبهون في هذا الجزء من العالم. قدّم لهم شخصاً مشهوراً وسترى أنهم يقاتلون لأجله كما تقتل الكلاب على قطعة من العظم. لماذا؟ أنا شخصياً أصادف مثل هذه الأشياء،

ويتعين عليّ أن أتحملها ولا سيما في ما يسمى المجتمع الأكاديمي. ولأن والدي أستاذ في الجامعة، فإنهم يعتقدون أنه ينبغي لي أن أتحدث إلى زوجة نائب مستشار الجامعة عن الصعوبات التي يصادفها حفيدها في مدرسته، ولا بد أن الأمر أسوأ من هذا بكثير يا أستاذ فهل أنا على حق؟

فقال غور أورغوهارت بسرعة وهو يصغي بانتباه:

- من بعض النواحي.

ثم احتسى قدحه.

فقالت مارغريت:

- على أي حال يا سيد غور أورغوهارت، أنت في مأمن الآن فعميد لكلية يعقد اجتماعاً في مثل هذه المناسبات في إحدى الغرف عند الطرف الآخر من حلبة الرقص، وهو لا يختلط بالرعاع هنا.

- أتقصد أنني ما دمت مكثت مع الرعاع، فسوف أصبح في مأمن يا أنسة بيل؟ حسناً، سوف أمكث مع الرعاع.

توقع دكسن أن تطلق مارغريت ضحكة الأجراس الفضية بعد أن استمعت إلى تلك العبارة. وفي تلك اللحظة وصل ماكونوشي ومعه الشراب الذي طلبه غور أورغوهارت. ودهش دكسن وابتهج عندما وجد أن الشراب وضع في أقداح كبيرة وانتظر غور أورغوهارت لينهي عبارته: «جد لي بعض السجائر يا ماكونوشي» فمال إلى الأمام وقال:

- كيف استطعت أن تحمل هذه الأقداح الكبيرة؟ فأنا لم أشاهد سوى أقداح صغيرة هنا طوال هذا المساء. وفكرت في أن ذلك ربما من تقاليد المشرب. ولما طلبت قدحاً كبيراً رفضوا تقديمه لي كيف حصلت على ذلك؟

وبينما كان دكسن يتحدث، وجد مارغريت تحول نظراتها إليه وإلى غور أورغوهارت وتبتسم باستنكار كأنما تريد أن تؤكد لغور أورغوهارت

أنه على الرغم من جميع الأدلة المناقضة، فإن هذا الحديث لا يشي بأي هذيان عقلي حقيقي.

وكان برتراند يراقب هو الآخر ويتسم.

أما غور أورغوهارت الذي لم يبد عليه أنه لاحظ ابتسامات مارغريت، فقد هز إبهامه القصيرة التي علتها صبغة النيكوتين باتجاه ماكونوشي الذي غادر المكان وقال له:

- رجل أسكتلندي وطني⁽¹⁾.

ضحك جميع الأشخاص الذين يجلسون قبالة دكسن وإلى يساره وهم غور أورغوهارت نفسه وبرتراند ومارغريت، كما ضحك دكسن هو الآخر الذي التفت إلى اليمين فوجد كريستين تجلس إلى جواره وقد وضعت مرفقيها فوق المنضدة وهي تبسم ابتسامات خفيفة، وإلى جوارها كانت تجلس كارول أي إلى يسار غور أورغوهارت وهي تنظر إلى برتراند نظرة متجهمة إلى حد ما. وقبل أن تنتهي الضحكات، لاحظ دكسن أن برتراند بدأ يشعر بهذه النظرة فحاول أن ينظر بعيداً.

شعر دكسن بالقلق لهذا التوتر القليل بين أفراد الجماعة، ولاحظ أن عيني غور أورغوهارت مثبتان عليه من تحت الحاجب الأسود. فارتدى نظارته وقال بمجازفة:

- حسناً، إنها متعة غير متوقعة أن نشرب الشراب في أقداح كبيرة في مثل هذا الاحتفال.

فقال غور أورغوهارت بحدّة وهو يوزّع السجائر:

- أنت محظوظ يا دكسن.

شعر دكسن بأن وجهه احمرّ قليلاً، فقرّر عدم الحديث مرة أخرى. إلا أنه شعر بالسعادة لأن غور أورغوهارت عرف اسمه. في هذه الأثناء

(1) يقصد أنه من أتباع الحزب الوطني الأسكتلندي.

صدحت الموسيقى في قاعة الرقص وأخذ الناس يغادرون المشرب. وأخذ برتراند يتحدث إلى غور أورغوهارت الذي كان يجلس إلى جواره بصوت خفيض. وفي الوقت نفسه أبدت كريستين ملاحظة ما لكارول، بينما قالت مارغريت لدكسن:

- كم أنت لطيف إذ جئت بي إلى هذا المكان يا جيمز.

- إنني مسرور باستمتاعك.

- لا يبدو عليك أنك مسرور جداً.

- أوه، إنني مسرور فعلاً.

- إنني واثقة بأنك مستمتع بهذا الجزء أفضل من الرقص على أي

حال.

- «أوه، إنني بصراحة أستمتع بكلا الجزئين. اشربي قدحك إذ سنعود

إلى الرقص. في وسعي أداء بعض الرقصات السريعة» فنظرت إليه نظرة

حاددة ووضعت يدها فوق ذراعه وقالت:

- هل تعتقد أن من الحكمة أن نتجول معاً هكذا يا عزيزي جيمز؟

فقال بقلق:

- ولمَ لا؟

- لأنك لطيف جداً وأنا مولعة بك.

قالت ذلك كأنها ممثلة عظيمة تفصح عن أقل ما يمكن من مشاعرها

العميقة، وهذه هي عاداتها عندما تعلن مجاهرتها.

تمكّن دكسن وهو في خضم الهلع من أن يكتشف أن هذا لا يعني

إلاّ تقليل ظهورهما معاً. فقال بلهجة صادقة ومقبولة:

- يجب ألاّ تقولي مثل هذه الأقوال.

فضحكت بخفة وقالت:

- «مسكين يا جيمز، أرجو أن تحتفظ بمقعدي يا عزيزي، لن أتأخر

كثيراً، ثم غادرت المكان.

مسكين يا جيمز مسكين يا جيمز! ذلك تشخيص عادل تماماً إلا أنه ليس التشخيص الذي يجب أن تقوم به هي. فانتابه الشعور بالذنب وأخذ يعبّ من قدحه. ولم يكن سبب الذنب نتيجة الملاحظة الأخيرة، بل نتيجة السخرية غير المقصودة في عبارتها «أنت لطيف جداً معي» وفكر في أن من المشكوك فيه أن يبدو لطيفاً حقاً مع أي شخص. فأى معاملة كريمة ومقبولة لقيتها منه مارغريت، إنما هي ناجمة عن انتصار مؤقت للخوف على الاضطراب أو الشفقة على السأم. إن ذلك التصرف الذي يحمل مثل هذه الدوافع يمكن أن يبدو لطيفاً جداً جداً لها، وينبغي أن ينظر إليه بمثابة انعكاس لحساسيتها. إلا أنه مؤشر رهيب على إحباطها ووحدها. وفكر وهو يرتجف: يا لها من مسكينة مارغريت يجب أن أبذل جهداً أكبر. لكن ما هي النتائج المترتبة على معاملتها معاملة لطيفة دوماً أو بمزيد من اللطف، ثم أخذ يصغي إلى الحديث الدائر إلى يساره محاولاً طرد هذه الأفكار.

كان برتراند يقول: «إنني أحترم كثيراً فكرته» بصوت كادت فيه نبرته العالية أن تختنق. ربما وبّخه شخص ما على علو نبرته... «إنني دائماً أقول إنه آخر النقاد المحترفين التقليديين، وبهذا فإنه يعرف جيداً عمّ يتحدث، ويتجاوز معظم مشاعر الأخوة القائمة هذه الأيام. حسناً، كان بعضنا يصطدم ببعضنا الآخر في المعارض نفسها وأمام اللوحات عينها».

وهنا ضحك برتراند وهو يرفع أحد منكبيه وأضاف:

- «وقال لي ذات يوم: إنني أريد مشاهدة أعمالك لأن الناس أخبروني بأنها أعمال جيدة» ولهذا أخذت عدة لوحات مختلفة إلى بيته، وكان بيتاً رائعاً أليس كذلك؟ لا بد أنك تعرفه. وأنا أسأل كم من الوقت مضى عليه قبل أن تستولي عليه نقابة عمال السلع المطاطية، ولا بد لي من

القول إن صورة أو صورتين مرسومتين بالباستيل تبدوان قد جلبتا إليه...
 وفكر دكسن بسرعة: «جلبت إليه الحوض ليتقياً فيه» ثم انتابه الهلع
 للفكرة القائلة إن الرجل الذي يعرف عمّ يتحدث لا يتحدث عن مدى
 بذاءة لوحات برتراند فحسب، بل يبدو في الواقع قد افتنن بواحدة أو اثنتين
 منها. لا يمكن أن يكون برتراند رساماً جيداً. إنه - أي دكسن - لن يسمح
 بذلك. لكن على الرغم من ذلك هنا غور أورغوهارت، وهو ليس كما
 يبدو غيباً، يصغي إلى هذا الإعلان الذاتي المسعور دون اعتراض ظاهر، بل
 بشيء من الاهتمام أيضاً. نعم لقد رأى دكسن ذلك باهتمام كبير. أدار غور
 أورغوهارت رأسه الأسود الخضم نحو برتراند، كان وجهه الذي حاول أن
 يتفاداه، وعيناه مثبتتان على الأرض، يشي بتكشيرة صغيرة متعمدة كأنه لا
 يقوى على السمع ولا يريد أن يتفوه بكلمة واحدة. لم يستطع دكسن أن
 يتحمّل ألا يفوته المزيد، إذ أخذ برتراند الآن يستخدم مصطلح «قيم النغمة
 الطباقيّة»، والتفت إلى يمينه حيث كان منذ بضع لحظات لا يعني الصمت
 إلا قليلاً. وبينما هو يفعل ذلك، التفتت كريستين نحوه وقالت:

- أسهم في الحديث معنا.

ثم أضافت بصوت منخفض:

- لا أستطيع جعله يقول أي شيء.

نظر إلى كارول فالتفت عيناها دون تمييز واضح. إلا أنه قبل أن
 يتمكّن من التفكير في قول أي شيء، عادت مارغريت وخاطبت الجميع
 بنشاط قائلة:

- ماذا؟ أما زلتم تشربون؟ تصوّرت أنكم ذهبتم جميعاً إلى حلبة
 الرقص. لن أسمح يا سيد غور أورغوهارت بعد الآن بالكثير من هذا
 التهرب، هيا.

نهض غور أورغوهارت واقفاً وهو يتسّم بأدب، وبعد أن قال كلمة

للحاضرين، سمح لنفسه بالانقياد خارج القاعة. نظر برتراند إلى كارول وقال:

- لا تجعلينا نفسد الحفلة، لقد دفعت لهم خمسة وعشرين شلناً على أي حال.

- فعلاً يا عزيزي.

قالت كارول وهي تشدُّ النبرة على كلمة «عزيزي» وخشي دكسن لحظة أنها تقصد الرفض مما يعني إيصال الأمور، أياً كانت، إلى حافة الأزمة، إلا أنها نهضت بعد ذلك وأخذت تتحرك باتجاه حلبة الرقص.

صاح برتراند:

- اهتم بكريستين يا دكسن لأجلي. لا تتعبها فهي رقيقة.

ثم أضاف مخاطباً كريستين:

- وداعاً لبعض الوقت يا عزيزتي، سأعود قريباً وضعي حداً لتصرفاته إذا أصبح الرجل فظاً.

فقال دكسن لكريستين:

- أترغيبين في الرقص. إنني لا أجد الرقص، لكنني لا أمانع في القيام بمحاولة إذا رغبت.

فقالت وهي تبسم:

- لا أمانع إذا رغبت.



لما غادر دكسن القاعة برفقة كريستين، شعر كأنه مخبر خاص أو قرصان أو زعيم إحدى العصابات في شيكاغو، أو نبيل من النبلاء الإسبان أو بارون من البارونات أو موهوكي⁽¹⁾، وحاول السيطرة على ملامحه كي لا يغيّر منها في هذا الوقت، وعدم إطلاق ضحكة غبية تتمّ عن الدهشة والزهو. وعندما التفتت كريستين وأصبحت في مواجهته عند حافة حلبة الرقص، وجد أنه من الصعب أن يصدّق، أنها ستسمح له بلمسها أو أن الناس الموجودين قريهما لن يتدخلوا لمنعه من ذلك حالاً. لكن في لحظة واحدة وجدا نفسيهما يطوق أحدهما الآخر ويرقصان معاً على الرغم من أن رقصهما لم يكن بارعاً جداً. نظر دكسن إلى وجهها في صمت وهو يخشى أن يحدث أي شيء يعكر انتباهها فتصطدم بأحد لأن حلبة الرقص أصبحت مزدحمة أشد مما مضى، واستطاع دكسن أن يميّز بين الراقصين باركلي أستاذ الموسيقى وهو يرقص مع زوجته التي كانت تشبه الحصان دوماً. أما هو، فكان يضحك وهو أمر لا يفعله إلا نادراً وعلى نحو فجائي. سألت كريستين:

- أتعرف ماذا دهى السيدة غولد سمث؟

أدهش دكسن هذا النمط من الفضول فقال:

- كان يبدو عليها الضجر. أليس كذلك؟

- هل لأنها كانت تتوقع أن يأتي بها برتراند إلى هذا المكان الليلة

بدلاً مني؟

وفكّر دكسن: هل هي تدري بموضوع تبديل الشركاء؟ ليس الأمر

(1) الموهوكي: أحد أفراد عصابة من الفتيان الأرستقراطيين الذين كانوا يعتدون على الناس في شوارع لندن في أوائل القرن الثامن عشر.

كذلك بالضرورة. ولكن قد يكون، ثم قال بصوت مكتوم:

- لا أدري.

فقال كريستين وقد بدت غاضبة تماماً:

- أعتقد أنك تدري، أريد أن تخبرني.

- أخشى أنني لا أعرف شيئاً إطلاقاً. يضاف إلى هذا أن المسألة لا

تهمني.

- إذا كان ذلك هو رأيك، فلا مجال للحديث بعد الآن.

شعر دكسن بالخجل مرة ثانية في الدقائق القليلة الماضية. ويبدو

أنها كانت على حقيقتها عندما ساعدت برتراند على مضايقته في أول لقاء

لهما، وعندما انتبهت لإفراطه في الشراب، وعندما عاملته هذه الليلة وكأنه

غير موجود البتة، فمظهرها الشكلي هو المظهر الحقيقي. أما تعاونها وإياه

في موضوع الملاء فكان لقاء مادة لحديث يسرّ أصدقاءها في لندن، بينما

كان حديثها الهاتفي الودي معه للحصول على بعض المعلومات منه. لا

شك أنها اضطرت للتقرب منه بسبب موضوع برتراند وكارول غير أن

مناورات الجنس اللطيف في استخدام شخص بريء كبش فداء سبق أن

قربها وكرهها.

وإصلاً الرقص صامتتين بعض الوقت، ولم تكن متواضعة في الإفصاح

عن نفسها بأنها راقصة لامبالية، إلا أن اضطراب دكسن إلى تجنب عمل أي

شيء يتسم بالجرأة، أبقاهما معاً. تحرك الآخرون من حولهما كلما وجدوا

فسحة من المكان. أما الباقيون فكانوا منشغلين بالحديث، وأخيراً ظنّ دكسن

أنه سمع صوتاً له نبرة كريستين نفسها قريباً منه مما جعله يقول لها:

- ماذا قلت؟

- لا شيء.

في هذه الأثناء، شعر أنه لا بد أن يقول شيئاً ما. لهذا قال بعد أن

انتظر طوال هذا المساء:

- لم تتح لي الفرصة لأعبر لك عن شكري لتمثيل ذلك الدور بشأن الهاتف.

- أي هاتف؟

- ادعائي أمام برتراند أنني صحفي.

- أوه، ذلك الموضوع. أرجو ألاّ تناقش هذا الموضوع إذا سمحت.

لم يرغب دكسن في السماح لها بأن تتهرب من ذلك فقال:

- افرضي أنني لا أسمح.

- ماذا تعني؟

- يبدو أنك تريد أن تنسي الموضوع. لكن لولاي ولولا تمثيلي

الدور لما كنت هنا هذه الليلة.

- حسناً، ليس لذلك أي أهمية كبيرة عندي. أليس كذلك؟

انتهت الرقصة، إلاّ أن أياً منهما لم يفكر في مغادرة حلبة الرقص،

وفي خضم التصفيق قال لها:

- كلا، ربما لذلك أهمية، لكنك كنت ترغيبين في الحضور في ذلك

الوقت أليس كذلك؟

- انظر إليّ. لم لا تكف عن الحديث في هذا الموضوع؟

- «حسناً، لكن لا تأمريني كالملكة، إذ لا مبرر لذلك». هزّت

كريستين كفيها بلا اكترات ثم خفضت عينيها وقالت:

- «إنني آسفة، كم أنا سخيّة، فأنا لم أقصد ذلك». وبينما هي

تتحدث بدأت مقدمة عزف على البيانو فقال دكسن:

- حسناً، أترغيبين في رقصة؟

فقلت:

- نعم، فعلاً.

فتحركا مرة أخرى وقال:

- أعتقد أننا بدأ نتفهم هذا تفهماً جيداً.

- أتمنى لو أنني لم أقل ما قلته توأ. إنني غبية، لقد تصرفت تصرف

فتاة غبية فعلاً.

لاحظ دكسن بعد أن فرغت من كلامها أن شفيتها كانتا ممتلئتين

وبارزتين مثل شفتي عمها، فقال:

- لا بأس، فعلاً، لا بأس.

- لا، كان ذلك أمراً مضحكاً، كان موضوعاً سخيفاً، كنت أتصور أن

موضوع صحيفة «الإيفنغ بوست» مضحك على نحو ذكي.

- أوه، لا داعي للمبالغة في هذا.

- لكنك تلاحظ أنني لم أشعر بالرغبة في مناقشة الموضوع معك،

لأن ذلك سيثبه السخرية من برتراند من وراء ظهره، وهو أمر غير صحيح.

أخشى أنني لم أظهر بمظهر الفتاة الودودة في أثناء المكالمة الهاتفية الثانية،

لكن سبب ذلك هو أنني لم أستطع السماح لنفسني بالاستمرار بذلك

الشكل دون أن أبدو كأني متورطة في مؤامرة للتغلب على برتراند، ذلك

كل ما هناك.

بدا الأمر كله صيانياً، لكن ذلك أفضل مما لو بدأ متسماً بالنكد

والتذمر على أي حال، إن النساء يورطن أنفسهن دوماً في أمور لا فائدة من

ورائتها. الرجال يورطون أنفسهم أيضاً، وفي أمور يصعب التخلص منها،

إلا أن الأمور التي يورطون أنفسهم فيها تنبع من محاولات إشباع حاجات

بسيطة وحقيقية، لقد أنقذه من الاضطرار إلى الإجابة، صوت هائل غير

منسجم يشبه صوت غول يوشك أن يفقد القدرة على إصدار الأصوات،

وأخذ الصوت يرتفع بالغناء من خلال مكبرات الصوت وبدا شبيهاً بصوت

سيسل غولد سمث.

حاول دكسن جذب كريستين بعيداً عن طريق رجل قصير القامة أحمر الوجه كان يرقص مع امرأة طويلة القامة شاحبة الوجه، فكانت النتيجة أنه فقد إيقاع الرقصة.

فقال:

- لنبدأ ثانية.

إلا أنهما وجدا صعوبة في التحرك معاً كما كانا من قبل.

فقالت كريستين:

- لن تفعل شيئاً جيداً ما دمت واقفاً هناك. لست قريبة منك حتى تشعر بما تريد أن تفعل، امسك بي جيداً.

تحرك دكسن بحذر شديد إلى الأمام، حتى أصبح كل منهما قبالة الآخر. أمسك بذراعها اليمنى الدافئة ثانية وتحركا معاً. في هذه المرة كان أداؤهما أفضل من قبل على الرغم من أن دكسن أحسّ أنه مقطوع النفس. كان يحسّ بجسدها ممتلئاً، بل هو ضخم إلى حدّ ما بالنسبة له. تحركا في حلبة الرقص بعيداً عن الفرقة الموسيقية، وفي خضم الصوت شعر دكسن أن ضحكة مدوية تخللته، كان برتراند قد طوّح رأسه إلى الورا و اختفى وسط فجوة على بعد عدة ياردات منهما. وعلى الرغم من أن دكسن لم يستطع مشاهدة وجه كارول فلقد بدت على الأقل ساكنة وهادئة إلى حدّ ما. ما الذي يفعله برتراند يا ترى؟ هذه مشكلة يتعيّن الانتباه لها تماماً مثل مشكلة سبب إطلاقه لحيته. أيحاول أن يحظى بعشيقتين في وقت واحد، أم أنه يحاول التخلي عن واحدة مقابل الثانية؟ وإذا كان السبب الثاني هو الصحيح، فمن هي الفتاة التي يسعى إلى الفوز بها، ومن هي التي يحاول إرضاءها تمهيداً للتخلي عنها؟ وهل يهتم رغم ذلك بترويض الناس على ما يريد أن يفعله بهم؟ ربما كان الجواب بالنفي، وفي مثل هذه الحالة فإن كارول هي النجمة الصاعدة، لأن ذلك هو الطريق الوحيد

لتفسير وجودها هنا هذه الليلة. أما كريستين فإن وجودها هنا يعود إلى أنها قريبة غور أورغوهارت، لكن ينبغي الاحتفاظ بها في مؤسسة برتراند حتى إتمام الصفقة مع غور أورغوهارت على نحو جيد. وجد دكسن أنه أخذ يدندن إحدى الأغاني، وهو يدرك أن الجولة الثالثة من حملته على برتراند أوشكت أن تبدأ، على الرغم من أنه لا يزال يجهل كيف سيشارك في المعركة.

وفجأة سألت كريستين:

- كيف أحوالك مع الأستاذ ولش هذه الأيام؟

وتصلب دكسن وقال على نحو آلي:

- أوه، ليست سيئة تماماً.

- ألم يقل شيئاً بشأن تلك المكالمات الهاتفية؟

لم يتمكن دكسن من كظم صرخة أطلقها، بل أمل أن تعمل الموسيقى

على تخفيفها:

- أتقصد أن برتراند اكتشف أنني المعني بعد كل ذلك؟

- اكتشف أنك المعني؟ ماذا تقصد؟

- الادعاء بأنني صحفي في ذلك الوقت.

- كلا، إنني لا أقصد ذلك الموضوع. أقصد مكالمات ذلك الرجل

الهاتفية من غرفتك يوم الأحد.

كانت ساقا دكسن تؤدّيان الرقصة بخطوات تشبه دجاجة مقطوعة

الرأس تقفز في المزرعة وقال:

- إنه يعلم أنني ربت الأمور مع أتكسن ليخبرني بأن والديّ قدما

فجأة؟

- هل قام بذلك أتكسن؟ يبدو أنه قام بالكثير من المكالمات الهاتفية

منذ التقينا.

نعم، إن السيد ولش يعلم أنك طلبت منه الاتصال بشأن موضوع والديك.

- من الذي أخبره؟ من الذي أخبره؟

- أرجوك لا تحفر ظهري بأظفارك. إنه الرجل الذي يعزف آلة الأوبو
لقد أخبرتني باسمه...

- نعم، لقد أخبرتك. إن اسمه جونز، نعم جونز.

- صحيح، إنه الشيء الوحيد الذي ما زلت أتذكر أنه قاله طوال
مكوئي هناك، إضافة إلى قوله إنك ربما ذهبت إلى البار في المساء السابق
لتلك الليلة. يبدو أنه دبر ذلك لك.

- نعم، لقد دبر ذلك. أليس كذلك؟ أخبريني: هل كانت السيدة ولش
موجودة عندما أفضى سر المكالمة الهاتفية؟

- لا، أنا متأكدة من أنها لم تكن موجودة. فقد كنا نحن الثلاثة فقط
نتجاذب الحديث معاً بعد الغداء.
- حسناً.

وفكر دكسن في أن هناك فرصة طيبة لأن يكون السيد ولش غير
متبه لما قاله له جونز ما دام أخبره بالأمر مرة واحدة فقط. أما زوجة ولش
فمن شأنها أن تخبر زوجها بالأمر حتى يتبه له. لكن ربما أخبرها جونز
بالموضوع على انفراد دون أن تعرف كريستين، ثم تنبه دكسن إلى نقطة
مهمة وقال:

- كيف فسّر جونز معرفته بالأمر، فأنا لم أخبره؟

- قال إنه كان حاضراً عندما كنت تهجئ الأمور.

فقال دكسن مقطباً:

- حسناً، كأنني تفوّت بشيء أمام ذلك الإنسان، آسف، لا... لقد

كان يصغي من وراء الباب، لا بد أنه كان يصغي فأنا أتذكر أنني سمعت شيئاً ما أنتذ.

فقلت بحقد غير متوقع:

- يا لها من حيلة قلرة. ما الذي فعلته له؟

- مجرد تلطّيح صورة رجل بقلم الرصاص على الصفحة الأولى من مجلته.

على الرغم من أن هذه الجملة كانت غامضة نسيباً، فلقد تلاشت في خضم الاضطراب الذي نجم الآن معلناً نهاية مجموعة الأغاني، وبعد أن أوضح دكسن الأمر، التفتت كريستين التي بدأت تواءم بالتحرك من جانبه، وأخذت تنظر إليه وهي تضحك دون أن تفتح فمها. ولما ابتسم بمرارة، واصلت الضحك وهي تكشف هذه المرة عن أسنانها غير المتناسقة قليلاً، وشعر دكسن برغبة عارمة تجتاح بدنه كله وتتعبه تعباً شديداً كأن رصاصة أصابته في موضع حساس منه. ثم ارتخت عضلات وجهه دون إرادته. وعندما لاحظته كريستين، توقفت عن الضحك.

فقال بلهجة اعتيادية:

- شكراً لهذه الرقصة.

فأجابت:

- لقد استمتعت بها كثيراً.

ثم أطبقت شفيتها.

أدرك دكسن مندهشاً أنه لا يهتم حقاً بموضوع إفشاء جونز السر في تلك اللحظة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنه استمتع كثيراً في أثناء الرقص.

وجدا في المشرب مرة أخرى غور أورغوهارت جالساً في مقعده نفسه وهو يتجاذب وبرتراند أطراف الحديث، كأن محادثتهما لم تنقطع.

أبدأً. وكانت مارغريت على مقربة منهما وتوقفت عن الضحك الذي أثاره رد من ردود غور أورغوهارت، وألقت مصادفة نظرة على دكسن توحى بأنها مندهشة: مَنْ يكون هذا الشخص الواقف أمامها؟ ثم جيء بشراب إضافي، وكان من نوع الشراب الذي جلبه ماكونوشي الذي كان دوره ينحصر في مثل هذه المناسبات في الحيلولة دون تناول المشروبات الروحية. جلس دكسن في أحد المقاعد وأخذ يحتسي ما في قده ويدخن سيجارته. شعر بالحر الشديد والألم في ساقيه، وفكّر: كم يستغرق هذا كله؟ وبعد لحظة نهض من مكانه ليتحدث إلى كريستين، إلا أنه وجدها تجلس إلى جوار برتراند، وكانت تبدو مصغية إلى ما يقوله لعمها الذي ظلت عيناه مثبتتين على الأرض بالطريقة التي وجده فيها دكسن من قبل. ضحكت مارغريت ثانية، وأخذت تميل في جلستها نحو غور أورغوهارت حتى تلامست كتفاهما. وفكّر دكسن في أن كلاً منهما لا بد مستمتع إلى أبعد حدّ. لكن أين هي كارول؟

في هذه اللحظة، عادت كارول إلى الظهور وهي تتجه نحوهم دون اكتراث متمعد، مما جعل دكسن يتصوّر أنها شربت زجاجة من شراب ما في مرافق السيدات. كانت ملامحها تشي بأمارات شر مبيتة إزاء شخص ما أو إزاء الجميع. وعندما وصلت إلى المكان الذي يجلس فيه الجميع، وجد دكسن أن غور أورغوهارت يتطلع إليها ويحاول أن يوعز إليها بإشارة من وجهه تكاد تقول: «لا بد أنك ترين مكاني»، ثم نهض من مكانه دون بقية الجالسين.

التفتت كارول إلى دكسن وقالت بصوت مرتفع:

- تعال يا جيم، أريد أن ترقص معي، ولا أعتقد أن أياً من الحاضرين يعترض على ذلك.



- 12 -

- ما الذي يجري يا كارول؟

- ذلك ما أرغب في معرفته.

- ماذا تقصدين؟

- أنت تعلم ما أقصد يا جيم، إلا إذا كنت مغمض العينين، وأنت

لا تفعل ذلك أليس كذلك؟ إنني أشعر بالاشمئزاز والتعب بسبب دفعي

هكذا، ولا مانع لديّ من إخبارك بذلك لأنني أعرفك. إنني أعرفك جيداً،

أليس كذلك؟ لا بد أن أخبر شخصاً ما. وقد اخترتك لهذا السبب، هل

تمانع؟

بيد أن الوقت كان قد حان للرقص مرة أخرى، مما جعل دكسن

يمانع في أن يسمع ما كانت تريد كارول قوله، وهو أمر من شأنه أن يكون

ممتعاً بالحدّ الأدنى، فقال مشجعاً:

- هيا إذاً.

ثم نظر حوله ليرى من الذي يرقص قريباً منهما. بدت حلبة الرقص

مزدحمة أكثر مما مضى بأزواج من الرجال والنساء، وكان الصوت طاغياً،

وفي كل مرة يرتفع فيها الصوت يحس دكسن أن العرق يتصبّب منه فوق

صدره كأن أحداً يعصره عصراً ليستخرجه منه، أما فوقه فكانت اللوحات

المرسومة تجعل كل واحد من الفراعنة والقياصرة يبدو وكأنه يتلوّى.

وصرخت كارول:

- إنه يعتقد أنه ما إن يشير إليّ بإصبعه، حتى يجدني قد استجبت له.

حسناً، إنه مخطئ.

أوشك دكسن أن يخبرها بالأعتقد أنها ستخدع أي شخص إذا ما

تحدثت وتصرفت على أنها مخمورة أكثر مما تشعر فعلاً، إلا أنه لم يفعل ذلك معتقداً أنها تحتاج إلى قناع، كما أنه أدرك بالتجربة أن التصرف بهذا الشكل له مردود أكبر من السكر نفسه، فقال:

- برتراند؟

- ذلك هو. الرسام، الرسام العظيم كما تعرف. إنه يعرف فعلاً أنه ليس رساماً عظيماً، وهذا هو الدافع لتصرفاته. إن الفنانين العظام عندهم نساء كثيرات، ولهذا فإذا استطاع الحصول على عدد كبير من النساء، فإن ذلك سيجعله فناناً عظيماً، ناهيك عن نوع الصور التي يرسمها، أنت تعرف الحجة وكذلك المغالطة بلا شك. حسناً، في وسعك أن تعرف من هنّ النساء في هذه الحالة، أنا والفتاة التي تراقبها.

بدأ دكسن بنفاق، فالتهمة لا أساس لها من الصحة، إلا أنها في الوقت نفسه تبدو صحيحة أيضاً، فقال:

- ماذا تقولين؟

- لا تضيع الوقت هكذا يا جيم، ما الذي ستفعله بهذا الشأن على أي حال؟

- أي شأن؟

ففرزت أظفارها في ظاهر يده وقالت:
- كفّ عن ذلك. ما الذي ستفعله بشأن كريستين كالاهاان؟
- لا شيء فعلاً. ما الذي في وسعي أن أفعله؟
- إذا كنت لا تدري ما تفعل، فأنا لا أستطيع أن أبين لك. هل أنت قلق بشأن ما ستفعله العزيزة مارغريت؟

- كفي عن هذا الكلام يا كارول، من المفروض أن لديك شيئاً تريدني قوله وليس العكس.

- ظننت ذلك. لا تقلق، كل الأشياء متشابكة، كلها متشابكة، كلا،

دع العزيزة مارغريت تقع في شرّ أعمالها، لقد التقيت مثل هؤلاء الناس من قبل يا عزيزي، وأرجو أن تصدّقني، فإن ذلك هو السبيل الوحيد والشيء الوحيد الذي يجب أن تفعله. ألقِ إليها حزام الأمان وستجد أنها ستجذبك إلى الأسفل، خذ هذه النصيحة مني.

قالت ذلك وأومات برأسها وأغمضت عينيها نصف إغماضة.

- ما الذي تريدني قوله لي يا كارول؟ هل لديك أي شيء؟

- أوه، لديّ أشياء كثيرة، كثيرة جداً. لقد كنت تعلم أنه سيأتي بي

إلى هذا المكان أساساً.

- نعم، لقد خمّنت ذلك.

- لا بد أنها العزيزة مارغريت بلا ريب. حسناً، ثم يتخلص مني

ليستطيع أن يأتي بصديقه الجديدة وعمها ثم يجمع بيننا، أنا والعم. أنا

لا أمانع في ذلك على أي حال، لأنني أعتقد أن هناك أشياء مشتركة بيننا

أنا ويوليوس، كنا قد بدأنا على أي حال إلى أن قرّرت مارغريت العزيزة

أن في وسعها تلطيف الجو مع يوليوس أكثر مني. إنني أستخدم مفرداتها

نفسها، كما تلاحظ، لا مفرداتي.

- نعم، أفهم ذلك جيداً، شكراً لك.

في هذه اللحظة اندفع كلاهما نحو الجمهور المحتشد، لكنه سمعها

تقول:

- لا أريد أي حوار من حواراتك التي تذكّرني بكالزوردي يا جيم،

ألا نستطيع الجلوس قليلاً، يبدو المكان هناك وكأننا في تنزيلات سي أند

أي⁽¹⁾.

- لا بأس.

شقّ الاثنان طريقهما بصعوبة إلى لوحة الجنود القرطاجيين، فوجدا

(1) سي أند أي: واحد من أكبر المتاجر المشهورة في المملكة المتحدة.

مقعدين شاغرين إزاء الجدار. ولما جلسا، مالت كارول نحو دكسن بمرح وتلامست ركبتهما، أما وجهها فقد كان رومانسياً بإشراقته، وهي تجلس في الظلال قالت:

- لا بد أنك فكرت في أنني على علاقة بصديقنا الرسام، أليس كذلك؟

فقال دكسن وقد أخذ يشعر بالوجل:

- كلا، لم أفكر في ذلك.

- حسناً، أنا لم أرغب في الإفصاح عن ذلك.

- لن أخبر أحداً.

- تلك شيمتك، لا شيمة العزيزة مارغريت، أليس كذلك؟

- كلا.

- حسناً، ذلك يدهشني، أليس كذلك؟

- نعم.

- أنت مندهش قليلاً. أليس كذلك؟

- حسناً، ليس تماماً، ليس بالطريقة الاعتيادية، من الغريب أن

تتورطي معه إلى هذا الحد...

- ليس غريباً، إن عزمه يبدو صفة جيدة كما تعلم، وإنه جذاب أيضاً

بطريقته الخاصة.

فقال دكسن:

- صحيح؟

- وإن سيسل العجوز ليس صيباً في مثل هذه الأمور كما ترى وقد

عالجنا الأمر، بيد أن المشكلة تتمثل بأنني ما زلت أرغب في ذلك.

- وبرتراند أيضاً، أليس كذلك؟

- فعلاً، لقد مرّ على الوضع الآن بعض الوقت، بل بدأنا نشعر

بالمثل حقاً. إن برتراند موجود في لندن دوماً وهو يقضي وقته غالباً مع الفتاة لوسمور، كما أنني بدأت أشعر بالغثيان لإحساسه بأنه فنان عظيم. ثم انفجرت الأمور في المرة الأخيرة التي حضر فيها. أعتقد ربما أن كريستين ليست على ما يرام، أو ربما أنها ليست مسرعة كما ينبغي.

- أوه، ألا تعتقدين أنهما...

- من الصعب قول ذلك. لا أعتقد ذلك على وجه العموم. فهي ليست من النموذج الذي يبحث عنه. كما أنها على الأقل لا تتحدث أو تتصرف وكأنها النموذج، على الرغم من أنها تبدو كذلك بطريقة ما، ويعتمد ذلك على عمق النظرة المتكلفة والمتعالية التي تتسم بها. ومع هذا، فإن النقطة الأساسية تتمثل بأنه رتب كل شيء ليأتي بي إلى الحفلة موحياً بحدوث أشياء أخرى، ثم قال لي إنه لن يأخذني بسبب وجود أمه ومارغريت أيضاً. ذلك مصدر قلقي في المقام الأول، كما بدأ يساومني أمام كريستين هذا المساء مما أثار إحباطي. ثم أتى بي إلى هنا للرقص وحاول أن يتخلص من المسألة كلها بمعاملتي نداءً لند، وأخبرني بأني أعرف ماذا تشبه الفتيات الصغيرات من مثل كريستين وكيف أنني لست من ذلك النمط من النساء الذي فكّر فيه دوماً إذا سمحت لذلك النوع من الأشياء بالتدخل في الصداقة، لاحظ ذلك بين شخصين بالغين، لاحظ ذلك أيضاً.

أوه، كم وددت ألا تسير الأمور هكذا، لكن... بصراحة يا جيم ذلك أمر يثير الإحباط. إنني أشعر بالسأم جراء ذلك كله. إنني لم أعد أرغب حتى في تحطيم دماغه بعد الآن.

كان دكسن في أثناء حديثها يتفرّس في وجهها. فرأى حركات شفيتها تنمُّ عن الإصرار، كما أن صوتها الذي تخلى عن الغموض عاد إلى صفائه مرة أخرى. وقد ساعد هذان الأمران على إضفاء صفتي الثبات والعزم على حضورهما مما أثار إعجابه ولم يشعر بجاذبيتها الجنسية قدر شعوره

بقوة أنوثتها. وبدا كأن مركزها الاجتماعي كامرأة متزوجة جعلها بعيدة عن طموحاته ما دامت صداقتهما تتطلب مزيداً من الانتباه والنزاهة العقلية والعاطفية التي لم يكن واثقاً بأنه يملكها حقاً. وبعد توقف قصير قال بسرعة:

- كيف أستطيع إبعاد سبيل عن هذا كله؟

- أنت لا تعتمد أنني أخبرته بالقضية كلها. أليس كذلك؟ إنني لا

أحلم بعمل شيء من وراء ظهره.

وخيم الصمت على دكسن ثانية، وأخذ يفكر في أنه لا يعرف شيئاً مطلقاً عن الآخرين أو عن حياتهم. في هذه الأثناء ابتعد وجه كارول عن منطقة الظلال، وعلى الرغم من أن دكسن سرعان ما لاحظ التغيير الذي رافق التعابير المرتسمة عليه، إذ إنه لم يألف مراقبة الخطوط المرسومة على وجوه الناس، رأى بوضوح هذه المرة، أن شفيتها غامضتان قليلاً، كما لاحظ وجود خطين واضحين على خديها. وعندما تحدثت ثانية، لاحظ شيئاً آخر وهو أن شدة بياض الصف الأعلى من أسنانها واستقامتها فسح المجال لظهور فجوة سوداء اللون وراء الأضراس مما جعله يشعر بعدم الارتياح مرة أخرى.

وقالت كارول:

- الشيء الوحيد المطلوب وضع حد له الآن، هو ماذا ستفعل بشأن

كريستين يا جيم؟

- قلت لك لا شيء.

- أبعد العزيزة مارغريت عن ذهنك لحظة.

- لا شأن لي بها، إنني فقط... سوف... حسناً، إنني لا أرغب في

محاولة القيام بشيء ما تجاه كريستين هذا كل ما هناك.

- سمعت ذلك من قبل، وهو قول جميل وأنا أضحك من ذلك.

- كلا، بصراحة يا كارول إنني أفضل أن أراها مرة أو مرتين على أن أقدم على أي شيء. ما الذي في وسعي القيام به على أي حال؟ إنها ليست من طبقتي، ألم تفكر في ذلك؟ لو أنني حاولت الإقدام على أي شيء، فإنني سوف أتعرض للطرد والتوبيخ، إننا مرتبطان بأشياء...

- يبدو من كلامك كأنكما عاشقان.

- هل تعتقدين ذلك؟

قال ذلك دكسن بلهفة، ولم يستطع منع نفسه من التفكير في ملاحظتها بوصفها إطراء، وهو ما يحتاج إليه منذ زمن بعيد أيضاً.

- نعم إن مشاعرك تفي بمتطلبات الحب، أنت تريد ممارسة الجنس معها لكنك لا تستطيع، كما أنك لا تعرفها معرفة جيدة. إن جهل الطرف الآخر يتكلم بالحرمان يا جيم، أنت مناسب للصيغة تماماً، وما تريده هو ذلك أيضاً، إنه الحب البائس القديم. أليس كذلك؟ لا شك في ذلك أبداً كما اعتاد سيسل أن يقول قبل أن أخبره بالموضوع.

- تلك مراهقة، أليس كذلك؟ إذا لم يكن لديك أي اعتراض.

- نعم، صحيح أليس كذلك؟ هل لديك سيجارة يا جيم... شكراً لك، نعم كنت متأكدة تماماً عندما كنت في الخامسة عشرة أن تلك هي طبيعة الأشياء، لكن لا أحد يريد الإقرار بذلك.

- حسناً ها أنت تقرّين بذلك.

- نعم، لا مانع عندي من إخباري بأنه بعد انتهاء فترة نضوجي في العشرينات، عدت إلى تلك الطريقة في تفسير الأشياء بارتياح بالغ وبمبررات، على ما أعتقد، إنني الآن متلهفة إلى تلك الصيغة حقاً.

- صحيح؟

- فعلاً يا جيم، ستجد أن الزواج أفضل طريق مختصر للحقيقة، لا، ليس ذلك، بل طريق لمضاعفة الحقيقة، والشيء الآخر الذي مستجده هو

أن سنوات الراهمة ليست هي سنوات المراهقة كما يحاول أن يخبرنا بذلك البالغون، بل هي السنوات التي تلي المرحلة مباشرة أي أواسط العشرينات وهي مرحلة النضج المزيف إذا شئت تسميتها، أي عندما تتورط في الأشياء وتبدأ بفقدان عقلك، أي عندما تدرك أولاً أن الجنس مهم للآخرين كما هو مهم لك. إن مثل هذا الاكتشاف لا يمنعك من فقدان توازنك بعض الوقت.

- ربما لو أنك لم تتزوجي يا كارول...

- لما كان في وسعي عمل أي شيء آخر. أليس كذلك؟

- لما كان في وسعك؟ لماذا؟

- يا إلهي! ألم تصغ إليّ؟ كنت عاشقة، هيا بنا نعود إلى المشرب

الآن فقد أخذ الضجيج يعلو هنا.

وهنا شعر دكسن بأن صوتها بدا متهدجاً قليلاً لأول مرة منذ أن شرعا

في الحديث.

- إنني آسف جداً يا كارول، ما كان ينبغي لي قول ذلك.

- لا تكن سخيماً يا جيم، لا داعي للاعتذار، ما قلته شيء طبيعي

جداً. ثم لا تنسى أن هناك واجباً أخلاقياً ملقى على عاتقك، أبعد تلك

الفتاة عن طريق برتراند إنها لن تستمتع بعلاقتها، فهو ليس من طرازها

وأرجو أن تتذكر ذلك.

ولما نهضا من مكانهما، اكتشف دكسن أنه نسي موضوع الراقصين

والفرقة الموسيقية وأصبح الآن يتذكرهم جيداً. وبدأت إحدى الأغنيات

تخلو من أي تنوعات موسيقية من حيث الإيقاع أو الانسجام أو التعبير أو

درجة السرعة أو علو الصوت أو اللون، كما بدأت مجاميع الراقصين تندفع

وتدور وتومئ على نغمات الأغنية.

دخلا المشرب ثانية، وشعر دكسن أنه يمارس هذا العمل منذ

أسابيع وكانت رؤيته مجموعة الأصدقاء وهم جالسون في أماكنهم السابقة نفسها قد جعلته يرغب في الاندفاع إلى الأمام والذهاب للنوم. كان غور أورغوهارت يصغي إلى الحديث ومارغريت تضحك. أما كريستين فربما كانت تصغي هي الأخرى إلى شخص ما، ووضعت الآن رأسها بين يديها ووقف بيزلي عند منصة المشرب ورفع باكتئاب وارتعاش قدحه المملوء إلى النصف بالشراب ليسكب محتوياته في جوفه. اتجه دكسن نحوه في محاولة لكسر طوق الرتابة الذي يحسّ به، إلا أن كارول نظرت إليه ثانية وعادت إليه وبادلته التحية.

مكتبة

سأل دكسن:

- ما هذا يا ألفرد؟ مرح؟

أوماً بيزلي برأسه دون أن يتوقف عن احتساء قدحه، وأخيراً أنزل قدحه ومسح فمه بكمّته وقطب وجهه مشيراً إلى نوعية الشراب بكلمة غير لائقة الاستعمال وقال:

- لم أتوصل إلى شيء هناك، فعدت إلى هنا وتوجهت إلى هذا المكان.

فسألته كارول:

- وهل توصلت إلى شيء يا ألفرد؟

فأجاب بيزلي:

- إلى القدرح العاشر.

- لعين، لكن لا يخضع أليس كذلك، إنه الشراب. حسناً يا جيم يبدو أن هذا المكان يليق بكليتنا موافق؟ لا أحد يريدنا. ماذا دهاك؟ ما الذي تنظر إليه هكذا؟

شعر دكسن بقليل من الانزعاج عندما أدرك أن صوتها وسلوكها اتسما بطابع شخص مخمور.

انحنى بيزلي إلى الأمام وقال:

- هيا يا جيم أتريد شراباً؟

فقال كارول بتحدُّ مصطنع:

- سبقى هنا حتى يرمونا إلى الخارج.

قال دكسن:

- نعم سأشرب قدحاً شكرياً لك، غير أنني لا أستطيع البقاء هنا.

- لأنك تريد أن تذهب لرؤية ما تفعله العزيزة مارغريت صحيح؟

- حسناً، نعم. إنني...

- ظننت أنني أخبرتك بأن تدع مارغريت تتحمل وزر عملها، ماذا لو

استخدمت عينيك؟ لا بد أنها مستمتعة جداً الآن. شكراً لك يا سيد دكسن،

وشكراً لك يا سيدة غولد سمث. وشكراً لك أيضاً. والآن هذه فرصتك يا

جيم وتذكّر واجبك الأخلاقي، شكراً لك يا ألفرد هذا نخبك يا ولدي.

- أي واجب أخلاقي هذا يا كارول؟

- إن جيم يعرف، أليس كذلك؟

نظر دكسن نحو الشلة في الركن. كانت مارغريت قد نزعت نظارتها

وهي علامة أكيدة على التجاهل، وجلست كريستين ساكنة كأنها مومياء

وظهرها إلى دكسن، بينما كان برتراند يتحدث ويدخن سيجاراً أسود. لم

يفعل ذلك؟ وفجأة أحسّ دكسن بذعر يخيم عليه، وبعد لحظة أدرك أن

ذلك يرجع إلى أن لديه خطة يتعين عليه تنفيذها وارتعش قليلاً ثم احتسى

ما في قدحه وقال بصوت متهدج:

- إنني ذاهب الآن، إلى اللقاء.

غادر المكان وجلس في مقعد شاغر بجوار كريستين التي التفتت إليه

وهي تبسم ابتسامة حزينة كما خمن. قالت له:

- أوه، مرحباً بك. ظننت أنك ذهبت إلى البيت.

- كلا، لم أذهب يبدو عليك أنك بقيت وحيدة هنا.
- نعم، إن برتراند لا يتغيّر أبداً عندما يتحدث بهذه الطريقة لكني أعتقد أنه جاء فعلاً إلى هنا كي يلتقي عمي.
- لقد لاحظت ذلك.

في هذه اللحظة، نهض برتراند من مكانه وتوجّه دون أن يلقي نظرة على كريستين إلى حيث وقفت كارول مع بيزلي وسمع صوت تحية مدوية، نظر دكسن إلى كريستين فحظي بمشهد نادر لإنسان يفور الدم في وجهه فقال بسرعة:

- أصغي إليّ الآن يا كريستين، سأغادر المكان وأطلب سيارة أجرة وستصل في نحو خمس عشرة دقيقة. أرجو أن تخرجي من هنا وسأذهب بك إلى منزل ولش لن أفعل أي شيء يسيء إليك. ثقي بي، سأخذك إلى بيت ولش.

اتّسم رد فعلها الأولي بشيء من الغضب وقالت:

- لماذا؟ لماذا ينبغي لي أن أذهب؟
- لأنك تشعرين بالسأم، وهو أمر لا يثير دهشتي أبداً ذلك هو السبب.

- ليس هذا هدفك، إنها فكرة سخيفة وجنونية تماماً.
- هل تأتين؟ سأطلب سيارة أجرة في كل الأحوال.
- لا تطلب مني ذلك. لا أريد من أحد أن يسألني ذلك.
- لكنني أطلب منك. ما رأيك؟ أمامك عشرون دقيقة.
- ثم نظر إلى عينيها ووضع يده فوق مرفقها، لا بد أنه قد جنّ كي يتحدث إلى فتاة بهذه الطريقة وأضاف:
- أرجوك أن تأتي.

خطفت ذراعها منه، وقالت كأنما يريد أن يخبرها بأنه يتعيّن عليها أن

تذهب إلى طبيب الأسنان صباح اليوم التالي:

- كلا، دعني.

فقال بصوت منخفض:

- سأنتظرك في المدخل، أمامك عشرون دقيقة، لا تنسي، التفت
دكسن وغادر المكان وهو يسلك طريقاً سمح له بمشاهدة جزء من حلبة
الرقص والفرقة الموسيقية. أدرك أنها لن تأتي، غير أنه نفذ واجبه على
أي حال، أي أنه فكر بطريقة يؤدي بها نفسه بقوة أكبر من المعتاد وعلناً.
توقف لحظة كي يودع بإشارة من يده الفرقة الموسيقية، ولما لم يرد أحد
خرج للبحث عن هاتف.

* * *

توقف دكسن في الرواق المعبد لإشعال سيجارة يفترض فيه أن يدخنها بحسب جدولته بعد تناول فطور صباح اليوم التالي. وكانت سيارة الأجرة التي طلبها توشك أن تصل بين لحظة وأخرى. إذا لم تأت كريستين عندما يكون قد انتهى من تدخين السيجارة فسوف يطلب من السائق إيصاله إلى غرفته، لهذا فإنه سيكون في داخل السيارة في كل الظروف. شيء جيد ما دام عجزه الكلي عن الحركة أخذ يسيطر عليه. ولم يبق سوى عشر دقائق، وحاول عدم التفكير في ذلك.

كانت ظلمة الشارع متفاوتة، فالمصاييح القريبة على امتداد الشارع الرئيس تتوهج بضوء شاحب، والضوء الجانبي للسيارات المتراصة على امتداد الرصيف متألّق أيضاً. أما نوافذ المبنى القائم، فكانت غارقة في الضوء. وكان أحد القطارات يتحرك ببطء وثبات عظيم في قمة المنحدر وهو قادم من المحطة.

شعر دكسن بدفء أقل وتناهى إلى سمعه صوت الفرقة الموسيقية وهي تعزف قطعة موسيقية يعرفها جيداً ويحبها كثيراً. وفكر في أن الأغنية ستساعده على رسم ذلك المشهد وغرسه في ذاكرته، فشعر بعاطفة رومانسية، إلا أنه لا يتعيّن عليه الشعور بذلك أليس كذلك؟ إذاً، ما الذي يفعله هنا على أي حال؟ وإلى أين سيؤدّي هذا كله؟ ومهما كانت الوجهة التي سيتخذها، فإنها ستؤدّي إلى وجهة بعيدة عن المجرى الذي اتخذته حياته في غضون الأشهر الثمانية الأخيرة، وبررت الفكرة عواطفه وملاّته بالثقة والأمل. فالتغيرات الإيجابية مفيدة تماماً، أما السكون والثبات فهما أمران سيثان، وتذكر شخصاً ما أطلعه ذات مرة على قصيدة تنتهي بعبارة

معناها «القبول بالمجاعة، ظلّ الموت». ذلك صحيح. لم يجرب المجاعة التي مرّ بها الجميع أبداً لذا فمن الضروري التعرف على جو يموج بالناس والأشياء التي يعتقد المرء أنها سيئة ويتمثل بالبحث المستمر عن طرق جديدة يستطيع فيها المرء أن يعتقد أنها سيئة. والسبب الذي جعل بروميثوس يعجز عن الهرب من صقر هو أنه كان متشوقاً إليه لا العكس.

وفجأة هزّ دكسن رأسه، ثم هدل بسكون فكه الأسفل إلى أبعاد ما يستطيع، فمالت سيجارته إلى الأسفل، وهكذا فإنه بعد مرور خمس وعشرين دقيقة لم يفقد كريستين فحسب، بل سيارة الأجرة أيضاً. في تلك اللحظة استدارت إحدى السيارات عند المنعطف قادمة من الطريق الرئيسي، ووقفت قريباً منه حيث كان يقف قرب أحد الشوارع الفرعية وتبين أنها سيارة أجرة حيث قال السائق:

- باركر؟

t.me/ktabpdf

- ماذا تقصد بباركر؟

t.me/ktabrwaya

- سيارة أجرة لباركر؟

- ماذا؟

- سيارة أجرة لشخص اسمه باركر؟

- باركر؟ أوه، لا بد أنك تعني باركلي أليس كذلك؟

- آه، ذلك هو الاسم باركلي.

- حسناً، نحن مستعدون الآن، هلاً تفضلت بالوقوف عند الفرع

الجانبى وسأعود في غضون دقيقتين اثنتين، ربما سأعود مع صديق وأرجو

ألا تدع أي شخص آخر يستأجر السيارة، سأعود حالاً.

- لا بأس يا سيد باركلي.

عاد دكسن بخفة إلى الرواق المعبد، ونظر باتجاه الممر المضيء

وهو يفكر في العودة ومحاولة إقناع كريستين بالذهاب معه. غير أن

انعطافة حجبت عنه رؤية بداية الممر، إذ خرج السيد باركلي من وراء هذه الانعطافة وهو يرتدي معطفه ومن ورائه زوجته. ظنّ دكسن أنه سمع إشارة إليه بطريقة ما. ثم ألقى نظرة باتجاه الشارع فشاهد سيارة الأجرة تقف في منتصف الطريق وهي توشك أن ترجع إلى ناصية الشارع الفرعي حيث سيحجبها عن الرؤية أحد المباني التي تشغلها المكاتب. وبينما كان باركلي يشقّ طريقه، كان لا يزال أمام السيارة بضع ياردات أخرى حتى تصل الناصية.

اعترض دكسن طريقه، وقال بلهجة معتدلة كأنه يتعامل بموضوع ذي علاقة بالتنويم المغناطيسي:

- أوه، مساء الخير يا أستاذ باركلي.
- أهلاً دكسن، ألم تشاهد سيارة أجرة قادمة إلينا؟
- مساء الخير يا سيدة باركلي كلا، لا أعتقد أنني شاهدت سيارة أجرة يا أستاذ.

فقال بيهجة:

- أوه، يا عزيزي. حسناً، سنتظر على أي حال.
- وبينما هو يتحدث، سمع صوتاً عالياً من ناحية الممر وكاد يطنى على صوت توقف سيارة الأجرة في الشارع الفرعي، فأضاف وهو يرفع رأسه كأنه عنكبوت كبيرة أفلقت راحتها وهي بين الحشائش:

- هل ذلك صوت سيارة؟

فتظاهر دكسن بالإصغاء وقال بأسى:

- إنني لا أستطيع سماع أي شيء.

- لا بد أنني مخطئ.

- لا بأس يا سيمون أعتقد أنه من الأفضل السير قليلاً، لعل سائق

السيارة وصل وأوقف سيارته في مكان ما قبل وصول السيد دكسن.

- نعم، يا عزيزتي ذلك احتمال وارد.

- لم يكن في وسعه القيام بذلك يا سيد باركلي. لقد مضى على وجودي هنا حوالى نصف ساعة. وفي استطاعتي أن أوكد لك أن أي سيارة لم تصل.

فقلت وهي تحرّك فكيها:

- حسناً، أمر غريب، لقد استدعى زوجي سيارة أجرة قبل نصف ساعة على الأقل، والمعروف أن سيارات أجرة المدينة تلتزم بمواعيدها.

فقال دكسن كأنه يجري عملية حسابية:

- نصف ساعة. أوه، حسناً، ليس في وسعه الوصول قبل حضوري، إذ إن مرآب سيارات أجرة المدينة يقع وراء محطة حافلات النقل في الجانب الآخر من المدينة.

سألت السيدة باركلي:

- أنتتظر سيارة أجرة أيضاً يا سيد دكسن؟

- لا، لقد خرجت طلباً للهواء المنعش.

فقال الأستاذ مبتسماً:

- لقد مكثت وقتاً يكفي لملء عدة رئات بالهواء النقي.

شعر دكسن بالخجل لسرقته سيارة الأجرة عندما سمع ملاحظة الأستاذ الودية، بيد أن الوقت فات على الانسحاب، وقال وهو يحاول أن يبدو غير مكترث:

- نعم، إنني في انتظار صديق أيضاً.

- أوه، حقاً؟ في وسعنا إذاً السير قليلاً يا سيمون فالمكان بارد هنا.

- نعم يا عزيزتي في وسعنا القيام بذلك.

فقال دكسن:

- سأسير معكما.

لم يرغب دكسن في مغادرة المكان، غير أن عدم تركه ليس سوى بديل أسوأ. لكن ما الذي سيفعله كي يحول دون عثور باركلي على سيارة الأجرة؟

عندما وصل الثلاثة قرب الناصية المعنية مرّت سيارة بسرعة فائقة، وأدرك دكسن فوراً أنها ليست سيارة الأجرة التي استدعاها لأن كل سيارات أجرة المدينة تحمل علامة صغيرة مضيئة فوق زجاج السيارة الأمامي ولم تكن هذه السيارة تحمل مثل هذه العلامة. وعلى أي حال أصبح الانتقال من هنا ممكناً، وعندما وصلوا ناصية الشارع نزل دكسن إلى الطريق ورفع يده وصاح على عجل:

- تاكسي، تاكسي.

فجاءه صوت من المقعد الخلفي للسيارة يقول:

- أنت تاكسي.

فهتف سائق السيارة وهو يزيد سرعة سيارته:

- أوه، السيارة مشغولة يا جاك.

عاد دكسن إلى السيد باركلي وزوجته اللذين جعلوا ناصية الشارع وراء ظهرهما وهما يراقبان الطريق وقال:

- لا أعتقد أن هناك فائدة.

غير أن الأمر كان مفيداً له، إذ جعلت الحادثة من الطبيعي أن يعود دكسن إلى الرواق المعبد ما الذي سيحدث في الرحلة القادمة؟ إن الخدمات الاعتيادية للسيارات الخصوصية عبر الناصية لا أمل فيها، بل تمنى لو أن سيارة الأجرة التي طلبها هو شخصياً لن تظهر، إذ ينبغي له عندئذ أن يستقلها ويترك السيد باركلي وزوجته يبحثان عن السيارة التي أخذها منهما، أو هل يستطيع إقناعهما بأن يستقلا هذه السيارة؟

وقفوا دقيقة أو دقيقتين قرب الرواق المعبد دون أن يأتي أو يذهب أحد، وأصبح السير إلى ناصية الشارع أمراً حتمياً. ألقى دكسن نظرة بائسة على الممر، فرأى شخصين قادمين عند المنعطف، ولم يكن الشخص الأول كريستين، بل كان شخصاً ثملاً يسعى جاهداً إلى إشعال سيجارته، أما الشخص الثاني فقد كانت هي.

وهنا شعر دكسن بالصدمة لأن مظهرها مألوف له تماماً، إذ لم يتوقع مثل هذه النظرة المألوفة على وجهها والسير المتعمد نحوه وصوت وقع أقدامها على القماش، على الخشب وعلى الحجارة، وبعد أن أَلقت نظرة على رتل السيارات المتراصفة قالت فجأة:

- هل استطعت الحصول على سيارة؟

أدرك دكسن أن السيد باركلي وزوجته لا بد أن يصغيا. وبعد تردد قصير قال:

- نعم، إنها موجودة، إنها...

ثم أشار إلى جيبه.

حاول دكسن أن يجعلها تسير معه، إلا أنها ظلت واقفة عند المدخل وكانت الأضواء المنبعثة من الممر قد جعلت وجهها أسير الظلال وقالت:

- أعني سيارة أجرة.

- سيارة أجرة؟ سيارة أجرة؟ لثلاثمائة أو أربعمائة ياردة لا أكثر؟

ثم أطلق ضحكة مدوية وأضاف:

- سأوصلك إلى أمك في وقت أقصر مما لو أجريت مكالمة هاتفية، طابت ليلتك يا أستاذ، طابت ليلتك يا سيدة باركلي. حسناً، إننا لن نذهب إلى مكان بعيد. فالجو حار. هل ودّعت الآخرين نيابة عني؟

في هذه الأثناء، أصبح الاثنان بعيدين إلى حدّ ما، واستطاع دكسن أن يضيف قائلاً:

- شيء جميل. أحسنت صنعاً.

وعلى مقربة منهما سمع دكسن صوت سيارة، بينما قالت زوجة باركلي شيئاً ما لزوجها.

قالت كريستين بفضول واضح:

- ما الذي يجري هنا؟ ما هذا كله؟

- لقد سرقنا سيارة الأجرة التي طلبها السيد باركلي، وهو أحد الأمور التي تجري هنا، وهي واقفة الآن عند ناصية الشارع.

لكن يبدو أن سائق سيارة الأجرة شعر بالملل جراء الانتظار فخرج من الشارع الفرعي بسيارته، واتجه صوب الشارع الرئيس، فهرع إليه دكسن بعصبية وهو يصيح:

- تاكسي! تاكسي!

وعندما توقفت السيارة ذهب دكسن إلى السائق وبعد حوار قصير انطلقت سيارة الأجرة ثانية واختفت في الشارع الرئيس. عاد دكسن ثانية إلى كريستين، وكان السيد باركلي وزوجته قد انضما إليهما في هذه الأثناء، وقال لهما:

- إنني آسف لم أستطع الحصول على تلك السيارة، إذ يتعين على السائق أن يكون في المحطة في نحو خمس دقائق حيث ينتظره أحد الأشخاص. أمر مزعج.

فقال باركلي:

- «حسناً شكراً جزيلاً يا سيد دكسن لبذلك المحاولة» وقالت زوجته:

- نعم، شكراً لك على أي حال.

أمسك دكسن بذراع كريستين وسار بها صوب الشارع الفرعي وهو يقول للسيد باركلي وزوجته «طابت ليلتكما». ثم عبر الشارع.

- هل هذا يعني أننا خسرنا سيارة الأجرة التي طلبناها؟
- إنها سيارتنا بعد أن كانت سيارتهما. لقد طلبت من السائق أن ينتظرنا على بعد مائة ياردة وراء المنعطف، وفي وسعنا أن نختصر الطريق إليه بالسير في هذا الزقاق وسنصل في غضون دقيقتين اثنتين.
- ماذا كنت ستفعل لو لم يغادر في تلك اللحظة؟ كان من الصعب ركوبنا السيارة أمام هذين الشخصين.
- فكرت أنه ينبغي لنا أن نفعل شيئاً مشابهاً لما فعلناه، أن يذهب كل واحد منا في سيارة منفصلة، لهذا انطلقت في العمل كالصاروخ.
- فعلاً.
- ثم توقفا عن الحديث، إذ وصلا سيارة الأجرة وكانت تقف قرب الواجهات المضيئة لأحد محلات الأزياء. فتح دكسن باب السيارة الخلفي كي تصعد كريستين ثم قال للسائق:
- إن صديقنا لن يأتي وسنذهب دونه إذا كنت مستعداً.
- نعم يا سيدي، هل العنوان قريب من كورن إكسجنج.
- كلا، بل أبعد قليلاً.
- ثم ذكر دكسن اسم المدينة الصغيرة التي تقطنها عائلة ولش.
- أوه، إنني لا أستطيع الذهاب إلى هناك، إنني آسف يا سيدي.
- لا بأس، أنا أعرف الطريق.
- وأنا كذلك، لكن المسؤولين في المرآب قالوا لي إن العنوان هو كورن إكسجنج.
- حقاً؟ لقد أخطأوا في الواقع، إن وجهتنا ليست كورن إكسجنج.
- إنني لا أملك وقوداً يكفي لقطع تلك المسافة.
- هناك محطة تعبئة عند نهاية طريق الكلية، وهي تقدّم الخدمات حتى منتصف الليل.

ثم حدّق دكسن إلى لوحة أجهزة القياس وأضاف:
- لا يزال أمامنا عشر دقائق، في وسعنا أن نصل المحطة في وقت مناسب.

- إن التزود بالوقود لا يتم إلا في المرآب العائد لنا.
- سأكتب إلى شركتك موضحاً أنها غلطتهم إذ أخبروك بأن العنوان المقصود هو كورن إكسجنج، لنذهب الآن وإلا ستجد نفسك بعد ثمانية أميال دون قطرة واحدة من البنزين، فلا تستطيع العودة.
ثم ركب السيارة بعد أن جلس إلى جانب كريستين وانطلقت بهما.

* * *

قالت كريستين:

- كفاءة ممتازة، يبدو أنك جيد جداً في مثل هذه الأمور، أليس كذلك؟ أولاً قضية المنضدة، ثم جريدة «الإيفنغ بوست» والآن هذا الحادث.

- لم أصادف مثل هذه الأمور من قبل. بالمناسبة، أرجو ألا تمنعني كثيراً في الأسلوب الذي اتبعته للحصول على سيارة الأجرة.

- إنني أجلس فيها الآن، أليس كذلك؟

- نعم أعرف ذلك. لكنني فكّرت في أن الطريقة التي استخدمتها قد تبدو لك طريقة غير أخلاقية.

- حقاً، على الأقل ستبدو كذلك في الأحوال الاعتيادية، لكن الحصول على سيارة أجرة أهم من كل شيء، أليس كذلك؟

- إنني مسرور لأنك تنظرين إلى المسألة بهذا المنظار.

فكّر دكسن في الطريقة التي استخدمت فيها كريستين كلمة أهم، وأدرك أنه لم يهتم كثيراً بإذعانها السهل لأسلوب القرصنة الذي استخدمته في الحصول على سيارة باركلي، وشعر أنها غبية إلى حدّ ما، وربما لم تدرك سبب حصوله على سيارة الأجرة. فهي إسوة بالامراتين الجميلتين اللتين عرفهما، أو الكثيرات غيرهما ممن قرأ عنهن تعتقد أن المسألة اعتيادية جداً عندما يكون هناك شخص مخادع وآخر مخدوع ما دام الأمر لمصلحتها. كان ينبغي لها أن تشمئز وترفض الذعاب معه وتصرّ على العودة وإعطاء السيد باركلي وزوجته السيارة ثم ترجع إلى حلبة الرقص بسبب تصرفاته.

نعم، كان من شأنه أن يفضل ذلك الأسلوب، وعندئذ ستكون بطله حقيقية.

حرّك يده في الظلام ووضعها فوق فمه لكبت ضحكته، ثم انتابه الذعر لأنه ينبغي له أن يجد موضوعاً يتحدث عنه إلى الفتاة وهما في طريقهما إلى بيت ولس.

والشيء الوحيد الذي شعر بوضوحه، هو أن اختطافه إياها كان بمثابة ضربة توجه إلى برتراند. لماذا وافقت على التخلص من صديقها بهذه الطريقة؟ هناك أجوبة محتملة كثيرة. لعل في وسعه البدء من هذه النقطة.
قال:

- هل استطعت التخلص بسهولة؟
- أوه، نعم لم يعترض أي فرد.
- ماذا قلت لهم؟
- أوضحت الموضوع لعمي، وهو إنسان لا يعترض أبداً على ما أفعله، أخبرت بعد ذلك برتراند بأنني سأغادر المكان.
- كيف كان رد فعله؟
- قال لي: «أوه، لا تنهبي. سأكون معك في غضون دقيقة واحدة».
- ذهب وتحدث إلى السيدة غولد سمث لهذا خرجت.
- يبدو أن كل شيء سار بسهولة وبسرعة.
- حسناً، إنني سعيد جداً لقرارك المجيء معي.
- حسناً، إنني لم أستطع منع نفسي من الإحساس بالذنب في البداية لأنني تركتهم جميعاً وخرجت، لكن كل شيء انتهى الآن.
- وبعد صمت قصير أردفت قائلة:

- إنني لم أشعر بالبهجة في ذلك المكان وبدأت أحسّ بالتعب الشديد، كما أن برتراند لم يبد عليه أنه عازم على الخروج بعد وقت قصير،

ففكرت في المجيء إليك.

كانت لهجة كريستين تشبه لهجة مديرات المدارس. أما دكسن فأضاف بلهجة ثابتة:
- أفهم ذلك.

كان في استطاع دكسن أن يشاهد كريستين وهي تجلس على حافة المقعد تحت ضوء المصابيح الكهربائية الممتدة على طول الشارع.
كان ذلك متوقِعاً بحسب اعتقاده بعد أن اتضحت له القضية.
ثم قالت كريستين بلهجتها القديمة التي سمعها تتحدث بها في أثناء المكالمة الهاتفية.

- كلا، إنني لا أريد التخلص من ذلك، فهذا جزء من القضية. إنني لا أعتقد أن هناك أي سبب يحول دون إخباري لك بالمزيد من المعلومات.
لقد تركت المكان لأنني شعرت بالضجر التام من كل شيء.

- هذا تحول مفاجئ. ما سبب شعورك بالضجر؟

- كل شيء. كنت أشعر بالضجر تماماً، ولا أعتقد أن هناك أي سبب يمنعني من توضيح الأمر لك. لقد شعرت بالكآبة مؤخراً وقد ازداد هذا الشعور في هذه الليلة.

فقال دكسن بحرارة:

- إن فتاة مثلك لا يبدو أنها تملك أي سبب للشعور بالاكتئاب جراء أي شيء يا كريستين.

ثم اتكأ على النافذة واصطدم مرفقه بالباب برفق عند انعطاف السيارة إلى الجانب للتزود بالوقود من محطة التعبئة. وراء المحطة انتصب مبنى مظلم وعليه علامة لا تكاد تظهر بوضوح كتب عليها «سيارات للأجرة - باتيسن - تصليح». نزل دكسن من السيارة بسرعة اتجه صوب باب خشبي وقرعه بعنف وهو يفكر: أينبغي له أن يصيح بأعلى صوته أيضاً أم لا؟

وبينما هو ينتظر، مرّت بخاطره مجموعة من العبارات المناسبة لإطلاقها في وجه عامل المحطة الذي لا يرغب في خدمته. مرّت دقيقة واحدة وبدأ يطرق الباب مرة أخرى. وفي هذه الأثناء، انضمّ إليه سائق سيارة الأجرة، وكان يبدو من مظهره أنه شخص يستدعي حضوره التفوّه ببعض التعليقات المتشائمة. فغيّر دكسن ملامح وجهه مستخدماً في ذلك شفثيه ولسانه وحركات يديه. أضيئت الأنوار بسرعة داخل المحل وفتح الباب على عجل وظهر رجل يعلن أنه يستطيع، بل مستعد لتعبئة السيارة بالوقود. وفي غضون الدقيقتين التاليتين لم يفكّر دكسن في الرجل، بل في كريستين. وتملكه الذعر عندما فكّر في أنه لم يظهر عليها ما يشير إلى أنها تكرهه، بل هي تثق به أيضاً وشعر أنها مدهشة وأنه محظوظ لأنها برفقته. وفكّر في أن اعترافاته الضمنية ومشاعره تجاهها التي أعلنها أمام كارول من قبل تبدو غريبة. أما الآن فقد بدا كل شيء واضحاً وطبيعياً. كما أن النصف الساعة القادمة ستصبح الفرصة الوحيدة أمامه لعمل أي شيء إزاء مشاعره هذه، إذ قرّر دكسن لأول مرة في حياته أن يراهن على حظه. ففي كل مرة واتاه فيها الحظ من قبل، لم يشعر إلاّ بعدم الثقة، إذ سرعان ما كانت الفرصة تفلت من يديه. أما الآن، فقد حان الوقت لوضع حدّ لذلك.

دفع دكسن ثمن الوقود للعامل وانطلقت بهما سيارة الأجرة. قال
لكريستين:

- لا يوجد أي سبب يدفعك إلى الشعور بالكآبة.

قالت بحدة مرة أخرى:

- إنني لا أفهم، كيف تعرف ذلك؟

- كلا، إنني لا أعرف ذلك. بيد أنني لا أعتقد أنك قضيت وقتاً سيئاً

جداً.

قال ذلك ببساطة أثارت دهشته، وفكر في أنها تحتاج إلى بعض

الوقت والقليل من التشجيع كي تعود إلى أسلوبها الصريح. وفكر أيضاً في أن مثل هذا الإحساس غير مألوف لديه تماماً شأن بقية الأشياء التي كان يفكر فيها. أضاف:

- كنت أفكر دوماً في أنك إنسانة ناجحة تماماً في معظم الأشياء.
- إنني لا أريد أن أظهر بمظهر المسكينة. أنت على حق فعلاً. لقد قضيت وقتاً طيباً وكنت محظوظة في كل الأشياء، لكنني أجد بعض الأمور صعبة جداً، ولا أعرف كيف أجد طريقي.

اراد دكسن أن يضحك إذ لم يستطع أن يتصور أي امرأة في مثل سنها تحتاج إلى مثل هذه الخبرة العملية. وأكد هذا الشيء في عبارته، غير أنها أصرت قائلة:

- كلا، صحيح جداً، لما أجد أبداً الفرصة بعد.
- أرجو أن لا تعترضني إذا قلت إنني فكرت في وجود عدد كبير من الأشخاص الذين يرغبون في التعرف إليك.
فقالت بحوية:

- أعرف ذلك وأفهم قصدك جيداً، إلا أن هؤلاء الناس يقومون بالمحاولة وهم يفترضون أنني على علم من قبل.

- أوه، إنهم يقومون بالمحاولة. هل في وسعك توضيح قولك؟
- أعتقد أن السبب يعود إلى أنني متزنة ورابطة الجاش. إن مظهري يوحي أنني أعرف جيداً كيف أتصرف وغير ذلك. لقد أخبرني بذلك شخصان أو ثلاثة أشخاص، ولا بد أن ذلك صحيح. لكن ذلك هو مظهري ليس غير.

- حسناً، إن مظهرك يظهر أنك صعبة إلى حد ما، هذا إذا كانت الصفة مناسبة، بل يظهر أنك متكبرة في بعض الأحيان. لكن...
- كم تعتقد أنني أبلغ من العمر؟

فَكَرَّ دَكْسَنَ فِي أَنَّ الْإِجَابَةَ الصَّرِيحَةَ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَكُونَ مَنَاسِبَةً،
فَقَالَ:

- أَعْتَقِدُ أَنَّكَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ.

فَقَالَتْ مُنْتَصِرَةً:

- هَا أَنْتِ خَمَمْتِ بِشَكْلِ خَاطِئِي سَابِلِغِ الْعِشْرِينَ فِي الشَّهْرِ الْقَادِمِ. فِي
الثَّامِنِ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الْقَادِمِ.

- إِنِّي لَمْ أَقْصِدُ أَنْ مَظْهَرِكَ يَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّكَ أَكْبَرُ سِنًا، إِنِّي...

- لَا، أَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ. إِنَّهَا السِّنُّ الَّتِي أَبْدُو فِيهَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَالْأَمْرُ

يَتَعَلَّقُ بِمَظْهَرِي صَحِيحٌ؟

- نَعَمْ، أَعْتَقِدُ ذَلِكَ. لَكِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الْوَحِيدِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

- إِنِّي آسَفَةٌ. مَاذَا؟

- أَقْصِدُ أَنْ مَظْهَرِكَ لَيْسَ وَحْدَهُ الَّذِي يُوحِي بِأَنَّكَ أَكْبَرُ سِنًا وَأَكْثَرَ

تَجْرِبَةً، بَلْ أَسْلُوبُ تَصَرُّفَاتِكَ وَحَدِيثِكَ مَعْظَمُ الْوَقْتِ. أَلَا تَعْتَقِدِينَ ذَلِكَ؟

- حَسَنًا، يَصْعَبُ عَلَيَّ الْإِعْتِرَافُ بِذَلِكَ.

- حَقًّا، وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِي. كَمَا يَبْدُو عَلَيْكَ أَنَّكَ مُسْتَاءَةٌ وَغَاضِبَةٌ

طَوَالَ الْوَقْتِ، وَيَصْعَبُ تَحْدِيدُ ذَلِكَ. لَكِنْ أَصْبَحْتَ لَدَيْكَ عَادَةُ الْحَدِيثِ

وَالْتَصَرُّفِ كَأَنَّكَ مَرِيَّةٌ عَلَيَّ الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَقْرَبَ بَعْدَ مَعْرِفَتِي

بِشَيْءٍ مُحَدَّدٍ عِنْدَكَ.

- أَوْه، حَقًّا؟

عَلَيَّ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ لَهْجَةَ السُّؤَالِ أَوْضَحَتْ تَمَامًا حَدِيثَ دَكْسَنَ، فَإِنَّهُ

أَكَّدَ كَلَامَهُ فِي غَمْرَةٍ إِحْسَاسَهُ بَعْدَ أَهْمِيَةِ أَقْوَالِهِ.

- هَا أَنْتِ تَتَصَرَّفِينَ هَكَذَا الْآنَ. فَعِنْدَمَا تَجْهَلِينَ مَا الَّذِي يَنْبَغِي قَوْلُهُ

أَوْ فَعَلُهُ، فَإِنَّكَ تَتَمَسَّكِينَ بِالرَّسْمِيَّاتِ وَيُسَاعِدُكَ فِي هَذَا وَجْهَكَ تَمَامًا. لَعَلَّ

هَذَا هُوَ الَّذِي مَنَحَكَ فِكْرَةَ أَنَّ تَكُونِي رَسْمِيَّةً أَوْلًا. أَقْصِدُ وَجْهَكَ الَّذِي

يعطي الانطباع عن نوع متكلف من الثقة بالنفس. أنت لا تريدن التكلف، بل الثقة بالنفس. نعم.. لكن يكفي ذلك لقد خرجنا عن الموضوع. كيف ينطبق هذا كله على الكآبة؟ لا يوجد أي سبب يدفعك إلى الاكتئاب.

ترددت كريستين في الإجابة، بينما ظهر قليل من العرق على وجهه دكسن ثم قالت بسرعة:

- المسألة كلها تتعلق بالرجال أنفسهم، كما ترى أنني لم أكن أعرف شيئاً عن الرجال حتى حصولي على العمل في لندن في السنة الماضية. انظر إليّ أنت لا تمنع في أن أتحدث طوال الوقت عن نفسي. أليس كذلك؟ ألا تعتقد أن ذلك يجعلني أبدو أنانية؟

- في وسعك نسيان ذلك كله. فأنا أريد أن أسمع حديثك.

- لا بأس إذا، حسناً، لم يمضِ وقت طويل على عملي في المكتبة حتى تحدث إليّ أحد الأشخاص ودعاني إلى إحدى الحفلات. فذهبت بصحبته والتقيت هناك عدداً كبيراً من الفنانين كان أحدهم، أو قد يكون اثنان منهم، ممن يعملون في هيئة الإذاعة البريطانية. لا بد أنك تعرف مثل هذه الأمور.

- في وسعي أن أتخيل ذلك.

- ثم بدأ كل شيء. فقد أخذ كل واحد منهم يطلب مني الخروج معه، وقد خرجت فعلاً واستمتعت كثيراً وما زلت أستمتع بذلك كثيراً. إلا أنهم ظلوا يحاولون إغوائي طوال الوقت، وهذا ما لم أرغب فيه. وكلما أقنعتهم بذلك وجدتهم يتخلون عني. حسناً، إنني لا أمانع في تخليهم عني لأن هناك دوماً أشخاصاً آخرين مستعدون لل...

- أراهن أن هناك آخرين حقاً واصلي حديثك...

- أخشى أن يبدو هذا...

- استمري...

- حسناً، إذا كنت متأكداً تماماً... على أي حال، بعد مرور بضعة أشهر، التقيت برتراند في شهر آذار ولم يبدُ عليه أنه يشبه الآخرين لأنه لم يحاول منذ البداية أن يجعل مني خلية له في كل الأوقات. كان لطيفاً جداً على الرغم من أنني لا أعتقد أنك... على أي حال، بعد مرور فترة من الوقت بدأت أشعر بأنني متعلقة به، وفي الوقت نفسه وهذا هو الجانب المضحك في الموضوع، أشعر بالسأم منه لأسباب أخرى. إنه مزيج غريب كما تلاحظ.

وبعد أن فكّر دكسن في جانبين اثنين يجعلان برتراند مزيجاً غريباً سأل كريستين:

- ما هي الأسباب؟

- بمستطاعه أن يفهم الأمور تماماً ويشعر بالعطف في لحظة من الزمن، إلا أنه يتغير ويصبح طفولياً. في أوقات أخرى أشعر أنني لا أعرفه أبداً أو لا أعرف ما يريد حقاً عندما أكون برفقته. في بعض الأحيان أفكّر في أن المسألة كلها ذات علاقة بتطوره في الرسم. على أي حال، بدأنا نتخاصم لسبب أو لآخر، وأنا لا أستطيع تحمل المشاجرات لأنه دوماً يلقي باللوم عليّ.

- ماذا تقصدين؟

- إنه يتشاجر وإياي عندما يتمكن من إلقاء اللوم عليّ، إذ يبدأ هو ويضطرني إلى البدء بالخصام عندما يتبين أن البدء بالخصام من شأنه أن يجعل البادئ، أيّاً كان، هو المذنب. وقد حدثت مشاجرة بيننا هذه الليلة حقاً وألقى اللوم عليّ كالمعتاد لكنه هو المخطئ. نعم، هو المخطئ. إن علاقته بالسيدة غولد سمث، لا بأس لن أسألك عن هذا الموضوع - إلا أنني أعلم أن هناك شيئاً ما يدور بينهما لكنه لا يخبرني به. أنا لا أعتقد أنه موضوع مهم جداً. إنه يفعل قليلاً عندما... لكنه لن يخبرني بما يحدث،

بل يتظاهر بعدم وجود أي شيء ويسألني إذا كنت أعتقد حقاً أنه يدير شيئاً من وراء ظهري، وعندئذ يتعين عليّ أن أقول لا، وإلا...

- هذا الموضوع لا يخصني يا كريستين، لكنني أعتقد أن الصديق برتراند يورط نفسه في مشاكل لأنك تجعلينه يشعر بالزهو كثيراً.

- كلا، إنني لا أستطيع عمل ذلك ما لم... إنني لا أستطيع القيام بذلك. لقد تطورت الأمور كثيراً حتى إنه يصعب الانسحاب الآن. ينبغي أن تسير الأمور على هذا المنوال. وما عليك إلا أن تتقبل الناس على حقيقتهم.

فسأل دكسن بسرعة وهو لا يرغب في التفكير في غرضها، ولا في كيفية سير الأمور بينهما:

- هل لديكما أي مشاريع مشتركة للمستقبل؟

- حسناً، إنني لا أملك أي مشاريع لكنني أعتقد أن لديه هو بعض المشاريع. أظنّ أنه يفكر في موضوع زواجنا على الرغم من أنه لم يذكره أبداً.

- وما هو شعورك إزاء ذلك؟

- لم أقرّر حتى الآن.

بدا أن ذلك هو كل شيء في تلك اللحظة. وخطرت في ذهن دكسن فكرة أنه ليس لديه أي دليل يوحى بأنها بجانبه ما عدا صوتها. ولما التفت إلى اليمين رأى أشد الأشكال ظلمة وغموضاً. كانت ساكنة تماماً في جلستها حتى لم يصدر أي صوت لحركة ملابسها أو المقعد الذي تجلس فيه. ولم يبد عليها أنها تستخدم العطور أو أي شيء آخر يمكنه شم رائحته. ولا يزال أمامه طريق طويل جداً كي يلمسها. وبدت له كتفا السائق ورأسه الذي تعلوه القبعة وبنظّم وجهتهما وقد انعكس في ضوء السيارة أكثر واقعية. نظر دكسن من خلال النافذة الجانبية فشرع بمعنوياته ترتفع

حالاً لدى مشاهدة الريف المظلم وهو يتحرك بعيداً عنه. وعلى العكس من معظم الأشياء التي حدثت له فإنه بهذه الرحلة أصبح لديه الآن شيء يريده ومهما كان ثمن ذلك مستقبلاً فإنه على استعداد لدفعه. وفكر أن المثل الذي يستخدم هذا النمط من السياسة وهو «خذ ما تشاء وادفع ثمنه» غير كامل، ولهذا ينبغي أن تضاف إليه عبارة «فذلك أفضل مما لو اضطررت إلى أخذ ما لا ترغب فيه وتدفع ثمنه». وهناك حجة أخرى تدعم هذه النظرية تفيد أن الأشياء الجميلة تبدو أجمل كثيراً من الأشياء القبيحة. فوجود كريستين معه الذي لا يشاركه فيه أحد جميل حتى إن مشاعره بدت محملة به كالمعدة النهمة. يا لجمال صوتها! وهنا سألها كي يسمع صوتها أكثر فأكثر.

- ماذا تشبه لوحات برتراند؟

- أوه، إنه لم يرني أي واحدة، ويقول إنه لا يريدني أن أفكر فيه رساماً حتى يستطيع هو شخصياً أن يفكر في ذلك. بيد أن الناس قالوا لي إن لوحاته جميلة جداً. وهؤلاء الناس هم أصدقاؤه كما أظن.

على الرغم من هالة الهراء الخانق التي أحاطت بها كريستين رأي برتراند، اعتقد دكسن أن الرأي يستحق قدرأ من الاحترام، أو على الأقل قدرأ من الدهشة. كما أن الإغراء كبير بتقديم البراهين على مركز شخص ما بوصفه فناً يتملقه الناس، وفي الوقت نفسه إظهار المرء إنساناً طيباً. وقد تمنى دكسن في بعض الأحيان لو أنه كتب الشعر أو أي شيء آخر يوحي بأنه شخصية متطورة.

واصلت كريستين حديثها قائلة:

- لا بد لي من القول إن شيئاً ما يدفعني إلى مقابلة رجل ما لديه بعض الطموح. ولا أقصد بالطموح أن أحظى بموعد لمقابلة نجم من نجوم السينما. يبدو الأمر مضحكاً عندما أتحدث بهذه الطريقة غير أنني

أتطلع إلى برتراند لأنه يملك شيئاً يدفعه إلى تنظيم حياته، شيئاً لا يتصل بالمادة أو المصلحة الشخصية. بهذا، ليس مهماً نوع العمل الذي يقوم به، وليس مهماً إذا كانت لوحاته لا تدخل البهجة إلّا إلى نفسه فقط.

- لكن، ألا تعتقد أن الإنسان إذا قضى حياته وهو ينفذ عملاً لا يثير إلّا اهتمامه الشخصي، إنما هذه هي المصلحة الشخصية بعينها؟
- حسناً، لكل إنسان مصلحة شخصية. أليس كذلك؟ لكن ينبغي لك أن تقرّ بأن ثمة درجات لذلك.

- أعتقد أنني يجب أن أقرّ بذلك. لكن ألا تعتقد أن طموحه هذا يبعدك جانباً؟

- ماذا؟

- أعني ألا تجد أنه منهمك في الرسم أو غير ذلك، بينما تريد أنت الخروج بصحبته؟

- في بعض الأحيان، لكنني أحاول إلّا أمانع في ذلك.

- لماذا؟

- كما أنني لا أحلم بجعله يدرك ذلك. الوضع ليس سهلاً. إن العلاقة بين المرأة والفنان تختلف كثيراً عن علاقة المرأة بالإنسان الاعتيادي.

في هذه الأثناء بدأت بعض المشاعر تكتنف دكسن بشأن كريستين، وكان من شأنه أن ينظر إلى العبارة الأخيرة التي ذكرتها كريستين بوصفها عبارة غير لائقة، إلّا أنه وجدها أيضاً عبارة قدرة. ولو كانت العبارة وردت في فيلم من الأفلام السينمائية، لكان رد فعله مغايراً تماماً. إلّا أنه ارتاح عندما وجد ثغرة من بذاءة المراهقة في هذه المواجهة النظيفة والناضجة، وتعيّن عليه أن يقول:

- إنني لا أرى أي اختلاف.

- حسناً، ربما لم أعبر تعبيراً دقيقاً عما أردت قوله. غير أنني أعتقد أن

العمل الذي يقوم به الفنان، يتطلب بذل جهد هائل من المشاعر والعواطف حتى إنه لا يبقى لديه شيء من ذلك لبقية الناس. أعتقد أن لديه حاجات خاصة، كما تعلم، ويعتمد تأمين هذه الحاجات على الآخرين إذا أرادوا ذلك دون إثارة أسئلة كثيرة.

لم يثق دكسن بنفسه في الحديث، إذ إضافة إلى آرائه في الموضوع كله، فإن تجربته مع مارغريت تكفي تماماً لإثارة كراهيته أي فكرة أن أي إنسان لديه حاجات خاصة في أي وقت من الأوقات، ما عدا الحاجات التي يمكن إشباعها بوشم على المؤخرة. ثم أدرك أن كريستين لا بد أنها تقتبس أفكارها هذه، وربما دون وعي، من صديقها أو من كتاب أعاره إياها صديقها الذي يستحق الآن أن يهاجم دكسن رغبته في تصنيف نفسه في عداد الأطفال والعصابيين والمرضى ما دام أنه يخصص حاجاته بهذا الشكل. قطب دكسن، إذ كانت كريستين حتى وقت قريب تتحدث وتتصرف على نحو معقول حتى إنه يصعب عليه أن يصدق أنها هي نفسها الفتاة التي ضايقته في بيت ولس في عطلة نهاية الأسبوع الفنية. وبدا غريباً مدى الأثر الذي تستطيع المرأة أن تكتسبه من صديقها أو من الرجل الذي يرافقها لحظة معينة من الزمن. ولا يصبح الأمر سيئاً إلا عندما يكون ذلك الرجل سيئاً أيضاً، ويصبح جيداً عندما يكون الرجل جيداً. وينبغي أن يصبح في مستطاع الرجل المناسب أن يوقف المرأة عند حدّها أو على الأقل أن يمنعها من أن تكون ثرثارة لا تتفوّه إلا بالتفاهات تفوهاً مهذباً أعتقد أنه هو الرجل المناسب لأداء تلك المهمة؟

قالت كريستين:

- جيم.

انتبه دكسن عندما نادته باسمه الأول وقال بحذر:

- نعم.

ثم تحرك في مقعده قليلاً.

- كنت مهذباً جداً معي في هذه الليلة إذ جعلتني أتحدث عن نفسي. ويبدو أن ذهنك يركّز في الطريق الصحيح. أتمنع إذا طلبت منك النصيحة بشأن موضوع ما؟

- كلا، أبداً.

- لكن ينبغي أن تدرك أيضاً أنني أسألك هذا السؤال لأنني أريد أن أسمع نصيحتك لا لسبب آخر.

وبعد صمت قصير أضافت:

- هل فهمت ذلك؟

- نعم.

- حسناً، بناء على ملاحظتك أعتقد أن زوجي بيرتراند أمر حسن؟

شعر دكسن بقليل من الامتعاض ولم يجد له تفسيراً وقال:

- ألا يعتمد ذلك عليك أنت نفسك؟

- إنه يعتمد عليّ فعلاً لأنني أنا التي سأتزوجه أولاً. أريد معرفة رأيك

ولا أطلب أن يخبرني أحد بما يجب أن افعل. والآن ما رأيك؟

من الواضح أن هذه هي اللحظة المناسبة لتوجيه دكسن قذائفه

المركزة في حربه على برتراند، إلا أنه وجد نفسه متردداً في إطلاق النار،

إذ إن الإدانة المعقولة للعدو ومن ثم العرض القصير لحديثه مؤخراً مع

كارول من شأنهما إحراز كامل النصر في هذه المرحلة وإحداث أفدح

الخسائر. غير أنه شعر بعدم رغبته في تحقيق ذلك وفق هذا الأسلوب،

فقال ببطء:

- لا أعتقد أنني أعرف أيًا منكما معرفة كافية.

- آه، بحقك أيها الرجل.

فكر دكسن فيما إذا كانت هذه العبارة قد اقتبستها من عمها. وهنا

أضافت كريستين:

- «إنني لا أسألك أن تعدّ أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه». ثم قرصت ذراعه بقوة تماماً مثلما فعلت كارول، وجعلته يصيح. ثم كررت سؤالها:

- ما رأيك؟

- حسناً... لا بد لي من أن أقول رأيي، كما تعلمين.

- نعم، نعم حقاً هذا هو مطلبي. أليس كذلك؟ هيا قل لي!

- حسناً، رأيي هو ألاّ تتزوجه.

- أدرك ذلك. لكن ما هو السبب؟

- لأنني أحبك ولا أحبه.

- هل هذا كل ما في الأمر؟

- ذلك يكفي تماماً ويعني أن كلاً منكما ينتمي إلى الطبقتين العظميين

من البشر الذين أحب بعضهم وأكره بعضهم الآخر.

- يبدو لي ذلك غير مقنع إلى حدّ ما.

- لا بأس إذاً، إذا أردت بعض الأسباب فتذكّري أنها أسبابي الشخصية

على الرغم من أن ذلك لا يعني أنها قد لا تكون أسبابك أيضاً. إن برتراند

يعت على السأم وهو يشبه والده، لا يثير اهتمامه إلاّ شخصه. وإذا ذكرت

أي موضوع أمامه فلا يستطيع أن يفعل أي شيء سوى تجاهلك. نعم، لا

يستطيع غير ذلك. أتفهميني؟ المسألة ليست أنه في المركز الأول وأنت

في المركز الثاني، بل إنه نسيج وحده. يا إلهي، عندما قلت إنه يلقي دائماً

باللوم والذنب عليك ببدء الخصام أدركت تفكيره. لا أدري لماذا تريدان

من شخص آخر أن يقول ذلك نيابة عنك.

لم تقل كريستين شيئاً فقرة وجيزة. ثم قالت بعد قليل بلهجتها

الانتقادية:

- حتى لو كان ذلك صحيحاً، فإنه يجب ألا يحول دون زواجي به.
- نعم، أعرف أن النساء جميعاً يرغبن في الزواج برجال لا يشعرون
نحوهم بحب كبير. لكنني أقول لماذا لا يتعين عليك الزواج به، فالأمر
ليس إذا ما كنت راغبة أو عازمة أو لا. أعتقد أنه حالما تبدأ بالزوال الأشياء
التي يفترض بها الزوال، فإن الوقت سيكون عصيباً جداً. لن تستطيع الثقة
بالرجل تماماً... أعني أنه سيخلق دوماً المشاكل وأنت تقولين إنك لا
تحبين المشاكل والمشاجرات. أتحبينه؟

فقلت كأنها توبّخ تاجراً بديتاً:

- إنني لا أعلق أهمية كبيرة على هذه الكلمة.

- لمَ لا؟

- لأنني لا أعرف معناها.

فقال دكسن بهدوء:

- أوه، لا تقولني ذلك. كلا، لا تقولني ذلك. إنها كلمة لا بد أن
صادفتك كثيراً في الأحاديث والأدب.. أتريدين أن تقولني إنها تجعلك
دوماً تلوذين بالمعجم بحثاً عن معناها؟ لا، أعتقد أنك تقصدين أن المسألة
خاصة جداً، آسف لا بد لي من تصحيح العبارة، ذاتية جداً.

- حسناً، إنها كذلك صحيح؟

- نعم، صحيح. أنت تتحدثين كأنها الشيء الوحيد. إذا ما استطعت
أن تخبريني أتحبين الخوخ الأخضر أم لا، فإنك تستطيعين أن تخبريني إذا
كنت تحبين برتراند أو لا، هذا إذا أردت أن تخبريني.

- أنت لا تزال تبسّط الأمور كثيراً. كل ما أستطيع قوله إنني كنت
واثقة بحبي لبرتراند قبل وقت قصير، أما الآن فنقتي أقل. إن التقلبات التي
تحصل بين اثنين لا تحصل في الخوخ. هذا هو الفارق.

- اتفقنا، ليس الخوخ. ما رأيك بنبات الراوند؟ منذ أن توقفت أُمي

عن إرغامي على أكله ظلت العلاقة بيني وبين هذا النبات بين مد وجذر،
بين الحب والكراهية منذ التقينا.

- حسناً جداً يا جيم. مشكلة الحب أنه يجعلك في حالة لا تستطيع
معها أن تنظر إلى مشاعرك بمعزل عن العواطف.

- شيء جميل إذا استطعت أن تفعل ذلك. أليس كذلك؟
- لماذا؟

وهنا قال دكسن بهدوء مرة أخرى:

- لا يزال أمامك طريق طويل على الرغم من أنك لطيفة.

على أي حال، في وسعك التعبير عن مشاعرك بتجرد، إذا أردت
ذلك. لكن ذلك لا علاقة له باتخاذ قرار إذا ما كنت عاشقة أو لا. إن اتخاذ
القرار بهذا الشأن ليس أكثر صعوبة من موضوع الخوخ. أما الشيء الصعب
فهو اتخاذ القرار بما ستفعلينه وأنت عاشقة، وهل تتمسكين بالشخص الذي
تحبين حتى إنك تتزوجين به في النهاية.

- لماذا؟ هذا ما قلته تماماً لكن بأسلوب آخر.

- إن الأسلوب يغيّر الأشياء. كما أن المسألة مختلفة كلها تماماً.
الناس يثورون ويغضبون ولا يدرون هل هم يعيشون قصة حب أو لا ولا
يستطيعون استنباط ذلك. يحدث هذا كل يوم. ينبغي لهم أن يدركوا أن
جانب الحب سهل جداً. أما الجانب الصعب فيتمثل بكيفية استنباط الأمر
والتفكير في الخطوة اللاحقة، والفارق هو أن في وسعهم جعل عقولهم
تدور في ذلك بدلاً من النظر إلى كلمة الحب بوصفها علامة تدل على
وجوب غلق عقولهم. وهم يستطيعون الوصول إلى نتيجة ما بدلاً من
الانغماس في نوع من الفوضى العاطفية قوامها الأسئلة الذاتية: كيف
تعرف أنك في حالة حب؟ وعلى أي حال ما هو الحب؟ بينما لا يسأل
المرء نفسه: ما هو الخوخ؟ أو كيف يعرف أهو يحبه أم لا؟ صحيح؟

لو استثنينا محاضرات دكسن الصيفية، فإن هذه المحاضرة تعدّ أطول محاضرة يلقيها منذ سنوات، وإذا لم نستثنِ محاضراته الصيفية فإنها أكثر محاضراته طلاقة. كيف استطاع أن يحقّق ذلك؟ الشراب؟ لا، فهو صاح تماماً. الإثارة الجنسية؟ لا، أبداً. ولما راوده هذا الشعور خلد إلى الصمت المطبق. لكن كيف؟ الأمر غامض. غير أنه شعر براحة تامة حتى إنه لم يزعج نفسه بالعثور على إجابة عن أسئلته. ثم ألقى نظرة كسلى على الطريق الممتد أمامه الذي يمر سريعاً تحت عجلات السيارة. كانت الشجرات الممتدة على شكل مسياج طويل قد أصبحت ذات لون فاقع بفعل أضواء السيارة المسلطة عليها وكانت تمر سريعاً فتتخفّف تارة وترتفع أخرى. وكان جو السيارة وعزلته عن الخارج يضيفان لمسة طبيعية مريحة.

تحركت كريستين قليلاً في جلستها، وهي أول حركة تصدر عنها منذ أن بدأت رحلتها، فنظر إليها دكسن ولاحظ أنها مالت قليلاً إلى الأمام وشرعت تنظر من خلال النافذة. وقالت بصوت مكتوم:

- وينطبق الشيء نفسه على عدم الشعور بالحب إزاء الخوخ.

- ماذا؟ نعم، أظن ذلك.

ثم سمعها تتأب وتقول:

- أين وصلنا الآن؟

- قطعنا أكثر من نصف المسافة كما أظن.

- أشعر بنعاس شديد. الأمر ميؤوس منه ولا أريد ذلك.

- دخني سيجارة وسوف تنعشك.

- لا أريد، شكراً لك. أسمح لي بأن أعفو قليلاً؟ سوف يريحني

ذلك.

- بلا شك.

بينما ضمت كريستين نفسها طلباً للدفع، حارب دكسن خيبته لهذا

الأسلوب الذي ابتكرته للتخلص من رفقته. شعر أنه أحرز تقدماً جيداً وكانت سياسته المعتادة في عدم الحديث فترة طويلة سياسة مفيدة على أي حال.

في هذه الأثناء وضعت كريستين رأسها فوق كتفه فتنبتهت أحاسيسه كلها. قالت:

- أسمح لي؟ إن ظهر المقعد يشبه قطعة من الحديد.

فقال:

- نعم.

ثم وضع ذراعه تحت كتفيها وأخذت تحرك رأسها يميناً وشمالاً حتى استقرت أخيراً وبدت نائمة.

خفق قلب دكسن قليلاً. فهو يملك الآن الدليل كله على أنها موجودة معه، ويستطيع أن يشعر بحرارة أنفاسها وصدغها إزاء فكه وكتفها المسترخية فوق ذراعه. أما شعرها فكانت رائحته تشي بأنها أحسنت تسريحه، وكان في ميسوره أن يشعر بحضور جسدها، لكن مما يؤسف له أن هذا الحضور يجري في غياب عقلها. وفكر في أنها فعلت هذا لتناور في إثارة رغبته دون أي هدف عدا إشباع زهوها. ثم رفض فكرة مألوفة ومثيرة للاشمئزاز وهي أنها كانت واثقة جداً منه، وأنها كانت مرهقة تماماً. هذا كل ما هناك... مالت سيارة الأجرة وهي تنعطف قليلاً، وحاول دكسن أن يثبت نفسه في مقعده مع كريستين مستعيناً بضغط قدمه بقوة فوق أرضية السيارة. كانت كريستين لا تزال نائمة.

أخرج دكسن بحذر وبقليل من الانحناء علبة سجائره، وأشعل سيجارة وشعر بالأمان أكثر من أي وقت مضى. ها هو الآن في هذا المكان وفي وسعه أن يؤدّي دوره، كما هو شأنه في بقية الأدوار، إذ كلما طالت فترة تنفيذ الدور، ازدادت فرصة تأديته مرة أخرى. إن قيام المرء بما يريد

فعمله هو التمرين الوحيد والمبدأ الوحيد الضروري للقيام بأشياء أخرى يرغب فيها. وفي المرة القادمة التي سيلتقي فيها أتكسنن سيتحدث إليه فترة أطول. وسيحصل أيضاً على بعض المعلومات من كيتن عن مقاله. ثم اقترب بحذر شديد من كريستين.

في هذه الأثناء دفع السائق الزجاج الذي يفصله عنهما قليلاً وطلب بتواضع مزيداً من المعلومات، فقَدَّمها له دكسنن حالاً، وأخيراً توقفت السيارة عند نهاية طريق يؤدِّي إلى منزل ولش، فاستيقظت كريستين من نومها وقالت:

- هل تأتي معي؟ إنني أتمنى ذلك لأنني لا أعرف كيف سأدخل، كما أن خادمة البيت لا تقيم هنا.

فقال دكسنن:

- سأتي معك حقاً.

حاسب السائق رافضاً المناقشة في الدفع حتى يعود لينقله إلى غرفته وانطلق في الظلام بينما تشبثت كريستين بذراعه كأنها سارية علم.

قال دكسن لكريستين وهما يقفان أمام البيت المظلم:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نبحث عن نافذة أولاً، فنحن لا نريد استعمال الجرس، إذ ربما عاد قبلنا السيد ولش وزوجته، لأنني لا أظن أنهما يريدان السهر طويلاً خارج المنزل.

- ألا ينبغي لهما انتظار برتراند والعودة في سيارته؟

- ربما رجعا في سيارة أجرة. على أي حال، لن أستعمل الجرس.

اتجها بحذر صوب الفناء الممتد شمالي المبنى، وفي طريقهما اصطدم دكسن بشيء ما وآلمه عند قسبة الساق مما جعله يسبّ ويعلن بصوت خفيض، بينما ضحكت كريستين ضحكة مكتومة كأنها وضعت يدها فوق فمها. واستطاع دكسن أن يتبين باللمس أولاً، ويتعود عينيه على الظلام ثانياً أنه تعثر بحفنية ماء محفوظة داخل علبة خشبية مكسورة بفعل ضربة ما ربما كانت من عمل سائق سيارة طائش. وقال مخاطباً كريستين:

- ذاك يفني بالغرض ويبدو مثل النافذة. هيا نحاول الدخول من هناك.

سار دكسن في المقدمة على رؤوس أصابعه ووجد أن النافذة لم تكن مغلقة، وتردد في البداية قبل دخول الغرفة، ربما كان أفراد الأسرة الكبار في البيت الآن. وتصور الهلع الذي سيظهر على وجه ولش وأبعاد تكشيرته والمدة الطويلة التي سيظل فيها مقطباً عندما يلاحظ دخوله ومعه كريستين بهذه الطريقة في لجة الظلام.

- هل الشباك مفتوح؟

سألته كريستين وهي تقف إلى جواره، وشعر دكسن أن صوتها يشبه

ذلك الصوت الذي سمعه عندما تحدثت إليه في أثناء المكالمة الهاتفية.
قال:

- نعم، يبدو أنه مفتوح.
- حسناً، لِمَ لا تدخل إذاً؟
- لا بأس، سأدخل.

جذب دكسن النافذة برفق ودخل من خلال الستارة المتدلّية إلى أرضية الغرفة، كانت الستائر جميعها مسدلة مما جعل الغرفة تبدو أشبه بخزان محكم الغلق. تحرّك إلى الأمام ببطء بعد أن بسط ذراعيه، لكنه شعر فجأة أن قطعة من الأثاث سدّت إليه الضربة الثانية. سادت لحظة مريبة عندما صدرت عن دكسن وكريستين ردة فعل تشبه ما حدث قبل دخولهما. ثم تحسّست يدها الطريق باللمس على جدارين حتى وجد مفتاح الإنارة. قال:

- سأضيء المصباح. حسناً؟
- نعم.
- حسناً.

ضغط على الزر الكهربائي واتجه غريزياً بعيداً عنه بينما غطى النور الغرفة من حولهما. كانت حركته هذه قد جعلته قريباً جداً من كريستين، فنظر كل منهما إلى الآخر وابتسم. كان وجههما في مستوى واحد، ثم غابت الابتسامة عن وجهها وحلّت محلها نظرة تنمّ عن القلق. تقلصت عيناها وتحرك فمها قليلاً وبدا كأنها توشك أن ترفع ذراعها أيضاً. تقدّم دكسن خطوة إلى الأمام فملأ الفراغ الذي كان يفصل أحدهما عن الآخر وطوقها بذراعه ببطء شديد كأنه يريد أن يفسح لها المجال الكافي للتراجع إلى الخلف إذا شاءت. ولما أطبق ذراعه حولها تماماً كانت تأخذ نفساً قوياً، وفي هذه الأثناء التقطت أنفاسها، قبلها دون أن يقربها كثيراً منه،

وشعر بجفاف شفيتها وصلابتهما بدلاً من نعومتها، بينما شعرت هي بالدفء. وأخيراً تراجعت قليلاً إلى الوراء وبدت شخصاً غير محتمل في النور الساطع، كما في مؤثرات خدعة تصويرية. وشعر دكسن كأنه يركض وراء حافلة. وفي حين كاد أن يصعد إليها صدمته سيارة أخرى. ولم يستطيع إلا أن يقول بحيوية زاوية:

- حسناً، هذا لذيذ جداً.

- نعم، أليس كذلك؟

- يستحق عناء العودة بعد الرقص.

فقالت وهي تتنحى جانباً:

- نعم، أوه انظر إليّ، إننا محظوظان وإني مندهشة من الذي فكّر في

هذا؟

كانت الغرفة تحتوي على منضدة وفوقها صينية فيها فناجين وإبريق وبعض البسكويت. وبعد أن كان دكسن يشعر بالاضطراب والترنح، وجد نفسه متعشاً لرؤيته هذا المشهد أمامه. فذلك يعني أنه لن يغادر الغرفة قبل مرور ربع ساعة على الأقل. وقال:

- أقدر ذلك بارتياح بالغ.

وبعد فترة وجيزة كان الاثنان يجلسان جنباً إلى جنب في أحد

المقاعد، قالت كريستين:

- أعتقد أنه من الأفضل أن تشرب من فنجانني. إننا لا نريد أن

يكشف أحد وجودك هنا.

ثم سكتت قليلاً من القهوة في أحد الفناجين، وبعد أن شربت منه

قليلاً ناولته لدكسن.

شعر دكسن أن هذه المودة ترمز إلى ذلك المساء بل تتوجه وتذكّر

بحكمة إغريقية أو لاتينية تقول إنه ليس في استطاع أحد إلغاء الحقيقة

التاريخية. وفرح لأن هذا الشيء لا بد أنه ينطبق على حدّ سواء على الحقيقة التاريخية المتمثلة بشربه القهوة من فنجان كريستين. وعندما ناولها البسكويت اكتفت بقطعتين، وتذكّر أن مارغريت لا تأكل بتاتاً أي شيء في مثل هذه المناسبات، كأنما تريد بذلك تأكيد فرديتها. كما أنها كانت دوماً تشرب القهوة بلا حليب. لماذا؟ إنها لا تحاول أن تظل يقظة طوال الوقت، أليس كذلك؟ ومما يبعث على الارتياح أنه يستطيع التفكير فيها دون خوف. وقطع على نفسه نصف عهد بأن يرسل هدية إلى غور أورغوهارت ثمناً لإشغاله طوعاً مارغريت في أثناء حفلة الرقص. إلا أنه تخلى عن هذه الأفكار الغريبة وأدرك أن أصولها ترجع إلى رغبته في الهروب من الفكرة التي تفيد أنه ينبغي له الاستمرار في علاقته بكريستين، وتأكيد فائدة وجوده معها إذا أراد الاحتفاظ بما حصل عليه توأماً. شعر أن جلوسهما معاً بهذه الصورة يضفي هدوءاً عائلياً، غير أن قلبه كان يخفق على نحو لا يبعث على الارتياح. بيد أنه على الرغم من كل ذلك، شعر بأمل لا حدود له: إنه لا يملك خريطة لهذه الحياة، لكن التجربة أثبتت أن أولئك الذين لا يملكون الخرائط، هو الذين يغوصون إلى أبعاد الأعماق. قال:

- إنني مغرم بك كثيراً.

- وكيف ذلك؟ إنك تكاد لا تعرفني.

شعر دكسن أن مسحة من السلوك الرسمي تشوب إجابتها. قال:

- إنني أعرف ما يكفي كي أكون واثقاً بكلامي، شكراً لك.

- يسعدني جداً أن أسمع ذلك منك، لكن المشكلة أنه لا يوجد شيء

آخر تريد معرفته أكثر مما عرفت توأماً، إنني من الأشخاص الذين سرعان ما تعرف عنهم كل شيء.

- لا أصدقك. لو كان الأمر كذلك، فإنني لن أهتم. هناك أشياء كثيرة

تكفي لدفعي في الاتجاه الذي سرت فيه حتى الآن.

- أحذرك من أن عاقبة الأمور لن تكون في مصلحتك.

- ولم لا؟

- بدءاً، أنا لا أستطيع أن أنسجم والرجال.

- كلام فارغ يا كريستين، لا تحاولي نسج قصة ذات طابع سيئ لي.

في وسع فتاة مثلك الحصول على أي رجل ترغب فيه.

- إن الرجال الذين يرغبون في لا يمكنون طويلاً معي، كما أخبرتك.

يضاف إلى ذلك أنه ليس من السهل العثور على الرجل الذي أرغب فيه.

- أوه، لا تقولي هذا. هناك العشرات من الرجال المتفهمين حولك،

حتى إنني أستطيع أن أسمي بعضاً منهم في غرفة الاستراحة. حسناً، واحد

اثنان. حسناً، على أي حال...

- هناك أنت الآن، كما ترى.

- لتترك هذا جانباً. أخبريني، إلى متى ستمكثين هنا هذه المرة؟

- بضعة أيام وهي جزء من عطلتي.

- عظيم، متى تستطيعين الخروج معي؟

- أوه، لا تكن غيباً يا جيم، كيف أستطيع الخروج معك؟

- ليست هناك أي مشكلة يا كريستين، تستطيعين أن تعلمي أنك

ستخرجين بصحبة عمك، وأعتقد أنه سيؤيد موقفك.

- كفّ عن هذا. لا فائدة، فكلانا مرتبط بشخص آخر.

- في وسعنا أن نبدأ القلق، إذا لم يكن هناك بد، عندما نكون قد

التقينا مرات أخرى.

- أتدرك ما تريده مني؟ إنني ضيفة في هذا المكان. لقد طلب مني

برتراند الحضور وأنا... مرتبطة به. ألا ترى، سيكون ذلك شائناً؟

- لا، لأنني لا أحب برتراند.

- لا فرق في الأمر.

- بل هناك فرق، فأنا لا أقول: «من بعدك أيها الولد الكبير» لأشخاص من مثله.

- حسناً، وماذا بشأن مارغريت؟

- أنت على حق في هذه المسألة يا كريستين، لا شك في ذلك. لكنها لا تملك أي دوافع حقيقية تجاهي، كما تعلمين.
- حقاً؟ تبدو كأن لديها دوافع.

عندما تردّد دكسن، كان يعي الصمت المطبق من حولهما. استدار في جلسته حتى أصبح في مواجهتها وقال بلهجة أقل خشونة:
- انظري إليّ يا كريستين! فكّري في الأمور بهذه الطريقة، هل تريد الخروج معي؟ انسي موضوع برتراند ومارغريت فترة وجيزة.
فقالت بسرعة:

- أنت تعرف أنني أحب الخروج معك. لماذا تعتقد أنني سمحت لك بمرافقتي بعد الحفلة؟
- إذا فأنت...

نظر إليها دكسن، فبادلته النظرات بعد أن رفعت ذقنها قليلاً وقربت فمها. فطوّق كفيها بذراعه ومال نحو رأسها الجميل ذي الشعر الأشقر وتبادلا القبلات بشوق أشد مما مضى. وشعر دكسن كأن شيئاً يجذبه إليها إلى أعماق سحيفة مظلمة لا يستطيع التنفس فيها بسهولة. أما جسدها المتكئ عليه فقد كان متوتراً. وعلى الرغم من أن فمها كان لا يزال على فمه، فإنها باتت سلبية، ففهم الأمر وحرك يده صوب كتفها العارية، فابتسمت له ابتسامة جعلت رأسه يدور أكثر مما دار بسبب القبلة. ولما أحجم عن الكلام قالت:

- حسناً، لا بأس لكنني ما زلت أعتقد أنها لعبة قلرة، ما رأيك؟
شعر دكسن بأنه أشبه برجل يقاطع في أثناء حفل تقليده وسام

الاستحقاق كي يخبروه بأن شيكاً بمبلغ يحمل ستة أصفار فاز به في
يانصيب كرة القدم يتظره في الصالة، قال:

- هناك فندق رائع في المدينة، نستطيع أن نتناول فيه الطعام.

- لا، أعتقد أنه من الأفضل عدم ترتيب أي شيء له صلة بالمساء إن

لم يكن لديك أي مانع.

- ولمَ لا؟

- أعتقد أن ذلك أفضل في الوقت الحاضر، إذ من شأننا أن نبدأ

الشرب و...

- هل هناك أي مشكلة بشأن الشرب.

- لا، لكنني أرجو ألا نذهب لنشرب معاً في الوقت الراهن.

- حسناً، إذاً ما رأيك بتناول الشاي؟

- نعم، لا بأس بتناول الشاي. متى؟

- هل يناسبك يوم الاثنين القادم؟

- لا أستطيع الحضور يوم الاثنين، فقد دعا برتراند بعض الأشخاص

ويريد مني أن ألتقي وإياهم، ما رأيك في يوم الثلاثاء؟

- رائع في تمام الساعة الرابعة مساء.

ثم شرح لها موقع الفندق الذي سيلتقيان فيه، ولم يكذب يفرغ من

كلامه حتى سمع صوت سيارة تقترب شيئاً فشيئاً. فهمس:

- يا إلهي! لقد وصلوا.

- ماذا ستفعل؟

- سأنتظر حتى يدخلوا من الباب الأمامي، عندئذ سأخرج من النافذة،

وأرجو أن تغلقها بعد خروجي.

- حسناً.

في هذه الأثناء، تحركت السيارة على امتداد واجهة المنزل. فسألها
دكسن:

- هل فهمت أين سنلتقي؟

- لا تقلق، سأكون هناك في الساعة الرابعة.

اتجهها صوب النافذة ووقفا عندها ثم تعانقا. بينما تلاشى صوت
محرك السيارة بعد زعيق قوي، كما تلاشى أيضاً صوت وقع الأقدام. قال:

- شكراً لهذه الأمسية اللطيفة يا كريستين.

- طابت ليلتك يا جيم.

ثم ضغطت جسدها نحوه وتبادلا القبلات فترة وجيزة لكنها تراجعت
قليلاً وقالت:

- انتظر لحظة.

واندفعت نحو حقيبتها التي تركتها فوق الكرسي.

- ما هذا؟

- عادت كريستين وناولته ورقة نقدية من فئة الجنيه وقالت:

- هذه أجرة السيارة.

- لا تكوني سخيفة... إنني...

- هيا لا تناقش. سيصل الجميع في أي لحظة، لا بد أن ذلك كلفك
ثمناً باهظاً.

- لكن...

دفعت كريستين ورقة النقد إلى جيب سترته الخارجي العلوي وقطبت
جبينها وزمت شفيتها وأشارت له بالصمت بحركة ذكرته بعمرته وهي تضطره
إلى أخذ قطعة من الحلوى أو تفاحة عندما كان طفلاً. وقالت:

- ربما أملك أكثر مما تملك.

ثم دفعته نحو النافذة التي وصلها في الوقت ذاته الذي تنهى فيه

إلى سمعها صوت ولش القوي النبرات والعالي الجرس. فقالت له:

- أسرع! إلى اللقاء يوم الثلاثاء القادم. طابت ليلتك.

أخذ دكسن يعدو بعيداً عن المنزل ورآها وهي تقذف إليه قبلة في
الظلام قبل أن تغلق النافذة وتسدل الستارة. كانت السماء قد أصبحت
صافية قليلاً واستطاع أن يرى طريقه في الضوء القليل. اتجه إلى الطريق
وهو يشعر بتعب لم يشعر بمثله من قبل طوال حياته.

* * *

كتب دكسن بقلم الرصاص الذي أمسك به وكأنه سكين يستعمل للخبز.

«عزيزي السيد جونز...»

أكتب إليك هذه الرسالة كي أخبرك بأنني على علم تام بخطتك إزاء الفتاة الشابة مارلين رچاردز، تلك الفتاة المهذبة والمحترمة التي لا تملك وقتاً تضيّعه مع أمثالك، وأنا أعرف أمثالك. إنها فتاة محترمة ولن أسمح لك بملء رأسها بالفن والموسيقى. وهي فتاة طيبة وسوف أتزوجها، وهو عمل لا تستطيع أن تقدم عليه أنت البتة. لهذا أحذرك طالباً الابتعاد عنها. إن هذه الرسالة الموجهة إليك إنما هي رسالة صداقة، ولا أقصد بها تهديدك. كل ما أريد هو أن تفعل ما قلته لك وإلا سنقطع أنا وبعض الأصدقاء عليك الطريق، وليس لكي تقول لك هل تراهن؟ لهذا انتبه لنفسك جيداً واترك الشابة مارلين إذا أردت مصلحتك.

صديقك: جو هيغنز»

قرأ دكسن الرسالة مرة أخرى، وأعجب بأسلوبها المتقن المأخوذ أساساً من مقالات بعض طلابه من ذوي الخبرة القليلة. وهو يكاد لا يأمل به خداع جونز فترة طويلة، ولا سيما أن جونز لم يفعل شيئاً مع مارلين رچاردز الموظفة التي تعمل على الآلة الكاتبة في مكتبه أكثر من إلقاء نظرة شاحبة عليها. بيد أن الرسالة ستؤمن له ولزملائه دقائق كثيرة من المتعة عندما يفتحها جونز كالمعتاد وهو جالس إلى مائدة طعام الإفطار ويقرأها في أثناء تناول رقائق الذرة. وكتب دكسن على ظرف رخيص الثمن: «إلى

السيد جونز»، ودون العنوان وختم الرسالة بعد أن وضعها داخل مظروف، ثم لطح إصبعه بالأرض ودفغ الرسالة به وألصق الطابع ولوّثه باللعبابي كي تبدو الرسالة حقيقية، وقرّر أن يرسلها بالبريد عندما يذهب إلى البار في فترة الغداء. إلا أنه يتعيّن عليه كتابة بعض الملاحظات عن المحاضرة التي سيلقيها قبل ذلك. ولا بد أن يراجع قبل ذلك أيضاً ميزانيته كي يتبيّن إذا ما كان في وسعه تجنب كارثة محدقة به، وعليه أيضاً أن يفكر لديقتين لا أكثر في خاتمة حفلة الصيف اللامعقولة ليلة أمس، وفي كريستين.

وجد دكسن نفسه غير قادر على التفكير على نحو صحيح، بل يكاد لا يتذكر ما قاله كل واحد منهما للآخر في منزل ولش. وعجز أيضاً عن تذكر طعم قبلاته لها أو تمتعه بها. وهو سعيد منذ الآن بعصر يوم الثلاثاء القادم حتى إنه نهض وأخذ يسير في غرفته. إن الشيء العظيم هو إقناع نفسه تماماً بأنها لن تحضر، وعندئذ سيصبح كل حدث آخر شيئاً إضافياً. والمشكلة هي أنه يستطيع أن يتخيّل كيف ستبدو عند دخولها صالة الفندق في طريقها إليه. ثم وجد أن في وسعه تخيل وجهها بوضوح. ونظر بلا اكتراث صوب حديقة البيت الخلفية التي تغمرها أشعة الشمس الساطعة. وأدرك أن وجهها من شأنه أن يوحي بأشياء كثيرة بفعل ملامح الفراسة، لو لم يختف وراء ذلك الإطار البارد. هناك بعض الوجوه التي لا تشبه وجهها إطلاقاً، فهناك الابتسامة العريضة التي تشبه ابتسامة لاعب الأكروباتيك أو الفتاة الشريكة في رقصة اعتيادية؛ وهناك وجه المومس الراقية المتألق تحت أشعة الشمس وقد صوّرت وهي تمخر العباب في زورق بخاري على شواطئ الريفيرا؛ وهناك النظرة المتجهمة التي تتسم بها فتيات الملصقات الإعلانية: عبوس فتاة صغيرة غير لطيفة. على أي حال، هذه الوجوه جميعها نسائية. سعل دكسن بصوت عالٍ عندما تذكر أن مارغريت ذكرته أكثر من مرة، وجهاً لوجه، بشخص لكتته غير مفهومة ويضع النظارة

على عينيه ووجهه مألوف لديه منذ أيام الخدمة في القوة الجوية الملكية ولم يفعل أي شيء سوى مسح أنفه بكمّيه.

فتح دكسن الخزانة التي تحتوي على أدوات التدخين وملحقاتها، ومنها نصب غالية الثمن، محاولاً إبعاد هذه الفكرة عن ذهنه، وبقدر ما استطاع أن يتذكر، لم يكن في وسعه أبداً التدخين بالقدر الذي كان يريد. لقد جمع هذه الذخيرة كلما رأى بعضاً منها: علبة حفظ تبغ السجائر الرخيص والغليون المصنوع من خشب الكرز، العلبة الحمراء التي تحتوي على ورق السجائر، علبة أدوات تنظيف الغليون، العلبة المستهلكة التي تحتوي على التبغ الرخيص الذي يستعمله للغليون، العلبة التي تضم رؤوس تنظيف قطنية وصوفية وأداة السجائر المعدنية، والغليون المصنوع من الفخار، والغليون المصنوع من جذور الشجر، والعلبة الزرقاء التي تضم ورق السجائر، والعلبة التي تحتوي خليطاً نباتياً يستعمل في التدخين (وهو خليط خالٍ من النيكوتين أو غيره من المواد الضارة) والعلبة الصدئة التي تحتوي على تبغ جيد يستعمل في الغليون، والعلبة التي تضم أدوات تنظيف الغليون. تناول دكسن سيجارة من العلبة الموجودة في جيبه وأشعلها. وعثر فوق أرضية الخزانة على زجاجات الشراب الفارغة التي تعدّ طريقته الوحيدة والأكيدة في تأمين النقود. كانت هناك تسع زجاجات، إلا أن اثنتين منها تعودان إلى مشرب بعيد جداً ابتاعهما منه من قبل كي يشربهما في الحافلة عند عودته من تناول الطعام في جمعية توبييني في شهر شباط. وكان يأمل أن تساعد تلك الزجاجات على إزالة حديث مارغريت المؤذي والمحرج في أثناء تناول الطعام، إلا أنها بجلوسها إلى جواره في طريق العودة، حالت دون شربه ذلك الشراب على أسس مبدئية، إذ كانت الحافلة تحتشد بالطلاب ومعظمهم يحتسي الشراب. ارتعش دكسن لهذه الذكريات وحاول أن يبعدها عن ذهنه بجمع القيمة التبادلية

للزجاجات السبع الباقية، فلما وجد أن المبلغ أقل مما يتصور، قرّر عدم مراجعة وضعه المالي، وأوشك أن يأخذ الجنيه الذي أعطته إياه كريستين عندما سمع صوت طرق على الباب أعقبه دخول مارغريت وكانت ترتدي رداء أخضر اللون وتنتعل حذاء، يشبه المخمل.

- أهلاً يا مارغريت.

رحّب بها دكسن بشغف نابع - كما أدرك - من ضميره الذي يؤنّبه لكن، لماذا ضميره يؤنّب؟ لقد تركها بصحبة غور أورغوهارت في حفلة الرقص وكان ذلك تصرفاً لبقاً، أليس كذلك؟

ألقت عليه مارغريت نظرة توحى بأنها ليست واثقة بهذا الرجل الذي أغاظها أكثر من مرة:

- أوه، مرحباً بك.

فسألها دكسن وهو لا يزال يحتفظ بلهجته الودود.

- كيف حالك؟ تفضلي بالجلوس.

ثم دفع إلى الأمام مقعداً ضخماً يشبه في حجمه وطرازه المقاعد الموجودة في غرفة التدخين في بول مول، ثم أضاف:

- أترغبين في تدخين سيجارة؟

ثم أخرج علبة سجائره كي يظهر لها صدق نواياه. إلا أنها هزّت رأسها ببطء وهي لا تزال تنظر إليه كأنها طيبب يشير إلى عدم وجود أي أمل. كان وجهها شاحباً إلى حدّ ما ومنخرها متفخين، وظلت واقفة في مكانها دون أن تنبس بينت شفة.

فقال دكسن وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على فمه:

- حسناً، كيف حالك؟

هزّت رأسها ثانية ببطء أكثر، وجلست على ذراع الكرسي الذي صُرِّع بقوة، بينما قذف دكسن بتياب النوم فوق سريره. وجلس على كرسي صنع

مقعده من خشب الخيزران وولي النافذة ظهره. وأخيراً قالت مارغريت:

- أتكرهني يا جيمز؟

رغب دكسن في الاندفاع نحوها وقلبها إلى الوراء فوق الكرسي والصراخ بأعلى صوته في وجهها ودفع إحدى الخزرات في أنفها. وقال:

- ماذا تقصدين؟

احتاجت مارغريت إلى ربع ساعة لتوضيح قصدها. تحدثت بسرعة وطلاقة وهي تتحرك كثيراً في جلستها فوق الكرسي. كانت ساقاها تتحركان طوال الوقت إلى الأمام كأن شخصاً يضربهما بمطرقة فوق منطقة الركبتين، وكان رأسها يهتزّ لتسوية خصلات غير مرئية من شعرها بينما كان الإبهامان يستقيمان ويلتويان. لماذا تركها في حفلة الرقص بتلك الصورة؟ أو بالأحرى ما هو قصده من وراء ذلك ما دام كل واحد، بما في ذلك هو شخصياً وهي أيضاً، يعرف السبب؟ أخبرته مارغريت أن السيد ولش وزوجته وابنه يبحثون عنه وأن كريستين أشارت إليه إشارة غامضة عند تناول طعام الإفطار في هذا الصباح. ولم يُذكر غور أورغوهارت إلا من حيث هجومه على خشونة دكسن وتركه حلبة الرقص دون كلمة وداع. عرف دكسن استناداً إلى تجربته أن الهجوم المعتاد على مارغريت يعدّ خطأ، إلا أنه غضب غضباً شديداً جعله لم يعد يهتم بالأمر، ولما أدرك أنها لن تضيف شيئاً عن غور أورغوهارت قال وقلبه يخفق قليلاً:

- لا أرى أي سبب في إثارة كل هذه الزوبعة، كنت على ما يرام

عندما غادرت الحفلة.

- ماذا تقصدي؟

- كنت منشغلة بذلك الشخص غور أورغوهارت حتى إنه لم يكن

لديك الوقت للتحدث إليّ حتى بكلمة واحدة. إنني لم أمر بمثل ذلك

الموقف في حياتي...

وخذله صوته ولم يتمكن من استخلاص ما يريد الإشارة إليه.
فحملت إليه مارغريت وقالت:

- لكن لا يمكنك أن تعني...

- بل يمكنني جداً. في وسعي أن أعني...

- أنت لا تدرك ما تقول يا جيمز.

ثم قالت بهدوء وألم كأنها شخص أجنبي يقرأ في كتاب المعاني
والكلمات:

- إنني مندهشة حقاً، ولا أدري ما أقول في الواقع.

وبدأت ترتعش وهي تضيف:

- لقد تحدثت إلى الرجل بضع دقائق فحسب. هذا كل ما في الأمر.

والآن تتهمني بأنني كنت أتودّد إليه. هذا ما تقصده، أليس كذلك؟

فقال دكسن وهو يحاول أن يضيء مسحة من الغضب على صوته
لكنه بدا غريباً.

- نعم، هذا ما أقصده. لا فائدة من الإنكار.

- أعتقد حقاً أنني كنت أتودّد إليه؟

- حسناً، لا بد لك من الاعتراف بأن الأمر كان يبدو كذلك.

اقتربت مارغريت من دكسن فجفل، ونظرت من خلال النافذة. لكنه

لم يستطع رؤية وجهها دون أن يشرب إليه وجلس في مكانها على ذراع

المقعد وظلت هي واقفة دون حراك مما جعله يعتقد أنها نسيت أمره.

وفكر أن في وسعه التسلل بصمت إلى البار في غضون عدة ثوانٍ، لكنها

بدأت الحديث وقد ظهر عليها الهدوء التام:

- أخشى أن هناك أموراً كثيرة لا تفهمها يا جيمز ظننت أنك فهمتني

لكنك الآن... كما ترى، وعندما تتفوه بمثل هذه الأشياء فإنني لا أعترض

إن كان كلامك جارحاً لأنني أقدر مدى استيائك، مما حدث، وهو أقل

ما يمكن أن تفعله لأجلي، لهذا فإنني لا أعترض على انتقادك إياي. لكن الذي يجعلني أشعر بالتعاسة هو الفجوة الواسعة القائمة بيننا، مما يجعلني أقول لنفسي: «أوه، لا فائدة، إنه لا يعرفني البتة، ولم يعرفني فيما مضى أيضاً». هل فهمت؟

لم يظهر دكسن أي حركة على وجهه واستطاعت أن ترى مارغريت خياله في زجاج النافذة. قال:

- نعم.

- «إنني لا أريد أن أخوض في ذلك الموضوع لأنه تافه عديم الجدوى. لكنني أودّ أن أقول لك شيئاً». ثم أطلقت زفرة وأضافت:

- ألا تستطيع أن تميّز بين... كلا. أنت لا تستطيع. سأقول لك ما يأتي وفكّر إن كان الأمر سيرضيك أو لا؟

التفتت مارغريت صوبه وقالت بلهجة أقل هدوءاً من السابق:

- بعد مغادرتك ليلة أمس، لم أضيع لحظة واحدة مع غور أورغوهارت لأنه رافق كارول غولد سمث وقضيت بقية الوقت مع برتراند. شكراً جزيلاً لك.

ثم ارتفع صوتها وهي تضيف قائلة:

- وفي ميسورك أن تخمن أي نوع من...

فقاطعتها دكسن قبل أن يتسنى له الوقت للاستسلام:

- حسناً، إنه حظك السيئ.

وشعر بالنفور من كل ما جرى ومن اللعبة التي يمارسها تجاه مارغريت. وبعد أن عضّ شفتيه، أخذ قسماً على نفسه أنه سيرد على كل ما ستقوله مارغريت، وتذكّر ما قالته كارول بالأّ يلقى أي طوق نجاة إلى مارغريت. حسناً، لقد ألقى الطوق الأخير ولن يضيع المزيد من الوقت في محاولة تسوية الأمور معها، لأنه يدرك أن ذلك إضاعة للوقت أكثر من

إدراكه أن جهوده في المصالحة وصلت نهاية المطاف، على الرغم من أنه وصل مع مارغريت نهاية المطاف أيضاً. قال:

- انظري إليّ يا مارغريت. إنني لا أرغب في جرح مشاعرك دون سبب كما تعلمين، على الرغم من كل ما ذكرت. لكنني أرجو لأجلنا كلينا أن توضّحي بعض الأمور. إنني أعلم أنك مررت بفترة عصيبة مؤخراً وأنت تعلمين أنني على اطلاع بالأمر. لكنني لا أعتقد أن هناك أي فائدة إذا واصلت التفكير بالطريقة التي تفكرين فيها حالياً بشأني، إذ سيزداد الطين بلة. إن ما أريد قوله هو أن تمتنعي عن الاعتماد عليّ عاطفياً بهذا الشكل. إنني أنفق وإياك في أنني ربما أخطأت بشأن حفلة الرقص، إلا أن الصواب أو الخطأ لن يغيّر من الأمور شيئاً. سأظل رفيقك وأتحدث إليك وأشعر بالودّ تجاهك، لكنني لا أستطيع بعد الآن الاضطرار إلى اتخاذ موقف خاطئ. أرجو أن تفهمي الآن أنني فقدت كل اهتمام بك بوصفك امرأة أحبها أو أمارس الحب معها، ليس في وسعك الحديث بعد الآن، ستصغين إليّ هذه المرة. كما أوضحت لك، لقد انتهت علاقتنا الجنسية، هذا إذا كانت قد بدأت أصلاً. إنني لا ألوم أي شخص. أريد أن أقول لك ألا تفكري في هذا الموضوع أبداً. تلك هي طبيعة الأشياء، ولا أستطيع القول إنني آسف لأنك لا تستطيعين أن تقولي إنك آسفة على شيء لا حيلة لك فيه، كما أنه لا حيلة لي في الأمر. هذا كل ما هناك.

عندما أنهى دكسن حديثه، انفجرت مارغريت غاضبة وهي تقول:
- أعتقد أنها سترضى بك؟ سترضى بشخص ريفي تافه يثير السأم مثلك؟ أم تراها رضيت بك منذ الآن. ربما لا تريد منك سوى...
- لا تكوني حمقاء يا مارغريت، تخليّ عن مثل هذا التفكير ولو مرة واحدة.

ساد الصمت فترة قصيرة، ثم تقدّمت مارغريت إلى الأمام ووضعت

كلتا يديها فوق كتفيه وبدت كأنها توشك أن تنهار أو كأنها تجذبه إلى السرير. فسقطت نظارتها دون أن تتبه لذلك وصدر عنها أنين غريب متواصل كأنه قادم من المعدة. بدت كأن الغثيان انتابها مرات كثيرة وها هو ينتابها الآن مرة أخرى.

ساعدها دكسن قليلاً حتى أوصلها إلى السرير، وفي فترة وجيزة كانت تصدر عنها صرخات فزع قصيرة، بينما كان رأسها لا يزال مدفوناً في صدره. ولم يعرف دكسن أهي على وشك الإغماء أم أن نوبة هستيرية بدأت تنتابها، أم أنها انهارت ببساطة وأخذت تجهش بالبكاء. ومهما كان السبب، فإنه لم يعرف كيف يتصرف في مثل هذا الموقف. ولما شعرت مارغريت بأنها تجلس إلى جانبه فوق السرير ألفت بنفسها إلى الأمام حتى إن وجهها أصبح على فخذة. وفي لحظة شعر بشيء رطب يتسلل إلى جلده، فحاول أن يرفعها إلا أنها كانت ثقيلة جداً يصعب تحريكها. ارتعشت كتفاها بقوة أكبر مما يتصور دكسن ثم رفعت جسدها قليلاً وكانت متوترة ولا تزال ترتعش وانفجرت في سلسلة من الصرخات العالية التي رافقتها آهات عميقة. كان شعرها يغطي عينيها بينما تقلصت شفتاها واصطكت أسنانها وتبلل وجهها باللعب والدموع. أخيراً ناداها دكسن باسمها، فألقت بنفسها بعنف إلى الورا ثم إلى جانب السرير. وبينما هي مستلقية في هذه الصورة بسطت ذراعيها وأخذت ترتجف ثم صرخت مرات متعددة بصوت عالٍ وتوالت صرخاتها بعد فترة وجيزة بصوت خفيض وشرعت في الأنين. فأمسك دكسن برسغيها وصرخ:

- مارغريت! مارغريت!

فنظرت إليه بعينين واسعتين وأخذت تناضل كي تحرر نفسها من يديه. في هذه الأثناء تنهى إلى سمع دكسن صوت وقع أقدام تقترب خارج الغرفة لشخصين أحدهما ينزل السلام والآخر يصعد. فتح الباب

ودخل بيل أتكسن وخلفه الأنسة كتلر، فنظر إليهما دكسن.

قال أتكسن:

- هل انتابتها الهستيريا؟

ثم صفع مارغريت مرات متعددة على وجهها بقوة ودفع دكسن جانباً وجلس على السرير وأمسك بمارغريت من كتفيها وأخذ يهزها بعنف. وقال:

- يوجد بعض الشراب في خزانتي. اذهب واجلبه.

أسرع دكسن يصعد السلالم وذهنه مشغول بفكرة واحدة أثارت دهشته قليلاً، وهي أن معالجة الهستيريا في الروايات والأفلام السينمائية يجب أن تعتمد اعتماداً كبيراً على العلاج الصحيح. عثر على الشراب وحمله بيدين مرتعشتين حتى كادت الزجاجة تسقط من يده، ثم فتح الزجاجة وتناول جرعة كبيرة وبذل جهداً في ألا يسعل. ولما وصل الغرفة وجد كل شيء هادئاً تماماً. ألقّت الأنسة كتلر وهي تراقب أتكسن ومارغريت نظرة على دكسن لا توحى بالشك أو بالتوبيخ بل بالطمأنينة دون أن تقول شيئاً. وشعر دكسن في تلك اللحظة برغبة في الصراخ، فنظر إليه أتكسن دون أن يتناول الزجاجة وقال:

- اجلب قدحاً أو فنجاناً.

أخذ دكسن فنجاناً من الخزانة، وسكب فيه بعض الشراب وناوله إلى أتكسن بينما وقفت الأنسة كتلر فزعة بجانب دكسن وأخذت تراقب مارغريت وهي تتناوب الشراب.

دفع أتكسن مارغريت إلى الورا كي تعتدل قليلاً في جلستها بعد أن توقفت عن الأنين وقلّ ارتعاشها. كان وجهها قد تورّد بفعل صفعات أتكسن، وعندما أمسك بالفنجان قرب فمها احتكّ بأسنانها مرة أو مرتين. واستطاع الجميع أن يسمعوا صوت أنفاسها. كادت أن تختنق وأخذت

تسعل كما كان متوقِعاً ثم رشفت قليلاً وسعلت مرة أخرى ثم رشفت
المزيد. وسرعان ما توقفت عن الارتعاش ونظرت حولها وقالت بوهن:
- إنني آسفة لما حدث.

فقال أتكسنن:

- لا بأس يا فتاتي. أتريدين سيجارة؟

- نعم، من فضلك.

- هيا يا جيم.

ابتسمت الأنسة كتلر للجميع ثم خرجت بهدوء. أشعل دكسن ثلاث
سجائر لهم وجلست مارغريت على حافة السرير بينما كانت ذراع أتكسنن
لا تزال تطوّقها فسألته:

- هل أنت الذي صفعني؟

- نعم يا فتاتي. كان ذلك مفيداً لك. كيف تشعرين الآن؟

- أفضل بكثير. شكراً لك. تبدو الأشياء ضبابية في عيني وما عدا
ذلك فأنا بخير.

- حسناً، لا تتحركي فترة من الوقت، بل استلقي وخذي قسطاً من
الراحة.

- لا أعتقد أن ثمة ضرورة لذلك.

غير أنه رفع قدميها فوق السرير، وخلع حذاءها ثم وقف وأخذ ينظر
إليها، وقال:

- ابقيني هنا عشر دقائق على الأقل. سأتركك في رعاية الأخ جيم

الآن، وتناولني المزيد من الشراب عندما يفرغ قدهك، لكن لا تدعي جيم
يشرب منه شيئاً. لقد وعدت أمه بالآأدعه يشرب البتة، ثم استدار بوجهه
التاري ونظر إلى دكسن وقال:

- اتفقنا أيها العجوز؟

- نعم، شكراً لك يا بيل. هذا لطف منك.

- حسناً، أيتها الفتاة؟

- شكراً جزيلاً يا سيد أتكسن. لقد كنت مدهشاً، إنني لا أستطيع أن

أعرب لك عن مدى امتناني.

- لا بأس يا فتاتي.

ثم أوما برأسه لكليهما وخرج. وما كاد الباب يغلق، حتى قالت

مارغريت لدكسن:

- إنني آسفة لما حدث يا جيمز.

- كانت غلطتي.

- لا، أنت دائماً تلقي اللوم على نفسك، لكني لن أدعك تفعل ذلك

هذه المرة. إنني لم أستطع احتمال ما ذكرت. هذا كل ما في الأمر. فكّرت

في أنني لن أستطيع سماع ذلك، وأنني يجب أن أوقفك، غير أنني فقدت

السيطرة على نفسي فجأة. لا شيء أكثر من ذلك. كان الحادث سخيفاً

وصبيانياً لأنك كنت على حق تماماً عندما عبرت عن رأيك. من الأفضل

أن تتضح الأمور بهذه الصورة، لقد تصرفت تصرف فتاة حمقاء تماماً.

- لا ضرورة لتوبيخ نفسك، لم تكن في يدك حيلة.

- لا، كان ينبغي لي أن أتحمّل ذلك. اجلس يا جيمز أنت تشير

أعصابي بسيرك متأهّباً هكذا.

جذب دكسن الكرسي ذي المقعد الخيزران إلى جانب السرير. ولما

استقر فيه وأخذ ينظر إلى مارغريت، تذكر كيف جلس إلى جانبها كما هو

شأنه الآن، عندما زارها في المستشفى إثر إقدامها على الانتحار. إلا أنها في

ذلك الوقت كانت مختلفة، إذ كانت أشد ضعفاً وأكثر نحولاً وكان شعرها

معقوصاً إلى الورا وحنزنها أقل مما يبدو عليه الآن. وامتلاً قلبه كآبة عندما

لاحظ تلوث فمها بأحمر الشفاه وأنفها المبتل وشعرها الأشعث. وقال:

- من الأفضل أن أعود معك إلى منزل ولس.

- لا تقل ذلك يا عزيزي، من الأفضل أن تبقى بعيداً عن المكان أطول فترة ممكنة.

- إنني لا أكثر لذلك. على أي حال، لا ضرورة لدخولي المنزل، بل سأرافقك في الحافلة ليس غير.

- لا تكن سخيلاً يا جيمز لا ضرورة البتة، إنني الآن على ما يرام تماماً. على الأقل سأكون على ما يرام عندما أشرب جرعة أخرى من شراب السيد أنكنسن، هلاً تفضلت وقدمت لي قليلاً منه؟

بينما استجاب دكسن لها، فكّر بارتياح في أن لا ضرورة لذهابه معها في الحافلة وأصبح في وسعه منذ الآن أن يعرف دوماً ما تريد مارغريت بغض النظر عن كلامها. ومن الواضح أن رفضها هذا هو رفض حقيقي، فالمسألة ليست أنه لم يعد يكثر لها، إذ إنه يكثر لها كثيراً حتى إن مسؤوليته إزاء ذلك لا تطاق. كذلك فإن الأسلوب الذي يبيّن اكترائه لها والذي أخذ يمتزج بالشعور بالذنب إنما هو أسلوب لا يطاق أيضاً. ناولها الفنجان دون أن ينظر إليها، ولم يقل شيئاً، لا لأنه لا يملك القدرة على ما يقول، بل لأنه لا يستطيع التفكير في أي شيء يريد قوله.

قالت:

- سأشرب هذا الفنجان وأدخن سيجارتي وأغادر المكان. هناك حافلة ستنتقل عما قريب وسأصل في الوقت المناسب. هل لديك منفضة سجائر يا جيمز؟

قدّم دكسن لها منفضة سجائر نحاسية محفورة عليها سفينة حربية قديمة وصغيرة ومكتوب عليها: «مدمرة صاحبة الجلالة ريبيل»، نفضت مارغريت الرماد فيها وجلست على حافة السرير وأخذت تضع بعض المساحيق على وجهها وقالت وهي تنظر في مرآتها الصغيرة:

- غريب جداً أن تنتهي الأمور بهذا الشكل، أليس كذلك؟ طريقة غير ميجلة تماماً.

ولما لم يقل دكسن شيئاً واصلت حديثها وهي تحركّ فمها مرات متعددة لتضع عليه أحمر الشفاه:

- لكن على أي حال، لم يكن هناك أي شيء من التبجيل طوال فترة علاقتنا. أليس كذلك؟ كنت دوماً أثور لسبب أو لآخر، وأنت تحاول بتردد أن تجعلني أنضج أكثر فأكثر. هذا لا ينصفك.

ثم وضعت قليلاً من أحمر الشفاه على شفيتها ونظرت ثانية إلى المرأة وأضافت:

- لقد فعلت كل ما في وسع أي رجل أن يعمل، بل أكثر من ذلك. صدقني لا ضرورة للوم نفسك. إنني لا أدري حقاً كيف تحمّلت ذلك. أعتقد أنني لم أكن أمازحك. فقال دكسن:

- تعلمين كم أنا مغرم بك يا مارغريت، كل ما في الأمر أنه لا فائدة...

- أعرف ذلك يا جيمز. لا تقلق لأي سبب. سأكون على ما يرام.
- ينبغي لك أن تأتي إليّ دوماً إذا أخفقت في أي شيء أو إذا كان في وسعي أن أفعل أي شيء.

فابتسمت له ابتسامة رقيقة لما أبداه من تحفظ، وقالت كأنما تريد أن تطمئنه:

- حقاً.

رفع رأسه ونظر إليها واستطاع أن يرى خديها من تحت المساحيق وقد أخذت حمرتها تتلاشى، إلا أنها عندما لبست نظارتها لم يعد في الإمكان ملاحظة ذلك. ولم يستطع دكسن أن يصدق أنها أفاقت ترواً من

نوبة هستيرية، كما لم يصدّق أيضاً أنه ذكر لها أي شيء مهم سبّب لها تلك النوبة. وبينما هو يراقبها أطفأت السيجارة في المنفضة ثم نهضت وأخذت تنفض الرماد عن ردائها وقالت بلامبالاة:

- حسناً، إلى اللقاء يا جيمز.

ابتسم دكسن ابتسامة شك، وفكّر في أنه مما يدعو إلى الأسى أنها لا تبدو وسيمة جداً، وأنها لم تقرأ المقالات المنشورة في الصحف الشعبية التي ترشد المرأة إلى أحمر الشفاه الذي يتعين عليها استعماله كي يتناسب ولون بشرتها. وسألها:

- هل أنت واثقة بأنك على ما يرام؟

- كفّ عن القلق. إنني على ما يرام تماماً. لا بد لي من الذهاب الآن وإلاّ لن ألحق بالحافلة مما يجعلني أتأخر عن الغداء. أنت تعرف السيدة نيدي ولا سيما في مواعيد وجبات الطعام. حسناً، أستطيع القول إننا سنلتقي قريباً. إلى اللقاء.

- مع السلامة يا مارغريت. إلى اللقاء.

وخرجت دون أن تجيب.

أطفأ دكسن سيجارته وحاول أن يخبر نفسه بأنه عندما يتغلب على مشاعر الصدمة التي انتابته سيغدو سعيداً لأنه أخبر مارغريت بالشيء الذي كان يريد قوله لها منذ زمن طويل، إلاّ أنه لم يكن مقتنعاً. فكّر في خيبة الأمل مع كريستين بعد يومين، وعدّ الأمر كله مسألة مجردة من أي متعة. إن جزءاً مما حدث في نصف الساعة الماضية أفسد كل شيء على الرغم من أنه لا يدري أي جزء هو ذلك. كانت طريقه إلى كريستين مسدودة في مكان ما، ولن تسير الأمور على ما يرام. ليس لأن مارغريت هي التي ستلعب دوراً وتعكر صفو الأمور بتحذير برتراند والسيد ولش وزوجته، أو لأنه سيضطر إلى سحب تصريحاته الأخيرة لمارغريت، بل لشيء أقل

احتمالاً من العامل الأول وأصعب منازلة من العامل الثاني، وأكثر غموضاً في الحالتين.

مشط شعره أمام مرآة صغيرة بلا إطار، ورفض التفكير تفكيراً مباشراً في نوبات الهستيريا التي ألمت بمارغريت. وأدرك أن هذه الحادثة سرعان ما ستأخذ مكانها بين تلك الذكريات القليلة التي تستطيع أن تجعله يتأرجح في مقعده أو سريره بشيء من الندم والخوف والحرج. وربما سوف تتقدم لتحل محل الذكرى التي تحتل الآن رأس القائمة ألا وهي ذكرى الحادث الذي دفع إليه دفعاً أمام الستارة بعد الحفلة الموسيقية المدرسية ليجعل الجمهور ينشد النشيد الوطني. كان في وسعه أن يسمع صوته الآن بنبرته المسطحة والمثقلة بعدم الولاء. «الآن... أريدكم جميعاً... أن تنضموا إليّ، إن أردتم، لكي نغني». ثم قاد الآخرين في ترديد أحد المفاتيح الموسيقية التي لا بد أنه كان أكثر أو أقل من النعمة المطلوبة بمقدار قليل. فكّر في تغيير النبرات الموسيقية شأنه شأن بقية الموجودين، من مقطع إلى آخر. كما فكّر في الإعجاب والتهاتف والضحك الذي أعقب ذلك ورافقه عندما أخفى وجهه في الستارة، فنظر إلى وجهه في المرآة ووجده يبادل النظرات على نحو يفتقر إلى روح النكتة ويزخر بالإشفاق.

تناول زجاجة الشراب واتجه صوب الباب وقد عزم على شرب قدحين من الشراب في مشرب يقع عند منعطف الشارع. ثم عاد وأخذ الرسالة المعنونة إلى جونز وفكّر في أنه لا يوجد أي سبب يحول دون إرسالها إليه.

* * *

هبط دكسن سلالم البيت في الساعة الثامنة والرابع من صباح اليوم التالي، لا لأنه أراد أن يثبت من أن جونز سيقراً الرسالة، بل لأنه أراد، أو بالأحرى تحتم عليه أن يقضي فترة طويلة من ذلك الصباح في كتابة محاضرتة. لم يكن يرغب حقاً في تناول طعام الفطور في ساعة مبكرة جداً. ثمة شيء ما يتعلق برقائق الذرة التي أعدتها الأنسة كتلر: فالبيض المقلي الشاحب ورقائق اللحم الأحمر والخبز المحمص والقهوة المدرة للبول التي يستطيع تحملها الآن أكثر مما يتحملها في الساعة التاسعة - وهو وقت تناول الفطور المفضل لديه - بدت كلها في الساعة الثامنة والرابع كأنها تستدعي كل ما من شأنه أن يثير فيه الصداع والشعور بالغثيان. استولت هذه الدوامة التأملية عليه هذا الصباح بقوة كالمعتاد. لقد شرب ثلاثة أقداح كبيرة من الشراب في الليلة الماضية مع بيل أتكنسن وبيزلي، وربما تناول قبلها زجاجة من الشراب البريطاني. وضع يده فوق عينيه ودار حول المائدة كأنه يحاول تجنب الدخان، ثم تهالك على الكرسي وغمر وعاء مملوءاً برقائق الذرة بالحليب ولم يكن غيره موجوداً في الغرفة. مكتبة

حاول دكسن أن يتجنب التفكير في مارغريت، ولسبب ما لم يرغب في التفكير في كريستين. لهذا وجد نفسه منساقاً إلى التفكير في محاضرتة. حاول في وقت مبكر في مساء اليوم الماضي أن يدون بعض الملاحظات في دفتر ملاحظاته. ووجد أن الملاحظات المدونة في الصفحة الأولى استغرقت صفحة واحدة وثلاثة أسطر عند كتابتها على نحو مفصل. واستناداً إلى هذه النسبة، فإن في وسعه أن يتحدث إحدى عشرة دقيقة

ونصف الدقيقة. وهكذا فقد احتاج إلى مادة إضافية يلقيها على مدى الثماني والأربعين دقيقة ونصف الدقيقة. وقد يحتاج إلى حذف دقيقة واحدة يعرف فيها الطلاب بالموضوع ودقيقة أخرى لشرب الماء والسعال وتقليب الصفحات، بينما لن يحتاج إلى حذف أي دقيقة أخرى للتصفيق أو إسدال الستارة. أين سيكثر على بقية المادة الإضافية؟ إن الإجابة الوحيدة عن هذا السؤال تبدو: نعم، من أين سيأتي بالمادة؟ آه، لحظة واحدة، سيطلب من باركلي أن يعثر له على كتاب في موسيقى العصور الوسطى، وسيستغرق ذلك عشرين دقيقة على الأقل. من المؤكد أن ذلك سينطلي على ولس. فجر بعض الفقاعات الحليبية بمعلقته لما فكّر في أنه يتعين عليه أن يعيد صياغة هذا العدد الكبير من الحقائق الكريهة، إلا أنه ابتهج عندما وجد أن في مستطاعه أن يفعل أشياء كثيرة جيدة دون أن يفكر فيها إطلاقاً. وغمغم «ربما سيسود الاعتقاد أن سمة العصر والأمة والطبقة لن يكشف عنها بوضوح إلا عن طريق موسيقاها وثقافتها الموسيقية». انحنى إلى الأمام فوق قارورة الشراب وهو لا يزال يفكر: «ليس هناك شيء أبعد من الحقيقة».

في تلك اللحظة دخل بيزلي وهو يفرك يديه على طريقته المألوفة، وقال:

- مرحباً بك يا جيم. هل وصل ساعي البريد؟
 - كلا لم يصل، هل تتوقع وصوله؟
 - لقد انتهى توأ من الاستحمام، لن يتأخر كثيراً.
 - حسناً، وماذا عن بيل؟
 - لقد نهض من النوم قبلي، وقد سمعته وهو يخطو على الأرض.
- انتظر لحظة، أعتقد أنه قادم.
- وبينما أخذ بيزلي مكانه حول المائدة وبدأ بتناول رقائق الذرة، دخل

أتكنسن الغرفة على مهل. وبدا سلوكه، كما هو شأنه كل صباح، يوحى بأنه لا يعرف الشخصين الآخرين وأنه لا يميل في هذه اللحظة إلى عقد أي صداقة معهما. كما بدا في هذا الصباح يشبه جنكيزخان تماماً وهو يفكر في عملية تطهير بين قادته. توقف باشمتراز قرب كرسيه ومطّ بلسانه وأطلق زفرة حسرة وكأنه شخص اضطر إلى الانتظار في أحد المحلات. جالت عيناه السوداوان والغامضتان في جوانب الجدران وتوقفتا بين حين وآخر كلما صادفتها إحدى الصور: كانت الصورة الأولى تمثل ابن أخت الأنسة كتلر وهو يرتدي ملابس نائب عريف، أما الصورة الثانية فهي لقريب الأنسة كتلر مع فتاتين صغيرتين. وكانت هناك صورة أخرى تمثل المنزل الريفي لمرؤوس الأنسة كتلر السابق، وقد وقفت أمام الرواق المعبد عربية تجرّها الجياد. أما الصورة الرابعة فهي للأنسة كتلر مرتدية ملابس الوصيفات، وكان الزي يعود إلى الحرب العالمية الأولى. لعله كان منهمكاً في تقليل حجم الشتائم الهائل الذي كانت تثيره هذه الصور لتصبح أربع لطخات صغيرة فوق إحدى الصور. لكنه جلس، على أي حال بصمت، ووضع راحتي يديه فوق ملاءة المائدة دون أن يأكل شيئاً من الحبوب. بينما كانت الأنسة كتلر توزع اللحم القرمزي في الغرفة، أصبح ممكناً سماع صوت ساعي البريد. أوماً بيزلي برأسه بإشارة ذات مغزى وخرج إلى الصالة. ولما رجع ثانية أوماً مرة أخرى. غير أن دكسن لم يشعر بالمتعة المثيرة التي يتوقعها وظل ساكناً لا يتحرك حتى بعد عودة جونز بهدوء وهو يحمل رسالته بعد دقيقتين اثنتين. لماذا؟ حاول أن يصبّ اهتمامه على الرسالة التي بدأ جونز بفتحها الآن. وهنا توقف بيزلي عن تناول الطعام الذي امتلأ به فمه، بينما ظل أتكنسن يراقب جونز عن بعد من بين رموشه الكثيفة. وبدأ جونز يقرأ الرسالة بينما خيم صمت مشوب بالتوتر.

وضع جونز ملعقته بعناية فوق المائدة، وبدا أن ثمة شيئاً ليس على

ما يرام في شعره. كان شحوبه المألوف بالغاً جداً حتى لم يعد هناك أي مجال لأن يبدو وجهه أبيض نتيجة للانفعالات المختلفة من مثل الذعر والغضب، علماً أن هذا الشحوب كان مغطى هذا الصباح بيثور كثيرة ملتهبة يبدو أنها كانت بسبب حلاقته ذقنه بموس غير حادة لا يستخدم مثلها أي شخص ينظر إلى المال نظرة اعتيادية. لكنه سرعان ما رفع عينيه لا إلى مستوى وجوه الآخرين، بل إلى مستوى قريب منها حتى إن دكسن ظنّ أنه لمح جونز ينظر إليه فترة وجيزة ولاح أن الرجل انزعج بطريقة ما. وبعد أن قرأ الرسالة مرة أو مرتين أعادها ثانية إلى المظروف ووضعها في جيبه. وعندما نظر إلى الأعلى ثانية ووجد الجميع ما زالوا ينظرون إليه، التقط ملعقته بعنف حتى إنه سكب الحليب فوق سترته الصوفية الزرقاء اللون. وسمع صوت أتكسنس مدوياً وهو يقول:

- ماذا حدث أيها الفتى؟

ثم أضاف بصوت واضح وبطيء جداً:

- هل هناك أي أخبار سيئة؟

- لا.

- إنني لا أريد أن أشعر بأنك سمعت أخباراً سيئة وإلا لن أستمع

هذا النهار. هل أنت واثق بأن ليست هناك أي أخبار سيئة؟

- لا، أبداً.

- ألم تتلقَ أي أخبار سيئة؟

- لا.

- أوه، حسناً. تأكد أنك ستخبرني إذا ما تلقيت أي أخبار سيئة، إذ

علّي أقدر على تقديم بعض النصح لك. أليس كذلك؟

أشعل أتكسنس سيجارة وسأل جونز:

- لا يبدو عليك أنك تحب الكلام. أليس كذلك؟

ثم التفت صوب الآخرين وقال:

- أليس كذلك؟

أوماً أتكنسن برأسه، ثم خرج واستطاعوا أن يسمعوا ضحكته النادرة وهو لا يزال في الممر، وهي الضحكة التي أدت - دون أي تغيير محدد - إلى نوبة من السعال تلاشت عند صعوده السلالم.

شرع جونز في تناول طعامه، وفجأة قال مندهشاً:

- ليس الأمر مضحكاً. ليس مضحكاً البتة.

لمح دكسن زميله بيزلي وقد تورّد وجهه المبتهج وقال:

- ما هو الأمر غير المضحك؟

أجاب بيزلي:

- أنت تعرف ذلك يا دكسن، في وسع اثنين أن يمارسا اللعبة وسوف

ترى.

وصبّ قليلاً من القهوة له بيد مرتعشة.

انتهت المواجهة دون أن يفعل أحد أي شيء آخر، وبعد أن ألقى جونز نظرة عدائية أخيرة في اتجاه رباط عنق دكسن، أسرع في الخروج إذ إن عمله في الكلية الخاص بتنظيم بطاقات التقاعد والتأمين الصحي يبدأ في التاسعة صباحاً. ولاحظ دكسن في أثناء خروجه أن مؤخرة رأسه تدعو إلى الضحك.

انحنى بيزلي إلى الأمام وقال:

- هل أنت على ما يرام يا جيم؟

- نعم.

- هل لاحظت حديثه؟ فيضّ هائلٌ من البلاغة. لقد قلت دوماً إنه لا

يتفوّه بكلمة ما لم يشعر أنه مهّد بطريقة ما. بالمناسبة، نسيت أن أخبرك

بأن شعره كان غريب الشكل. ألم تلاحظ ذلك؟

- ها قد أتيت أنت على ذكره. ظننت أن شعره يبدو فعلاً غريب الشكل.

شرح بيزلي في أكل قطعة الخبز والمربي. وبينما هو يمضغها بغضب، أردف قائلاً:

- لقد اشترى لنفسه زوجاً من أدوات قصّ الشعر وجدتهما في الحمام يوم أمس. لقد قصّ شعره الآن كما ترى. إنه رجل بخيل جداً لا يدفع حتى ثمن حلاقة شعره الذي لا يكلفه سوى جنيه وستين بنساً. يا إلهي!

هذا هو السبب الذي جعل جونز يبدو من الخلف كأنه يضع على رأسه قطعة من شعر مستعار تهدّلت قليلاً إلى أحد الجانبين. وهو السبب نفسه الذي جعل وجهه يبدو من الأمام كأن خوذة غريبة تعلوه. ظلّ دكسن صامتاً وهو يفكّر في أن جونز أقدم أخيراً على عمل يستحق الاحترام لأجله.

- ماذا هناك يا جيم؟ لا تبدو سعيداً.

- إنني على ما يرام.

- أما زلت قلقاً بشأن المحاضرة؟ انظر إليّ، عندي هذه الملاحظات التي وعدتك بها عن عصر چوسر وهي ليست مثيرة، لكنك تستطيع استخدام بعض النقاط الواردة فيها سأضعها في غرفتك.

ابتهج دكسن ثانية. إذا امتلك الجرأة وانتظر وقتاً كافياً فربما استطاع تنظيم بقية محاضراته معتمداً في ذلك على جهود الآخرين تماماً. وقال:

- شكراً لك يا ألفرد. عظيم.

- هل تذهب إلى الكلية؟

- نعم، أريد مقابلة باركلي.

- باركلي؟ لم أتصوّر أن لديك حديثاً طويلاً وإياه.

- أرغب في استشارته في موضوع موسيقى العصور الوسطى.

- آه، قبضت عليك الآن هل تذهب مباشرة إلى هناك؟

- بعد دقائق قليلة.

- عظيم سوف أرافقك.

كان يوماً دافئاً لكنه ملبّد بالغيوم. وبينما هما يتجهان صوب طريق الكلية، شرع بيزلي يتحدث عن نتائج الامتحانات في قسمه. إن زيارة الممتحن الخارجي في نهاية الأسبوع من شأنها أن تحسم عدداً من الحالات القلقة، لكن الخطوط العامة للنتائج كانت واضحة تماماً. وينطبق الشيء نفسه على قسم دكسن وهكذا أتيح لهما موضوع مشترك للنقاش.

قال بيزلي:

- يوجد شيء واحد أحبه عند فرد كارنو على الرغم من أنه الشيء الوحيد الذي يتصف به عندما أبدأ بالتفكير فيه. فهو لن يدع أحداً يتقدم، ولهذا لا يعتقد أن الأمر يستحق العناء. لا يوجد طلبة أوائل في قسمنا هذا العام، بل أربعة في المرتبة الثالثة ورسب خمسة وأربعون في المائة من طلاب الصف الأول هذا العام. هذا هو الأسلوب الصحيح للتعامل معهم. إن فرد هو الأستاذ الوحيد في هذا المكان الذي يقاوم الضغوط الخارجية لطرد الأوائل ودفع كل فتى يستطيع كتابة اسمه إلى صفوف ذوي درجة المقبول. ماذا يقصد نيدي بهذا؟ أولم يستطع الحصول على واحد حتى الآن؟

- صحيح. إنه يترك الجميع لسيسل غولد سمث مما يعني قبول الجميع، لأن سيسل رقيق الفؤاد، كما تعلم.

- تعني أنه رقيق الرأس. لا يقتصر هذا الوضع على هذا المكان، بل هو موجود أينما ذهبت، كما أن جامعات الأقاليم كلها تسير في الطريق نفسه. ولا يشمل هذا جامعة لندن، كما أظن، أو الجامعات الأسكتلندية.

لكن، يا إلهي! اذهب إلى معظم الأماكن وحاول أن تطرد طالباً ما، لا شيء إلا لأنه من الغباء حتى إنه لا يستطيع اجتياز امتحاناته. إن طرد أستاذ أسهل بكثير. تلك هي مشكلتنا في قبول عدد كبير جداً من الطلاب الذين يدرسون على نفقة الحكومة كما تعلم.

- ماذا تقصد؟ يتعين على الطلاب الحصول على النقود من أي مصدر كان.

- حسناً، أنت تعلم ذلك يا جيم. في وسعك أن تفهم وجهة نظر السلطات: إننا ندفع المال لجون سمث كي يدخل هذه الكلية ثم نخبرنا بعد سبع سنوات بأنه لن يحصل على أي شهادة. إنك تهدر أموالنا. لو أننا أعدنا اختباراً للحيلولة دون دخول أولئك الذين لا يستطيعون القراءة أو الكتابة، فإن القبول سينخفض إلى النصف، وسيفقد نصف الأساتذة هنا وظائفهم. ثم هناك طلب آخر. إننا نحتاج إلى مائتي مدرّس هذا العام وقد عزمنا على تأمينهم. حسناً، سنخفض درجة القبول إلى عشرين في المائة ونعطيك الطلاب الذين ترغب فيهم. لكن لا تبدأ بالشكوى بعد مرور عامين من أن المدارس مليئة بالمدرّسين الذين لا يستطيعون هم أنفسهم اجتياز امتحان الحصول على الشهادة العامة، ناهيك عن تدريسهم أي طالب يريد اجتياز ذلك الامتحان. وضع مدهش، أليس كذلك؟

اتفق دكسن وبيزلي في هذا، إلا أنه لم يشعر بالاهتمام الكافي للتعبير عن موافقته، فقد كان ذلك اليوم واحداً من الأيام التي يشعر فيها تماماً بالاعتناء بنفوره من الحياة الأكاديمية. ما الذي سيفعله إثر ذلك؟ هل يدرّس في إحدى المدارس، أوه، كلا.

هل يذهب إلى لندن ويحصل على عمل ما في إحدى الدوائر؟ وما هو ذلك العمل؟ وفي أي دائرة؟ صه!

دخل المبنى الرئيس بصمت وذهبا إلى غرفة الاستراحة حيث اتجها

مباشرة إلى صندوق بريدهما. وهناك وجد دكسن مذكرة تفيد أنه لم يدفع اشتراكه في استخدام غرفة الاستراحة لهذا العام، إضافة إلى بطاقة مرسله إلى «جاس دكسن المحترم - بكالوريوس آداب» تشير إلى نشر عمل فارغ عن تجارة المنسوجات في عهد آل ثيودور، وسرعان ما رمى بها في سلة المهملات بقوة. أما بيزلي فقد شرع يغمغم وهو يتصفح عدداً وصله حديثاً من مجلة شؤون الجامعة التي يشترك فيها. لم يكن في الغرفة سواهما. وقبل أن ينشط دكسن في البحث عن باركلي، شعر أن في استطاعته القيام بذلك في وقت آخر وتهالك في أحد المقاعد وأخذ يتشاءب.

بعد فترة وجيزة وصل بيزلي وهو يمسك بالمجلة مفتوحة وقال:

- يوجد هنا شيء يهكم يا جيم «تعيينات جديدة. دكتور آل أس كيتن لكرسي تاريخ التجارة، جامعة توكومان في الأرجنتين» أليس هو الشخص الذي أرسلت إليه مقالتك؟

- يا إلهي! دعني ألقى نظرة.

- من الأفضل أن تكون صارماً تجاهه قبل أن يهرب بقارب الموز. يبدو أن مجلته توشك أن تغلق أبوابها إلا إذا اعتقد أن في استطاعه تحريرها من هناك.

- أوه، يا إلهي! هذه أخبار سيئة جداً.

- لو كنت مكانك لسافرت إليه جواً.

- أوه، يا إلهي! نعم سوف اذهب. حسناً، شكراً لإخباري بذلك يا ألفرد من الأفضل أن أجد باركلي قبل أن يعثر هو الآخر على عمل له في الخارج.

أسرع دكسن في الخروج وهو يشعر بأنه كان ضحية شك غامض وقوي، واتجه صوب كلية الموسيقى حيث وجد باركلي حاضراً ومتجاوباً يملك الكتاب الذي كان يبحث عنه. وبعد أن أخذ الكتاب ذهب إلى

المكتبة وحصل على كتاب حول الأزياء والأثاث في العصور الوسطى. وبينما هو يحاول الخروج من الباب الدوّار توقف لأن شخصاً آخر كان يحاول دفع الباب في الاتجاه المعاكس للدخول، وهو تصرف خاطئ (كما تشير إلى ذلك عدة ملاحظات أنيقة). كان هذا الشخص هو ولش الذي أخذ ينظر إليه برية. ثم تراجع إلى الوراء مقطب الجبين بينما استمر دكسن يدفع الباب وظهر بالقرب منه. وقال:

- صباح الخير يا أستاذا!

فقال ولش بعد أن عرفه حالاً:

- دكسن!

- نعم يا أستاذ.

قال ذلك وقد نسي حتى الآن ما قالته مارغريت وهو أن ولش وعدداً آخر من الأشخاص يبحثون عنه لسفك دمه. كيف سيكشف ولش عن مطاردته هذه؟

قال ولش:

- أفكرت في المكتبة؟

ثم أخذ يهتّز إلى الأمام والخلف وهو يبدو جاحظ العينين، أشعث الشعر أكثر من المعتاد وكان يزيّن ربطة عنقه شعار ذهبي صغير غريب الشكل تبيّن فيما بعد أنه ليس سوء صفار البيض المتجمد. وكان فمه نصف المفتوح الآن تعلوه قطعة صغيرة أخرى من الغذاء نفسه.

قال دكسن:

- أوه، نعم.

وكان يأمل من وراء ذلك تشجيع ولش على توضيح ماهية الملاحظة التي يمكن - ضمن الأفكار المتعلقة بالمكتبة - أخذها بعين الاعتبار أساساً لتساوله.

- أعتقد أن في وسعك الذهاب إلى ذلك المكان؟

بدأ دكسن يشعر بالذعر. وفكّر، هل وصل جنون ولش الذي طال انتظاره نهاية المطاف؟ أو هل أن هذا أسلوب مريّر في الإشارة إلى عدم رغبة دكسن في التقدم في أي مجال من المجالات الأكاديمية؟ اختلس نظرة من فوق كتبه كي يطمئن إلى أنهما يقفان على مقربة من مدخل المكتبة، ووجد أن عبارة: «أعتقد ذلك» هي أكثر الإجابات مدعاة للأمان.

- هل لديك أشغال كثيرة الآن؟

فأجاب دكسن:

- الآن؟ لا أعتقد.

- كنت أفكر في موضوع محاضرتك يوم الأربعاء القادم. أعتقد أنها جاهزة الآن.

وضع دكسن الكتابين تحت إبطه خشية أن يلاحظ ولش عنوانيهما، وقال بحماس:

- أوه، نعم. نعم يا أستاذ!

فقال ولش بلهجة تزيل العائق التافه الأخير أمام أي فهم كامل:

- لم يتسع وقتي للذهاب إلى المكتبة كما ترى، وينبغي لي الذهاب إليها الآن.

ثم أشار إلى المكتبة فأوماً دكسن برأسه ببطء وقال:

- أوه، ينبغي لك الذهاب الآن؟

- نعم، لقد وردت بعض النقاط في أجوبة الامتحان وأرغب في التأكد من ذلك قبل الاجتماع بالمتحن الخارجي يوم غد. أعتقد أنك تستطيع القيام بذلك. أليس كذلك؟ الساعة الخامسة في مكتبي.

كان دكسن على موعد مع كريستين في الساعة الرابعة من عصر اليوم التالي. وإنه لن يستطيع البقاء معها إلاّ ثلاثة أرباع الساعة حتى لو استقلّ

سيارة أجرة. وشعر برغبة في أن يحشر ولش في الباب الدوّار حتى موعد الغداء. وقال:

- سأكون هناك.

- حسناً، في وسعك أن تلاحظ أنني لا أملك وقتاً أقضيه في البحث عن المصادر في المكتبة.

- أوه، حقاً.

- يسعدني جداً أن تفعل هذا لأجلي يا دكسن، فيما يتعلق بما أريد من المكتبة فإن كل شيء موجود فيها.

ثم أخرج من جيبه رزمة من الأوراق وفتحها وقال:

- ستجد كل شيء واضحاً تماماً. والإشارة واردة إزاء كل حالة تقريباً كما أظن. نعم... أوه، هناك بعض الحالات هنا. نعم، نعم، دون إشارات مفصلة في الواقع. لا أعتقد أنها مفيدة، لكن في وسعك أن تلقي نظرة على قائمة الموضوعات. وإذا لم تجد أي شيء، عندئذٍ تستطيع استخدام ملاحظتك، ربما ستفيدك عناوين الفصول. هذا العنوان على سبيل المثال. انظر فقط هل هناك شيء له علاقة بالموضوع. لا أعتقد أن هناك أي شيء منذ ذلك التاريخ. لكن من يدري؟ فأنت لا تعرف حظك، أليس كذلك؟

ثم تفرّس في وجه دكسن بحثاً عن تأكيد لكلامه، فقال دكسن:

- كلا، لا أعرف.

- أتذكّر أنني ذات مرة أمضيت أسابيع كثيرة بسبب حقيقة واحدة مفقودة إذ ظهر في خريف العام 1663... لا، في صيف...

اتضح الآن لدى دكسن بعض الحقائق الأساسية. فقد طلب إليه أن يملأ بعض النقص في معلومات ولش في تاريخ الفن الفلاحي والحرف الشعبية في الريف، وسوف تساعد دكسن هذه الأوراق التي كتبها ولش بخط يده غير الواضح أو التي طبعها على عجل في إنجاز عمله دون أي

ارتباك، على الرغم من أنه سيفقد بعض الوقت والنزاهة. لكنه، على أي حال، لم يستطع رفض طلبه إذ إن هذا العمل سيبدو لولش اختباراً لقدرات دكسن، وهو أهم بكثير من المحاضرة التي من المقرر أن يلقاها. لهذا أصبح كل شيء واضحاً. لكن ما هو موضوع المكتبة؟ ولما أظهر صمت ولش نهاية الحكاية أو ربما تجاهلها، سأل دكسن:

- أتوافر لديهم هنا المعلومات كلها؟ أعني بعض هذه الكراسات لا بد أن تكون نادرة، وفكرت، ربما لدى مكتب التسجيل...

هنا ظهرت ملامح ولش هي تشي، شيئاً فشيئاً، بغضب عارم وقال بلهجة فظة:

- كلا يا دكسن، إن المعلومات لا تتوافر هنا ولا أستطيع تخيل أي شخص يعتقد أنها موجودة لديهم. لهذا طلبت منك أن تذهب إلى المكتبة للحصول عليها. أعلم أن لديهم تسعين في المائة من المعلومات التي أبحث عنها. إنني أفضل الذهاب شخصياً، لكن لدي بعض الارتباطات كما أوضحت لك. ولا بد من الحصول على المعلومات هذه الليلة لأنني سأتحديث مساء غد بعد عودة الأستاذ فورتسكيو. هل فهمت الآن؟

فهم دكسن الموضوع. كان ولش يتحدث طوال الوقت عن المكتبة العامة في المدينة. ولما كان هذا واضحاً لديه فإنه من الطبيعي لم يفكر في خلط الأمور التي قد يتسبب بها الحديث عن المكتبة الواقعة على بعد خمس أقدام. وقال وهو يعرف جيداً كيف يتقن الاعتذار في الوقت المناسب:

- أوه، حقاً يا أستاذ إنني آسف.

- لا بأس يا دكسن حسناً، لن أؤخرك الآن أعتقد أنك تريد أن تبدأ منذ الآن إذا ما أردت أن تنتهي من الموضوع في الساعة الخامسة. ومن الأفضل أن تأتي إلى غرفتي بعدئذ كي أطلع على ما أنجزته. أشكرك

لمساعدتك إياي، وأقدّر ذلك كثيراً.

وضع دكسن الأوراق بين صفحات كتاب باركلي وهمّ بالانصراف عندما سمع وراءه صوتاً مدوياً. كان ولش يحاول بجهد أن يدفع الباب الدوّار في الاتجاه المعاكس، فتوقف دكسن وشرع يراقبه وسمح لوجهه الذي يشبه القرد بالتعبير وفق ما يشاء. بعد فترة قصيرة أدرك ولش خطأه وأخذ يجذب الباب الذي أذعن أخيراً لمحاولاته، لكن رأس ولش اصطدم بالزجاج بعد أن فقدَ توازنه. انصرف دكسن وهو يصفر لحن ولش بمزاج صافٍ، وشعر أن مثل هذه الأشياء هي التي ساعدته على الاستمرار.

* * *

بعد مرور سبع ساعات قال ولش:

- حسناً، عظيم جداً يا دكسن أنت تصلح لكل شيء، بل أنت مثير للإعجاب حقاً.

ثم نظر إلى ملاحظاته فترة وجيزة، وفجأة أردف قائلاً بشيء من الارتياب:

- والآن ماذا ستفعل؟

في الواقع كان دكسن في هذه اللحظة يداعب كلتا يديه اللتين وضعهما وراء ظهره وقال وهو يتلعثم:

- إنني... إنني...

- إنني أسأل هل لديك شيء تفعله هذا المساء؟ فكرت في أنه في استطاعتك زيارتنا وتناول الطعام معنا.

بعد أن أمضى دكسن يوماً في إنجاز أعمال ولش أصبح لديه وقت كافٍ في ذلك المساء كي يعدّ محاضرتة، لكنه من الواضح لا يستطيع رفض دعوته، لهذا قال دون تردد:

- حسناً، شكراً جزيلاً يا أستاذ، هذا لطف منك.

أوما ولش برأسه كأنه مسرور، وجمع الأوراق لوضعها في حقيبته وقال وهو يفسح المجال لدكسن كي يكشف عن ابتسامته المبهوسة:

- إنني واثق بذلك. إلى من سيوجه الحديث؟

- جمعية الآثار والتاريخ، إنني مندهش لأنك لم تشاهد الملتصقات.

ثم التقط حقيبته ووضع قبعتة فوق رأسه وقال:

- أسرع إذأ، سنذهب بسيارتي.

- رائع.

فقال ولش بحماس وهما يهبطان السلالم:

- لا بد من الاعتراف بأنهم جماعة ممتازة، جمهور رائع يشجع المرء على الحديث، جمهور يحسن الإصغاء ومتلهف، وما إن ينهي المرء حديثه حتى تنهال عليه الأسئلة. صحيح أن القسم الأعظم من الناس من أهل البلدة، لكن هناك دوماً بعض الطلاب الممتازين من مثل ميشي الشاب. إنه فتي طيب، هل استطعت أن تجعله مهتماً بموضوعك؟

فقال دكسن وهو يدرك أن ميشي بقي محتجباً عن الأنظار هذه

الأيام:

- نعم، يبدو أنه مهتم به كثيراً.

كان دكسن يظن أن ولش سيعير هذه الشهادة أهمية لأنها تبرز قدرته على إثارة اهتمام مثل هذا الشاب. لكن ولش استرسل في حديثه كالسابق: - إنه شاب طيب ومتحمس وغالباً ما يحضر إلى الجمعية، وقد تحدثت إليه مرة أو مرتين من قبل. أعتقد أن ثمة أشياء كثيرة مشتركة بيننا. لكن دكسن ارتاب في أن تكون هناك أشياء كثيرة مشتركة بين ولش وميشي غير وجهة النظر المتشابهة في طاقاته. غير أن اختبار أخلاقيات ولش في الوظيفة سيحول دون الإشارة إليه مثلاً. فسأل بشيء من الفضول:

- من أي جانب؟

- حسناً، كلانا يهتم بالتراث الإنكليزي، وأعتقد أنه ينحو منحى فلسفياً أكثر مني، بينما أنحو أنا منحى ثقافياً إذا أمكننا القول، لكن لدينا أشياء مشتركة كثيرة. كنت أفكر ذات يوم، كيف أن اهتماماتي أخذت تنصب أكثر فأكثر على التراث الإنكليزي في السنوات القليلة الماضية. أما اهتمامات زوجتي فأستطيع أن ألخصها في أنها اهتمامات تنصب على

أوروبا الغربية أولاً والمرأة الإنكليزية ثانياً. وفي وسعك أن ترى من نظرتها الشاملة والغالية (نسبة إلى بلاد الغال) إلى حدّ ما أنها في بعض النواحي، بل النواحي المهمة جداً بالنسبة لي كالمجتمع الإنكليزي والوضع الثقافي - اللذين أنظر إليهما نظرة مختلفة متحيزة إلى حدّ ما - والصناعات الشعبية وغيرها تعتبرها بمثابة إضاعة تقليدية للوقت، وأنها بالنسبة إليها مظهر ما، مظهر ليس غير، مثير للاهتمام، ولا شيء غير ذلك.

وهنا تردّد كأنه يريد اختيار المصطلح المناسب وأضاف:

- مظهر لتطور الثقافة الأوروبية الغربية. في استطاعتك أن تلاحظ ذلك بوضوح، في نزعتها إلى دولة الرفاهية وإنها لفائدة عظمى أن تقدر على النظر إلى تلك المشكلة بمنظور واسع. فهي تجادل، كما ترى، أن الناس إذا وجدوا كل شيء منجزاً...

لما كان دكسن قد لخص منذ فترة طويلة جداً آراء السيدة ولش، فقد سمح للسيد ولش أن يسترسل في عرض آرائها السياسية وأفكارها فيما يسمّى الحرية في التربية ودفاعها عن العقاب الجزائي وولعها بقراءة ما كتبه النساء الإنكليزيات عن أفكار الباريسيات ومشاعرهن. كانت أفكاره ومشاعره لحظة ركوبهما السيارة وانطلاقهما مشغولة بموضوع مارغريت. لم يعرف كيف يتعيّن عليه مواجهتها. لقد أصبح هذا الشعور الذي استولى عليه في المكتبة العامة طوال اليوم أمراً عاجلاً، ويحتم عليه مواجهتها في القريب العاجل. كما يتعيّن عليه أيضاً مواجهة برتراند وزوجة ولش، غير أن لقاءه بهذين الشخصين أقل مدعاة للذعر. ستكون هناك كريستين أيضاً. لم يرغب في رؤيتها حقاً، لا لسبب شخصي، بل لأنها تكون جزءاً من قلقه إزاء مارغريت. لا بد له من القيام بعمل ما يوضّح لمارغريت أنها ليست وحيدة تماماً. كلا، لن يفعل ذلك. لا ينبغي أن يسمح لنفسه بالقيام بذلك وبالعودة إليها من جديد. إلّا أنه يجب أن يُطمئنّها بدعمه المتواصل. لكن

كيف سيفعل ذلك؟

حاول دكسن أن يبحث عن شيء يشغل فكره بعيداً عن هذه الأفكار، فنظر من خلال النافذة إلى يساره في الوقت الذي خفض فيه ولش سرعة السيارة عند تقاطع الطرق. شاهد رجلاً بديناً ضخماً الجثة يقف على الرصيف عرفه دكسن فوراً لأنه حلاقه. وشعر باحترام كبير لهذا الرجل بسبب مظهره الخارجي المثير وصوته المدوي ومعلوماته التي لا تنضب عن العائلة المالكة. في تلك الأثناء وقفت فتاتان جميلتان قرب صندوق بريد عمومي على بعد ياردات قليلة من الحلاق، فالتفت الأخير وشرع يتفرّس فيهما ويدها وراء ظهره بينما لاحت على وجهه نظرة شهوانية صريحة، ثم تقدم صوب الفتاتين، لكن ولش زاد سرعة السيارة مما جعل دكسن ينتبه للجانب الآخر من الطريق حيث كانت تجري مباراة في لعبة الكريكت، وكان أحد اللاعبين قد بدأ توأ بالركض وراء الكرة. أما ضارب الكرة، وهو رجل بدين آخر وضخم الجثة، فقد سدّد ضربة إلى الكرة لكنه أخطأها فأصابته بقوة في معدته. استطاع دكسن أن يشاهد هذا كله قبل أن يحجب المشهد سياج طويل من النباتات.

لم يكن دكسن واثقاً بأن غرض هذين المشهدين كان توضيح سرعة العقاب الإلهي أو نزعته الشخصية في عدم إصابة الهدف، إلا أنه كان على ثقة تامة بأن الشعور بالارتياح يغمره حتى إنه أصغى إلى ولش وهو يقول: «مثير جداً».. وشعر دكسن فترة وجيزة من الوقت وكأنه يلتقط مفتاح ربط من خزانة موجودة في لوحة أجهزة القياس ليضربه به على مؤخرة رقبته. لقد كان يعرف الأشياء التي تثير ولش.

مرّت بقية الرحلة بسلام، وأصبحت قيادة ولش السيارة أفضل مما مضى على أي حال، إن الموت الوحيد الذي شعر دكسن بتهديده إياه هو الموت نتيجة التعرض للسأم. وقد تلاشى هذا الخطر أيضاً بعد دقيقتين

اثنتين عندما كشف ولش عن بعض الحقائق في التاريخ الحديث لكتابات ميشيل الذي ظل دوماً في حالة تأهب لتسلم عمل دكسن، إلا أنه كما يبدو قدّر له عدم الدخول في ذلك. كان ميشيل كأمه من الغال الذين لا يعرفون الكلل، وكان يعدّ طعامه بنفسه في شقته الصغيرة في لندن، ثم أُصيب بمرض قبل أيام قليلة بعد أن تناول طعاماً أجنبياً قدراً أعدّه بنفسه. وفكّر دكسن في أن ذلك الطعام لا بد أن يكون المعكرونة وبعض الأطباق الأخرى المطبوخة بزيت الزيتون. ويبدو ذلك عقاباً نموذجياً لمثل هذا الشخص الذي لا بد أنه غيّر نظامه في الأكل. على أي حال، سيحضر ميشيل في غضون يوم واحد أو يومين لاسترداد أجور والديه. التفت دكسن كي يضحك في مواجهة النافذة لهذه الضربة الأخيرة. في هذه المرة لم يجرب شيئاً أسوأ من القليل من الغضب لدى التفكير في مثل ذلك الأخرق الذي يملك شقة في لندن. لمّ ليس له والدان تتطلب أموالهما الكثيرة التي تفوق كل تصور، وجود ابنتهما في لندن؟ إن التفكير في هذه الفكرة يورث العذاب. فلو أتاحت له تلك الفرصة لاختلفت الأمور الآن. غير أنه لا يدري ما هي تلك الأمور، ثم اكتشف أن في استطاعته تصورها تصوراً تاماً وكيف أنها ستختلف عن وصفه الحالي.

استرسل ولش في الحديث حتى عندما كان يقود السيارة في الطريق الترابي المتجه إلى الفناء المجاور لبيته. وبعد أن لامست السيارة حنفية الماء المكسورة، استقرت في مدخل المرآب وتوقفت أخيراً على مسافة بوصتين اثنتين من الجدار الداخلي، وخرج ولش منها.

بحث دكسن عن وسيلة للخروج من السيارة بعد أن رأى الممر الضيق الذي لا يتجاوز عرضه ست بوصات تفصله عن أقرب جدار إليه. لكنه بذل محاولة شاقة لتمرير ساقه فوق الكرسي المجاور وخرج من باب السائق. وبينما هو يقوم بذلك، تبادر إلى ذهنه أن شيئاً ما انغرز في مقعده. فلما

خرج من السيارة تحسّس ذلك بيده فوجد أن في وسعه إدخال إصبعين في ثقب في بنطلونه. فنظر إلى مقعد السائق ووجد حافة نابض مكسور شقّت المقعد وبرزت للعيان. شرع يتبع ولش ببطء بينما أخذ قلبه يخفق بشدة. وسمح لتكشيرة هائلة بأن تبدو على محيّاها واستطال وجهه وابتعد ذقنه إلى أبعد حدّ ممكن عن قمة رأسه، بينما حاول أن يحشر أنفه بين عينيه. ولما أشرف على الانتهاء من ذلك خلع نظارته ليمسحها، واستطاع أن يرى أربعة أشخاص شهدوا حركته الأخيرة يقفون قرب النافذة الطويلة على بعد بضع ياردات وهم من اليسار إلى اليمين: كريستين وبرتراند وزوجة ولش ومارغريت. فأسرع في تغيير ملامحه ليأخذ وجهه شكله الطبيعي وأسرع في مداعبة ذقنه المتهدل مؤملاً أن يبدو وكأن الشك ارتابه. ولما لم يستطع أن يعثر على أي إشارة أو تعبير شامل لتحية أفراد هذا الرباعي جميعهم، لحق بولش الذي كاد أن يتوارى عند منعطف المنزل.

ماذا سيفعل بشأن بنطلونه؟ ما هو أسوأ شيء؟ إصلاح الثقب بنفسه إذ يترتب على ذلك إيجاد أو شراء المواد المطلوبة أو إصلاحه في محل خياطة مما يعني أن يتذكّر الاستفسار من أحد الأشخاص عن المكان الذي يقع فيه مثل هذا المحل، وأن يتذكّر حمل البنطلون إليه وأن يتذكّر جلبه منه ودفع الثمن، أو الطلب إلى الأنسة كتلر إصلاح الثقب، هل يكون الاختيار الأخير هو الأسرع؟ نعم، لكنه قد يتضمن عقوبة مراقبة العملية والتحدث إلى الأنسة كتلر فترة غير محدودة. إن دكسن لا يملك غير هذا البنطلون الذي هو جزء من بدلة داكنة اللون لا تصلح إلاّ للمقابلات والجنائز وبنطلون آخر ملوث ببقع الشراب والطعام، وإذا ارتداه فوق خشبة المسرح دليلاً على الفقر والقذارة سيغدو أضحوكة أمام الناس. ينبغي لولش أن يصلح البنطلون، لأن سيارته كانت السبب في ما حصل. أليس كذلك؟ لماذا لم يتمزق سرواله هو عندما كان جالساً في ذلك المقعد؟

ربما سيتمزق عما قريب، أو لعله قد تمزق فعلاً دون أن يدري.

بعد أن مرّ الاثنان من تحت المنصة المسقوفة القائمة فوق الباب الأمامي، حوّل دكسن عينيه عن صورة اشتراها ولش حديثاً وتحدث عنها وهي الآن معلقة في الصالة. ويوحى أسلوب تلك الصورة التي رسمها أحد الحمقى بالتخطيطات التي تزدحم بها المرافق الصحية للرجال، على الرغم من أن موضوعها - الذي يشمل أنواعاً متعددة من الحيوانات حاملة البراميل وهي تتدفق من الفلك - أقل جاذبية.

من ناحية أخرى، يوجد رف عالٍ مرصوفة عليه أعداد كبيرة من الأدوات المنزلية الصينية والنحاسية، ومن بينها قدح خاص يملكه دكسن وقد ثبت عليه نظره عندما وقعت عليه عيناه. كره ذلك القدح الذي نقشت عليه صورة توبي وهو يرتدي قبعة سوداء وبدا وجهه فزعاً مسوداً، بينما ظهرت أطرافه الهزيلة ملتحمة بجذعه. كانت ملامح الشخص ثبت أنه يعرف شعور دكسن إزاءه. ثم ظهرت الملكية الثالثة لولش وهي قطة حمراء اللون اسمها عيد وهي القطة الوحيدة الباقية على قيد الحياة من ثلاث قطط.. أما القطتان الباقيتان فقد عمدتهما زوجة ولش باسم الأنا والأنا الأعلى. بذل دكسن جهده في ألا يفكر في هذا الموضوع، فانحنى وداعب عيد تحت أذنها، إذ كان معجباً بها لأنها لا تسمح لأي فرد من أفراد أسرة ولش بحملها. وهمس في أذنها: «خرمشيهم! بولي على السجادة!» فبدأت القطة تخرخر بصوت عالٍ.

حالما انضم دكسن إلى بقية الأفراد داخل المنزل تعكر مزاجه الصافي فجأة إذ اتجه ولش صوبه وابتسمت له كريستين وهي في المؤخرة، ولاحظ أن خديها يشبهان تفاحتين أكثر من أي وقت آخر. أما زوجة ولش وبرتراند فقد تحركا نحوه بينما أدارت مارغريت ظهرها. وأخيراً قال ولش:

- أوه، يا فوكر!

فرجع دكسن نظراته إلى الأعلى بأنفه وقال:

- نعم يا أستاذ!

- على الأقل يا دكسن...

تردد ولش لكنه أضاف بطلاقة لم يسبق لها مثيل:

- أخشى أن بعض سوء الفهم قد حصل يا دكسن، لقد نسيت أننا وأسرة غولد سمث على موعد للذهاب إلى المسرح هذه الليلة. سوف نتناول طعامنا مبكراً وبعد ذلك سأغيّر ملابسني ونذهب جميعنا إلى المدينة بسيارتي. سيكون هناك متسع من المكان لك في السيارة إذا أردت أن أوصلك. آسف لهذا. ينبغي لي أن أسرع. وسوف نلتاق في وقت آخر.

قبل أن يخرج من الغرفة تحرّكت زوجة ولش كأنها ممثلة، بينما سار برتراند جنبها وقالت وهي متوردة الخدين:

- أوه، يا سيد دكسن. كنت أتساءل أين يمكنني العثور عليك ثانية. لديّ موضوع أو موضوعان أرغب في بحثهما معك. أولاً، أرجو أن توضح لي ماذا حدث للشرشف والبطانيات الموجودة فوق سريرك عندما كنت ضيفنا مؤخراً؟

في هذه الأثناء انهمك دكسن في تبليل فمه استعداداً للكلام، إلا أنها أضافت:

- إنني في انتظار جوابك يا سيد دكسن.

وهنا بدا أن خصائصها كامرأة إنكليزية غلبت نزعتها الأوروبية الغربية. ولاحظ دكسن أن كريستين وبرتراند سارا إلى مؤخرة الغرفة وهما يتحدثان بهدوء.

وغمغم قائلاً:

- لا أدري حقاً ماذا.. إنني لم أشاهد..

كيف استطاع أن ينسى ما قالته له زوجة ولس عندما تحدث إليها هاتفياً في موضوع بيزلي وجريدة «الإيفنغ بوست»؟ لم يخطر ذلك بباله أبداً.

- «أفهم أنك تنكر أي صلة لك بالحادث؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن المتهم المحتمل الآخر هو خادمتي، وفي هذه الحالة سوف...» فقاطعتها دكسن قائلاً:

- كلا، إنني لا أنكر صلتني. آسف جداً لما حدث. إنني أعلم أنه كان ينبغي لي الحضور كي أخبرك بما حصل، لكن الضرر كان بالغاً حتى إنني لم أتمكن من المجيء. إنها مسألة سخيفة وقد تمنيت لو أنك لم تكتشفي ما حصل، إلا أنني كنت واثقاً بأنك ستكتشفين الأمر. هل في وسعك إرسال قائمة الحساب لي كي أعرف كلفة التبديل بما في ذلك البطانيات. يجب أن أجعل كل شيء سليماً.

وفكر «شكراً لله أنهم لم يكتشفوا أمر المنضدة حتى الآن».

- لا بد من ذلك يا سيد دكسن، وقبل أن نناقش ذلك أريد أن أعرف كيف حصل ذلك. ما الذي حدث حقاً؟

- أعلم أنني تصرفت تصرفاً سيئاً جداً، لكن أرجو ألا تطلبي مني أن أوضح ذلك. لقد اعتذرت لك ووعدتك بدفع ثمن الأضرار الناجمة. هلاً تركين قضية الإيضاح الأمر لنفسني؟ لا شيء مزعجاً حقاً، وفي استطاعتي أن أوكد ذلك.

- لماذا ترفض الإيضاح إذاً؟

- إنني لا أرفض، بل أطلب منك أن تعفيني من الكثير من الإحراج الذي لن يفيدك.

في هذه الأثناء انضم برتراند وقال وهو يذني وجهه منه:

- في وسعنا أن نتحملك يا دكسن، ولن يصيبنا أي ضرر إذا ما تحملنا

إحراجك. كل ما في الأمر أن هذا ليس سوى ثمن بسيط لتصرفاتك.

في هذه الأثناء وضعت أمه يدها على ذراعه وقالت:

- كلا، لا تتدخل يا عزيزي. لا فائدة من ذلك. إنني واثقة بأن السيد دكسن اعتاد أن يسمع مثل هذا الحديث. في وسعنا أن نترك هذا الأمر لأنه لا يغيّر شيئاً من حقائق الموقف الأساسية. أما الآن، فأريد الانتقال إلى الموضوع الثاني: إنني مقتنعة الآن تماماً يا سيد دكسن بأنك الشخص الذي اتصل بي هاتفياً مؤخراً وتظاهرت، بل كذبت في الواقع عندما سألتك، أمامي وأمام ابني بأنك مراسل صحفي. كنت أنت فعلاً. أليس كذلك؟ أنت تعلم أن من الأفضل لك أن تقرّ بذلك. أنا لم أذكر أي شيء لزوجي لأنني لا أريد أن أقلقته. لكنني أحذرك من أنني إذا لم أتلق...

كان دكسن أشبه بمجرم بدأ يدلي باعترافاته بعد أن أدرك أن ذلك هو الشيء الوحيد المتبقي أمامه. لكنه تذكّر في الوقت المناسب أن هذا من شأنه أن يدين كريستين أيضاً. ففكّر «هل حصل برتراند على شيء منها، وإلى أي حدّ يا ترى؟»

وقال:

- أنت مخطئة تماماً في هذا الشأن. إنني لا أستطيع أن أتصوّر السبب الذي يجعلك تفكرين في مثل هذا الأمر. سيخبرك زوجك بأنني لم أخرج من هنا مرة واحدة هذا الفصل.

- لم تخرج؟ إنني لا أعرف كيف يؤثر هذا في الموضوع؟

- «حسناً، لا يمكنني أن أكون في لندن وفي هذا المكان في وقت واحد، أليس كذلك؟» فقالت زوجة ولش وهي تحاول منع برتراند من الحديث:

- ما شأن ذلك بالأمر؟

- كيف أستطيع إجراء مكالمة هاتفية من لندن إذا كنت موجوداً هنا

طوال الوقت؟ إنني أخمن أن المكالمة جاءت من لندن.

فنظر برتراند إلى أمه مستفسراً، فهزّت رأسها وقالت بهدوء دون أن تُحرّك فمها كثيراً:

- لا، إنها مكالمة محلية. فقد تكلم المتحدث مباشرة. ولو كانت من لندن لكانت قد تمّت بواسطة البدالة.

فقال برتراند بتذمر:

- قلت لك إنك مخطئة. أخبرتك بأن ديفيد وست وراء الحكاية. عليه اللعنة. كانت كريستين واثقة بأنه هو الذي حدثها هاتفياً، وزعم أنه أتكنسن وأخبرنا أحد أصدقائه بذلك... كلا.

في هذه اللحظة وقعت عيناه على دكسن فأحجم عن الكلام. اطمأن دكسن لانتصاره في الدفاع عن نفسه وسوف يتذكر سوء الفهم الظاهري في هذا الموقف. لقد اتضح الآن أيضاً أن برتراند لم يحصل على شيء من كريستين. فسأل الآخرين بأدب:

- هل اتضح الأمر الآن؟

احمرّ وجه زوجته ولش مرة أخرى وقالت:

- أعتقد أنني سأذهب وأرى ما الذي يفعله والدك الآن يا عزيزي. هناك موضوع أو موضوعان أريد...

لكنها غادرت الغرفة دون أن تكمل عبارتها، بينما تقدم برتراند خطوة واحدة إلى الأمام وقال بشهامة:

- سوف ننسى هذا الموضوع تماماً. أما الآن، فأحبّ أن نجتمع معاً بعض الوقت، وهي في الواقع المرة الأولى منذ حادث حفلة الرقص. انظر إليّ. سأوجّه إليك سؤالاً ولا مانع لديّ من القول إنني أريد إجابة صريحة. ما كانت لعبتك عندما أقنعت كريستين في تلك الليلة وغادرت حلبة الرقص معك؟ أريد إجابة صريحة.

لا بد أن كريستين سمعت هذا الكلام بعد أن تقدّمت إلى الأمام مع مارغريت. وحاولت الفتاتان تجنّب نظرات دكسن لدى مغادرتهما الغرفة، وترك دكسن وحده مع برتراند. ولما أغلق الباب، قال دكسن:

- لا أستطيع أن أجيب عن سؤال تافه إجابة صريحة أو ملتوية. ماذا تقصد؟ ما هي لعبتي؟ إنني لم ألعب أي لعبة.

- أنت تعرف قصدي كما أعرفه تماماً، إلام كنت ترمي من وراء ذلك؟

- من الأفضل أن تسأل كريستين عن ذلك.

- لن نحشرها في هذا الموضوع إذا لم يكن لديك أي اعتراض؟

- لماذا أعترض؟

قال ذلك دكسن وأخذ يبتهج على الرغم من أنه كان يفكر في أن قائمة حساب زوجة ولش سوف تلتهم ميزانيته. لقد أشرفت المناورات الأولية والحرب الباردة بينه وبين برتراند على النهاية. وما يحدث الآن ليس سوى نغمة من قبلة عنقودية.

- لا تكن مضحكاً يا دكسن. فقط أخبرني بما يدور بينكما وإلا

سأضطر إلى اللجوء إلى وسائل أخرى.

- لا تكن أنت مضحكاً. ماذا تريد أن تعرف؟

ضمّ برتراند قبضته، لكن عندما نزع دكسن نظارته وعدّل منكييه، عاد إلى وضعه السابق، فلبس دكسن نظارته ثانية.

قال برتراند:

- أريد أن أعرف..

إلا أنه تردّد في كلامه.

- ما هي لعبتي؟ كنا نعمل ذلك.

- اخرس. ماذا كنت تريد أن تفعل مع كريستين؟ هذا ما أريد معرفته.

- كنت أريد أن أفعل ما فعلته تماماً. كنت عازماً على الخروج من ذلك المكان بصحبة كريستين وإيصالها إلى هنا بسيارة أجرة، ثم العودة إلى غرفتي بسيارة الأجرة نفسها. ذلك ما فعلته.

- حسناً، إنني لا أوافق على ذلك. هل فهمتني؟

- فات الأوان على عدم موافقتك، لأن الأمر حدث فعلاً.

- والآن افهم ما أقوله لك يا دكسن. لقد أصابني ما يكفي من

الأعيب الصغيرة. إن كريستين صديقتي وستظل كذلك. هل فهمت؟

- إذا كنت تقصد متابعتي سلسلة أفكارك فقد فهمت.

- عظيم، وإذا وجدتك تلعب هذا النوع من الأعيب ثانية أو أي

ألعوبة ذكية أخرى، سأدقّ عنقك وأسعى إلى طردك من وظيفتك. هل

فهمت؟

- نعم، لقد فهمت فهماً جيداً، لكنك مخطئ إذا تصورت أنني

سأسمح لك بأن تدقّ عنقي. وإذا كنت تتصور أن الناس يطردون من

وظائفهم الأكاديمية لأنهم يقلون صديقات أولاد الأساتذة بسيارات الأجرة

إلى بيوتهن فإن خطأك أكبر.

أدرك دكسن من حديث برتراند أن هذا لم يعلم من والده شيئاً عن

موقفه الحالي أمام سلطات الكلية. وكانت إجابة برتراند هي:

- لا تتصور أن في ميسورك أن تتحداني وتفلت من العقاب يا

دكسن. فالناس لا يفلتون البتة.

- لقد بدأ الناس يفلتون يا ولش. ويجب أن تعلم أن الأمر متروك

لكريستين إن كانت تريد رؤيتي أو لا. وإذا شعرت بأنك تريد أن تهدّد

شخصاً ما، فما عليك إلا أن تهدّدها هي.

وفجأة انفجر برتراند في وجه دكسن:

- لقد تحملتك كثيراً أيها الوغد الصغير. ولن أتحمّل بعد اليوم أي شيء. هل سمعتني؟ إذا كنت تتصوّر أن شخصاً بائساً مثلك يستطيع أن يتدخل في شؤوني فإنه يكفي... اخرج من هنا قبل أن يلحق بك الأذى. اترك فتاتي وشأنها، فأنت تضيع وقتك ووقتها ووقتي. ما الذي ترمي إليه من وراء هذه اللعبة؟ أنت من الكبر والقباحة مما يجب أن تعرف على نحو أفضل...

في هذه اللحظة دخلت فجأة كريستين ومارغريت فأنقذتاه من الإجابة وانقطع المشهد، إذ حاولت كريستين أن توصل رسالة بعينها إلى دكسن، إلا أنه لم يتمكن من قراءتها، فجذبت برتراند من ذراعه وقادته إلى خارج الغرفة وهو يصرخ احتجاجاً على ذلك. أما مارغريت فقد عرضت صامتة سيجارة على دكسن فأخذها، ولم يتكلم أي منهما عندما جلسا جنباً إلى جنب على إحدى الأرائك، كما لم يتكلما في غضون اللحظات القصيرة التي مرّت عقب ذلك. ووجد دكسن نفسه يرتعش كثيراً، فنظر إلى مارغريت وشعر أن حملاً ثقيلاً أثقل كاهليه.

لقد أدرك الآن الشيء الذي كان يحاول إخفائه عن نفسه منذ صباح أمس. وأدرك الشيء الذي جعلته المشاجرة بينه وبين برتراند لا يصدّقه مؤقتاً: فهو لن يتمكن بعد الآن من شرب الشاي مع كريستين عصر اليوم التالي. وإذا كان سيتناول الطعام مع أي فتاة أخرى عدا الأنسة كتلر فإنها لن تكون كريستين بل مارغريت. وتذكّر إحدى الشخصيات في رواية حديثة أعاره إياها بيزلي، وكانت هذه الشخصية تشعر دوماً بالشفقة تسري في أعماقها كالمرض. وينطبق هذا عليه تماماً فهو يشعر بالمرض في أعماقه. سألته مارغريت:

- هل ما حدث كان بسبب الرقص؟

- نعم، يبدو أنه ينفر من ذلك.
- لست مندهشة. لماذا كان يصرخ؟
- كان يحاول إقناعي بالابتعاد عن الطريق.
- بقدر ما يتعلق الأمر بها؟
- نعم.
- هل تفعل ذلك؟
- ماذا؟
- هل تبتعد عن طريقها؟
- نعم.
- لماذا يا جيمز؟
- بسببك.
- توقع دكسن أن تظهر مارغريت شعوراً قوياً، لكنها قالت بلهجة
حيادية على ما يبدو:
- أظن ذلك سخيلاً.
- لماذا تقولين ذلك؟
- ظننت أننا سوين الأمور البارحة، ولا أعتقد أن ثمة ضرورة للبدء
من جديد.
- لا فائدة من ذلك، إذ إننا سنبدأ من جديد في وقت آخر، وقد
يكون ذلك الوقت الآن.
- لا تكن مضحكاً. لقد لهوت بها أكثر مما لهوت بي.
- فقال دكسن دون شعور بالمرارة أو بأي إحساس آخر:
- ربما كان ذلك صحيحاً. لكن المسألة هي أنني لا بد أن أبقى
معك.

ساد الصمت فترة قصيرة ثم أضافت:

- إنني لا أقرّ بهذا النكران الذاتي لأنك ترمي بها مقابل شيء بسيط. إنه تصرف أحمق.

في هذه الأثناء مرّت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يتكلم أي منهما. وشعر دكسن أن دوره في هذا الحديث، كما في مجمل علاقته بمارغريت، كان يوجّهه شيء خارج عن إرادته. وشعر أكثر من أي وقت مضى أن حديثه لم يكن نابعاً من رغبته أو سأمه، بل من الإحساس بموقف ما. لكن ما هو مصدر هذا الإحساس إذا لم يكن شريكاً في الرغبة فيه كما يبدو؟ ووجد بشيء من القلق أن الكلمات أخذت تتكوّن في ذهنه وهي كلمات سيجد عما قريب أنه يتفوّه بها لأنه لم يستطع أن يعثر على أي كلمات أخرى. نهض من مكانه وهو يفكر في الذهاب إلى النافذة وإيجاد كلام بديل مما سيراه خارجها. إلا أنه التفت وقال قبل أن يصل إليها:

- «المسألة ليست أنها شيء بسيط، بل أن أرى ماذا ستفعلين»،

فقال بوضوح:

- أنت تتظاهر بهذا لأنك خائف مني.

نظر إليها عن قرب لأول مرة منذ أن عادت إلى الغرفة. كانت تجلس على الأريكة وقد جذبت ساقها نحوها وطوّقت ركبها بذراعيها. كانت ملامحها توحى بالعزم. وكأنها كانت تناقش موضوعاً أكاديمياً تعرفه معرفة جيدة ويشير اهتمامها. ولاحظ أنها تضع مساحيق أقل كثيراً من المؤلف. وقال دون أن يعي أنه قرّر ما سيقول:

- ليس بعد البارحة.

- لا أدري ماذا تعني.

- لا بأس، توفقي عن الاعتراض بهذه الطريقة. المسألة بديهية كلها.

- ليست كذلك بقدر ما يتعلق الأمر بي يا جيمز. لا أستطيع فهمك

مطلقاً.

- بل تستطيعين.

ثم اتجه نحوها وجلس إلى جانبها مرة أخرى وأضاف:

- لنذهب إلى السينما هذا المساء. في وسعك ترك المسرح ولن

تعارض كارول في ذلك على حدّ علمي.

- لست ذاهبة على أي حال.

- هذا حسن جداً إذاً.

مدّ يده وأمسك بيدها فلم تبد أي حركة. وساد صمت قصير سمعا

فيه شخصاً يهبط السلالم بتثاقل ويتجه صوب القاعة. فنظرت إليه مارغريت

فترة وجيزة ثم أشاحت بوجهها وقالت بصوت جاف:

- لا بأس، سأتي معك إلى السينما.

شعر دكسن بالسعادة لأن كل شيء انتهى. قال:

- جيد، سأذهب لرؤية نيدي لحجز مقعدين في السيارة. في وسعه

أن يقل ستة أشخاص. اصعدي إلى غرفتك واستعدي.

ثم خرجا واتجها إلى الصالة حيث شاهدا ولش مرتدياً بدلة زرقاء

ذات طراز غريب ومدهش وأخذ يبيدي إعجابه بنفسه، وعندما قالت

مارغريت: «لن أتأخر كثيراً» وصعدت السلالم، شعر دكسن أن حديثهما،

بغض النظر عن غرابته، يعكس نزاهة الطرفين على نحو لم تشهده علاقتهما

من قبل، وتلك نقطة مهمة، على أي حال.

فتح ولش فمه عند اقتراب دكسن استعداداً لقول شيء ما يبدأ بـ

«فيما يخص الرسم الطفولي...»، إلا أن دكسن بدأ كلامه أولاً بأن أوضح

أن مارغريت ترغب في الحصول على مقعد في سيارته إذا كان ذلك

مناسباً. وبعد أن قطب ولش جبينه قليلاً، وهو مندesh، أوما برأسه وسار

مع دكسن حتى الباب الأمامي وفتحه. خرجا واتجها صوب السلالم. كان

النسيم رقيقاً والشمس ترسل أشعتها من بين الغيوم بينما تلاشت حرارة

النهار. قال ولش:

- سأذهب وأجلب السيارة. لقد نسيت كما ترى أننا سنخرج وإلا
لما وضعتها في المرآب. لن أتأخر كثيراً.

وبعد أن غادر المكان، سمع دكسن وقع خطوات شخص آخر قادم
فالتفت ورأى كريستين قادمة باتجاهه وهي ترتدي سترة سوداء فضفاضة.
أما بقية ملابسها فكانت الملابس نفسها التي ارتدتها في عطلة نهاية
الأسبوع الفنية. ربما كانت هي الملابس الاعتيادية الوحيدة التي تملكها،
وفي تلك الحالة ما كان ينبغي له أن يدعها تمنحه ذلك الجنيه ثمناً لأجرة
السيارة. وبعد أن ابتسمت انضمت إليه ووقفت إلى جواره وقالت:

- أرجو ألا تكون قد قضيت وقتاً سيئاً مع برتراند.

- برتراند؟ أوه، لا. لا بأس.

- لقد استطعت أن أهدّته بعد فترة قصيرة.

بدأ دكسن يراقبها، فوجد أنها تقف منفرجة الساقين قليلاً وبدأت
واثقة وجادة، بينما طارت خصلة صغيرة من شعرها إلى الجهة المعاكسة
من رأسها بفعل نسيم هبّ في تلك اللحظة. أغمضت عينيها قليلاً عندما
واجهت أشعة الشمس، وكانت تبدو أنها توشك أن تقوم بأمر خطير ومهم.
أما دكسن فقد خيم عليه شعور بالحزن والسخط أيضاً، وألقى نظرة صوب
الحقول المترامية قرب السياج حيث امتدّ صف من أشجار الصفصاف
قرب جدول صغير. في تلك الأثناء حلّق حشد من الطيور يقدر بمائتي
طير صوب المنزل واتجه بعدئذ نحو الجدول حيث استمر بالتحليق على
امتداده.

قال دكسن وقد التفت قليلاً إلى كريستين:

- في ما يخصّ تناول الشاي يوم غد.

فقالت كريستين وقد ظهر عليها شيء من القلق:

- نعم؟ ماذا بشأن الشاي؟

وبينما كانت تتفوه بهذه الجملة تنأهى إلى سمعها ولش وهو يشغل السيارة في جانب المنزل. فأضافت:

- لا داعي للقلق. سأكون موجودة في الوقت المناسب.

وقبل أن يجيب دكسن عما قالته، ألقت نظرة بطرف عينها نحو الصلاة، ثم قطبت جبينها وهزت إصبعها.

وصل برتراند إلى حيث كانا يقفان وأخذ ينقل نظراته بينهما. كان يرتدي بيريه أزرق اللون خلف في نفس دكسن الأثر عينه الذي خلفته قبعة ولش التي يستخدمها في الصيد. إذا كان غطاء الرأس هذا يقي صاحبه من شيء ما، فمن أي شيء يقي برتراند؟ وإذا لم يكن كذلك، فما هو؟ ولماذا يلبس؟ لماذا يلبس؟

قطبت كريستين جبينها مرة أخرى كأنها تتنبأ بما سيطلبه دكسن، ثم قطبت وجهها إزاء برتراند وقالت:

- والآن مهما كان تفكير أحدكما في الآخر، فإنني أرجو أن تتمالكا نفسيكما وأن تتصرفا تصرفاً مهذباً أمام السيد ولش وزوجته. كنت أتصور قبل قليل أنكما أصبتما بالجنون.

فبادر برتراند قائلاً:

- كنت أقول له أين...

فقاطعته كريستين وهي تقول:

- حسناً، لا تقل أي شيء الآن.

ثم التفتت إلى دكسن وأضافت:

- ولا تقل له أنت أي شيء أيضاً. إذا بدأت النزاع في السيارة فسوف أقفز منها.

وقف دكسن وبرتراند لحظات قصيرة وكان أحدهما بعيداً عن الآخر.

وبينما كان الشعور بالندم يتتاب دكسن لأن التوقف عن مطاردة كريستين يعني فرض وقف إطلاق النار في محاربته برتراند. وهنا وصلت سيارة ولش وهي تثب عند منعطف المنزل، فتحرك الثلاثة باتجاهها. خرجت زوجة ولش من المنزل بصحبة مارغريت وأقفلت الباب الأمامي، ثم لحقت بهم دون أن تنظر إلى دكسن، وبدأ الآن مشهد حشر الجميع في السيارة، وانتهى بأن وجد دكسن نفسه محشوراً وسط المقعد الأمامي الذي يتسع لثلاثة أشخاص حيث جلست مارغريت إلى شماله، وجلست وراءهم زوجة ولش وكريستين وبرتراند. وفكّر دكسن في أن ترتيب جلوسهم كان منسجماً. وبعد أن أخذ ولش نفساً قوياً، رفع قدمه عن الدواسة وانطلقت بهم السيارة في رحلتها بطريقة تشبه قفزات الكنغر.

* * *

ألقى دكسن نظرة على الهاتف الموجود أمامه فوق قطعة من القماش الأسود وسط منضدة مصنوعة من خشب البامبو في غرفة استقبال الأنسة كتلر، وانتابه شعور بأنه أشبه بمدمن على الشراب يفحص زجاجة منه، إذ لا يستطيع أن ينعم بالراحة إلا إذا شرب منها. لكن الأثار الجانبية، كما أثبتت التجارب الأخيرة، من شأنها أن تكون ضارة بالصحة. ينبغي له أن يلغي موعد شرب الشاي مع كريستين الذي سيحين مواعده بعد ست ساعات وإذا أراد أن يفعل ذلك فيجب أن ينتهز فرصة انشغال زوجة ولش عن الرد على الهاتف. وقرّر أن يخاطر ويخبر كريستين بذلك بدلاً من مواجهتها وجهاً لوجه، وإخبارها بأن مغامرتهما الصغيرة وصلت إلى نهاية المطاف. إن فكرة مثل هذا اللقاء الأخير فكرة غير محتملة. فجلس قرب الهاتف وطلب الرقم، وبعد فترة وجيزة سمع صوت زوجة ولش فلم يقلق، بل عمد إلى تغيير سحنته قبل أن يجيب بأي كلمة كي يمتصّ نغمته. هل قضت زوجة ولش وقتها جالسة؟ وهل رتبت السرير بعد أن وضعت الهاتف قريباً منها خشية أن يتصل بها؟ قال دكسن بحسب الخطة التي وضعها:

- إنني أحاول أن أوصلك بالخط. آلو... مَن المتكلم؟

ذكرت زوجة ولش رقم هاتفها. فواصل دكسن حديثه:

- تكلم أيها المتحدث من لندن. أنت الآن مرتبط بالخط.

ثم أطبق أسنانه وفتح فمه بكل ما يستطيع من قوة ودمدم قائلاً:

- هالاهر!... هالاهر...

ثم أعقب ذلك قائلاً بصوت يشوبه الطنين.

- الخط معك أيها المتحدث من لندن.

وتلا ذلك بصوت جهوري:

- من فضلك، هل معك الأنسة كالرهن يا هالاهر؟

ثم أحدث جلبة صاخبة بفمه ظنّ أنها تشبه التشويش في الخطوط الهاتفية.

- من المتحدث، رجاء؟

اهتزّ دكسن في مكانه كأنه في حالة غم، فوضع فمه على سماعة الهاتف ثم أبعدته مرة أخرى وقال:

- هالاهر... هالاهر... فوتسكيا... يا...

- إنني آسفة لم أتبيّن...

- فورتسكيا... فارتسكيا...

- مَن المتكلم؟ إن الصوت يشبه...

- هالاهر... هل أنت الأنسة كالرهن؟

- هل أنت السيد...

فصاح دكسن بيأس وهو يضع يده فوق فمه محاولاً منع نفسه من

السعال:

- فاتسكيا..

- أنت السيد دكسن أليس كذلك؟ ما الذي تحاول أن...

- هالاهر...

- أرجو أن تتوقف عن هذا المزاح.

فقال:

- انتهت ثلاث دقائق... انتهى الوقت رجاء.

ثم أضاف قبل أن يتوقف عن الكلام:

- يا هالاهر.

فقال زوجة ولش بعد فترة وجيزة بصوت ازدادات حدته:

- إذا كنت لا تزال على الخط يا سيد دكسن، فإنني أودّ أن أخبرك بأنك إذا حاولت مرة أخرى التدخل في شؤون ابني أو في شؤوني، فسأطلب من زوجي أن يعالج القضية معك من وجهة نظر تأديبية، إضافة إلى قضية...

فأقفل دكسن الخط، ثم قال:

- الملاء.

ثم تناول سجائره وهو يرتجف، فقد تخلّى في الأيام الأخيرة عن نظام التقنين الذي يتبعه. ينبغي له الآن أن يلتزم بموعده، ومن شأن أي برقية أن تكون مقتضبة أكثر مما ينبغي، كما أن زوجة ولش قد تعتمد إلى مصادرتها بأي حال. وبينما كان يشعل سيجارته استمر رنين جرس الهاتف على مقربة من رأسه، سعل بقوة، ثم تناول سماعة الهاتف وفكّر «مَن يكون هذا؟ ربما عازف أوبو يطلب جونز أو عازف كلارنيت».

قال:

- ألو...

فأجابه صوت أدرك بارتياح أنه صوت غريب:

- هل يوجد هنا السيد دكسن من فضلك؟

- إنني دكسن.

- أوه، يا سيد دكسن. إنني مسرور لأنني استطعت الاتصال بك. لقد أعطتني جامعتك رقم الهاتف. اسمي كاجبول وأعتقد أنك سمعت عني عن طريق مارغريت بيل.

في هذه الأثناء شعر دكسن بالتوتر، وقال دون اكتراث:

- نعم، لقد سمعت.

لم يكن صوته ذلك الصوت الذي يتوقعه، فقد كان صوتاً هادئاً

ومؤدباً ويفتقر إلى الثقة بالنفس كما يبدو.

- لقد اتصلت بك لأنني فكّرت في أنه ربما كان في وسعك إيصال بعض الأخبار إليّ عن مارغريت. كنت مسافراً طوال تلك المدة ولم أتمكن من سماع أي شيء عنها إثر عودتي، هل تعرف كيف حالها؟
- لِمَ لا تطلبها وتساءل بنفسك. أو ربما حاولت ذلك، لكنها لا تريد التحدث إليك. حسناً، إنني أفهم ذلك.

وبدأ دكسن يرتجف.

- لا بد أن ثمة خطأ ما..

- لدي عنوانها، لكنني لا أعتقد أن هناك سبباً يجعلني أخبرك به دون بقية الناس.

- إنني لا أستطيع أن أفهم لماذا تتحدث بهذه اللهجة يا سيد دكسن. كل ما أريد معرفته هو كيف حال مارغريت ولا أظن أن هناك أي مانع في هذا. أليس كذلك؟

- إنني أحذرك، إن كنت تنوي العودة إليها فأنت تضيع وقتك. هل فهمت؟

- لا أدري ماذا تعني بكلامك هذا. هل أنت متأكد من أنك تعرفني؟

- اسمك كاجبول. أليس كذلك؟

- نعم.

- حسناً، أنا أعرفك جيداً وأعرف كل شيء عنك.

- أرجو أن تستمع إليّ يا سيد دكسن.

ثم أخذ صوته يتهدج عندما أضاف قائلاً:

- أريد فقط أن أعرف هل مارغريت على ما يرام أو لا. ألن تخبرني

حتى بهذا الشيء؟

هدأ دكسن عندما سمع هذا الكلام، وقال:

- حسناً، سأخبرك. إنها في صحة جيدة من الناحية البدنية. أما من الناحية العقلية فهي تقريباً في صحة جيدة.

- شكراً جزيلاً. إنني مسرور بسماع هذه الأخبار. هل تمانع إذا سألتك سؤالاً واحداً أخيراً؟

- ما هو؟

- لماذا غضبت مني قبل لحظة عندما سألتك عنها؟

- هذا واضح تماماً، أليس كذلك؟

- أخشى أنه ليس واضحاً بالنسبة لي. أعتقد أننا كنا نتحدث حديثاً متناقضاً. أليس كذلك؟ إنني لا أستطيع أن أفكر في أي سبب يجعلك تكرهني. لا يوجد أي سبب حقيقي.

بدا مخلصاً في كلامه. فأجاب دكسن دون أن يتمكن من إبعاد الحيرة

عن نبرته:

- حسناً، أستطيع أنا أن أفكر.

- إنني أستطيع أن أجزم بوجود نوع من الالتباس، ولهذا أريد مقابلتك في وقت ما لتوضيح الأمور، إذ من الصعب التوصل إلى هذا بواسطة الهاتف، ما رأيك؟

فتردد دكسن وقال:

- لا بأس. ماذا تقترح؟

اتفق الاثنان على اللقاء يوم الخميس القادم قبل موعد تناول الغداء في أحد المشارب الواقعة في بداية طريق الكلية. ولما أنهى كاجبول المكالمة الهاتفية، جلس دكسن يدخن بضع دقائق. وشعر بالقلق، فقد كانت الأحداث التي مرت به أخيراً تثير القلق ولا تزال هناك أحداث أخرى أكثر مدعاة للقلق. على أي حال، سيذهب للاطلاع بنفسه، ولن يخبر مارغريت بشيء عن ذلك. أطلق زفرة وهو يعود إلى مفكرة عام 1943 التي كتب فيها

أرقام الهواتف. ثم جذب الهاتف إليه واتصل بأحد الأرقام في لندن. بعد مرور وقت قصير، تناهى إلى سماعه بوضوح صوت قوي يدلّ على الثقة بالنفس يقول:

- إنني كيتن.

فأخبره دكسن باسمه واسم الكلية التي يعمل فيها. ولسبب ما تلاشت فجأة قوة الصوت والثقة التي كانت تنبعث منه وسأل بنزق:

- ماذا تريد؟

- لقد قرأت عن تعيينك يا دكتور كيتن مصادفة، فهل تسمح لي بأن أقدم لك تهنيتي؟ كما أنني أسأل ما مصير المقال الذي أرسلته إليكم وتفضلتم بقبول نشره في مجلتكم. هل في وسعك أن تخبرني متى سينشر المقال؟

وهنا عادت الثقة مرة أخرى إلى الصوت:

- آه، هناك كثير من الصعوبات هذه الأيام يا سيد دكسن. هناك عدد من المواضيع كما تعرف. ولا أظنك تتوقع نشر مقالك الذي أثار إعجابي في خمس دقائق. أليس كذلك؟

- إنني أقدر ذلك يا دكتور كيتن. أستطيع أن أتصوّر أن هناك قائمة طويلة بهذه المواضيع، لكنني أسأل عما إذا كان في وسعك أن تحدّد لي موعداً تقريبياً. هذا كل ما في الأمر.

- إنني أتمنى لو تعرف صعوبة الموقف لدينا يا سيد دكسن. إن تحرير المواد يستغرق وقتاً طويلاً جداً، ويتطلب شخصاً ذا كفاءة عالية. هل فكّرت يوماً ما كم يستغرق تحرير نصف صفحة من الهوامش؟

- كلا، لكنني أستطيع أن ألاحظ أن القضية لا بد أن تكون متعبة جداً. كل ما أريد معرفته حقاً هو فكرة عامة عن الموعد الذي تعتقد أن موضوعي سينشر فيه.

- حسناً، فيما يخصّ هذا الموضوع يا سيد دكسن، فإن الأمور ليست بالبساطة التي تتصوّرها. لعلك تعرف هاردي الأستاذ في جامعة ترنتي. لقد أرسلت مقالته إلى المطبعة منذ أسابيع كثيرة، وفي كل يوم يتصلون بي من المطبعة أكثر من مرة مستفسرين عن بعض النقاط. وفي معظم الأحوال يتعيّن عليّ إحالتهم إليه عندما يتعلق الموضوع باستفسار عن وثيقة أجنبية أو ما يشبه ذلك. إنني أعرف أن الشبان أمثالك يظنون أن عمل المحرر هو تناول الشراب وممارسة اللعب، لكن الأمر ليس كذلك. صدّقني.

- إنني واثق يا دكتور كيتن بأن الموضوع يتطلب عناية فائقة. ولا أريد أن ألقى عليك أي مسؤولية محدّدة، لكن يهمني أن أعرف موعداً تقريبياً تستطيعون فيه نشر موضوعي.

فقال كيتن بصوت غاضب، كأن دكسن يلحّ على هذه النقطة وحدها:
- إنني لا أستطيع أن أقطع الوعود بأن أنشر مقالتك في الأسبوع القادم ما دامت الأمور أصعب من ذلك بكثير. لا بد أن تفهم ذلك. يبدو أنك لا تدرك حجم التخطيط المبذول لإعداد كل عدد وبخاصة العدد الأول. نحن لا نعدّ جدولاً كجدول حركة القطارات. ماذا.. ماذا؟

ثم أنهى كلامه بصوت عالٍ يتتابه الشك.
وتساءل دكسن إن كان قد سمح لشفتيه بالتفوّه باللعنة، وفجأة تناهى إلى السمع صوت مكتوم رنّان من خلال سماعة الهاتف، كأنه صوت طرق حديد في إحدى الكاتدرائيات. وقال:

- إنني متأكد من ذلك، ولا اعتراض لديّ على التأخير. لكنني بصراحة يا دكتور كيتن، أريد تطوير موقعي هنا في القسم. وإذا ما تمكّنت من الاعتماد عليك، أو إذا استطعت أن تمنحني...

- إنني آسف للصعوبات التي تمرّ بها يا سيد دكسن، لكن الصعوبات التي أمرّ بها هنا تجعل من الصعب عليّ أن أهتم اهتماماً جاداً بصعوباتك.

هناك عدد كبير من الناس في مثل موقفك كما تعلم. ولا أدري ما سأفعل إذا طلب كل واحد منهم وعداً بهذا الأسلوب.

- لكنني لا أطلب منك وعداً يا دكتور كيتين. كل ما أريده هو تخمين، حتى لو كان غامضاً، لأن ذلك سيفيدني. النصف الثاني من العام القادم، على سبيل المثال. إنك لن تلزم نفسك بشيء إذا خمنت الموعد. ثم ساد صمت قصير فسّره دكسن بأنه صمت يوحي بغضب عارم، وقال:

- هل تسمح لي إذا ما سألوني بأن أجيب عن موعد النشر بالنصف الثاني من العام القادم؟
على الرغم من أن دكسن انتظر عشر ثوانٍ أو أكثر، فإنه لم يسمع سوى الطنين في سماعة الهاتف إذ أخذ يزداد من حيث الحجم والإيقاع. وهتف بسرعة:

- إن الأمور صعبة، إن الأمور صعبة، إن الأمور صعبة.

ثم ذكر بعض الصعوبات التي مرّ بها والمهام المترتبة والتي عليه أن يأخذها على عاتقه. ثم استرسل في كلامه وهو يهزّ رأسه وكتفيه كأنه دمية من الدمى. وبدا الدكتور كيتين في نظر دكسن منافساً شبيهاً بولش بما يملكه من أساليب المراوغة والخداع. كما أن انتقاله إلى أميركا الجنوبية ليس سوى ذروة تقليدية لحياة مراوغة.

ملاً دكسن رثيته بالهواء وتأوّه نصف دقيقة أو أكثر دون أن يأخذ نفساً، ثم أخرج الملاحظات التي كتبها عن محاضراته وبدأ يعيد صياغتها. بعد مرور خمس ساعات، أصبح لديه مادة تكفي لمحاضرة أمدها أربع وأربعون دقيقة. وبدا عندئذ كأنه لا توجد أي حقائق في الكون أو في دماغه أو في أي مكان آخر يمكن الإتيان بها ووضعها في المحاضرة. وأخذ حتى في مثل هذه الحالة، ينقح المحاضرة مؤشراً النقاط ذات

العلاقة القوية بها والنقاط ذات العلاقة الواهية. أما ربع الساعة الأخير من المحاضرة، فسوف يقضيه في عرض خلاصة مكثفة لا يريد بأي حال أن يدونها. كما أن عبارة من مثل «وأخيراً نشكر الله على القرن العشرين» من شأنها أن ترضيه تماماً إلاّ أنها لن ترضي ولش. ثم تناول قلمه مرة أخرى وأطلق ضحكة تتمّ عن السعادة وكتب ما يأتي:

«إن هذا الاستقصاء على الرغم من إيجازه، لا هدف له إذا ظل مجرد سجل تاريخي» ثم شطب كلمة مجرد «هناك دروس مهمة لنا جميعاً ونحن نعيش في عصر المتعة الجاهزة. ومن شأن المرء أن يندهش كيف سيكون رد الفعل عند أحد الرجال أو إحدى النساء الذين حاولت أن أصفهم إزاء بعض المظاهر الحديثة كالسينما والراديو والتلفزيون.

كيف سيفكر هذا المرء الذي اعتاد إنتاج موسيقاه الخاصة به. لا بد من أخذ ولش بعين الاعتبار هنا المجتمع الذي يعدّ فيه الناس من مثله غرباء ويستطيعون القيام بدور بدلاً من دفع المال إلى الآخرين للقيام به، وإن إنشاد قصيدة غنائية قصيرة بدلاً من أغنية راقصة رخيصة يعني الفوز بلقب المهوروس، وحيث...».

توقف دكسن عن الكتابة واتجه صوب الحمام وبدأ يستحم بعجالة بعد أن تأخر كثيراً عن ذلك. لحسن الحظ، كان لا يزال لديه بعض الوقت للإسراع نحو الفندق لتناول الشاي مع كريستين. وعلى الرغم من حيويته، شعر بقليل من الغثيان والمخاوف.

وصل إلى الفندق متأخراً دقيقتين. ولدى انعطافه نحو الصالة حيث يقدم الشاي شعر بشيء من الوجل، بل بشيء يرفسه في الحجاب الحاجز عندما شاهد كريستين جالسة بانتظاره. وأخذ بعين الاعتبار قضاء بعض الدقائق معذراً عن تأخره كي يفكر ملياً في الأشياء التي سيقولها. ولو كانت مارغريت بدلاً من كريستين لفعل ذلك، بل أكثر من ذلك.

ابتسمت له كريستين لما اقترب منها وقالت:

- مرحباً بك يا جيم.

شعر دكسن بتوتر شديد وقال وهو يكاد يسعل:

- مرحباً.

ثم جاهد كي يبعد الرغبة في التأكد من أن رباط عنقه في وضع صحيح، وكذلك حاشية الجيب، ثم جلس أمامها بحذر. كانت كريستين ترتدي سترة مصنوعة من قماش تنورتها نفسه ذات اللون الأرجواني وقميصاً أبيض اللون، وبدت ملابسها كلها مكوية حديثاً. كانت تبدو جميلة غاية الجمال، حتى إن دكسن شعر بأن رأسه أخذ يدور عندما عجز عن التفكير في شيء يقوله في هذا الصدد، ويختلف عما جاء لقوله أصلاً. فسألته:

- كيف حالك؟

- لا بأس، شكراً لك. كنت منهمكاً في العمل. أتمنى أن تكوني قد استطعت الخروج دون أي مشاكل.
- إنني لا أخرج دون مشاكل.

- أوه، إنني آسف لسماع هذا الخبر. ماذا حدث؟

- أعتقد أن برتراند يشكّ في أمرنا. لقد أخبرته بأن لديّ بعض الأشغال في المدينة وأريد إنجازها. لم أخصّ بالذكر أي شيء لأنني أعتقد أن ذلك من شأنه أن..

- تماماً. لكن كيف وافق على ذلك؟

- لم يوافق تماماً. فقد تفوّه بأشياء كثيرة من مثل أنني أفعل ما يروق لي وأني أفترق إلى الإحساس بأنني مرتبطة، مما جعلني أشعر بالخجل إلى حدّ ما.

- في وسعي أن أفهم ذلك.

ثم مالت إلى الأمام ووضعت مرفقيها فوق المنضدة الدائرية المنخفضة التي تفصل بينهما، وقالت:

- في وسعك أن تلاحظ يا جيم أنني أفكر أحياناً في أن مجيئي للقائك هنا، أو في أي مكان آخر إنما هو عمل خاطئ. لكنني وعدتك بالمجيء ولهذا تعين عليّ الحضور، وما زلت أريد الحضور فعلاً بالقدر نفسه الذي أردت فيه الحضور عندما طلبت مني ذلك. إلا أنني بدأت أفكر ثانية في الأمر وقررت.. حسناً، لنشرب الشاي أولاً ثم نتحدث بعد ذلك.

- لا، أخبريني الآن بما تريدين قوله.

- لا بأس إذاً، كل ما في الأمر يا جيم، هو أنني أعتقد أن العاطفة جرفتني قليلاً عندما طلبت مني الحضور اليوم. أظن أنني لم أكن لأوافق على المجيء لو كان لديّ متسع من الوقت للتفكير في ما أقدم عليه، لكن الرغبة في الحضور كانت ستلازمي على الرغم من ذلك. إنني آسفة إذ أذكر هذا الشيء صراحة، فإن أحداً لم يكذب يحيي الآخر وأرجو أن تفهم إلى أي شيء قد يؤدّي هذا الأمر.

لم يخطر ببال دكسن أن نزعتها هذه ستسهل مهمته. فقال بصوت ثابت:

- أتقصدين أنك لا ترغيبين في الاستمرار؟

- إنني لا أفهم حقاً كيف أستطيع الاستمرار. أتفهم أنت؟ لقد تمنيت أن أترك هذا الأمر إلى وقت آخر، لكنه لا يزال يشغل تفكيري. فأنت ثابت في مكانك هنا. أليس كذلك؟ بل أتذهب إلى لندن غالباً؟

- إنني نادراً ما أذهب إلى هناك.

- حسناً إذاً، إن الفرصة الوحيدة التي نستطيع فيها رؤية بعضنا هي عندما يطلب مني برتراند الحضور إلى هنا، والإقامة مع والديه كما هو شأني في الوقت الراهن. وعندئذ لا أعتقد أنه من الصواب أن أتسلل

لرؤيتك وقضاء الوقت كله معك. وفي جميع الأحوال...

توقفت كريستين عن الكلام وأشارت بوجهها إلى دكسن فالتفت في مكانه.

اقترب منهما نادل شاب بخطوات لا تكاد تسمع بفعل السجادة المفروشة على الأرض. وفكر دكسن في أنه لم يشاهد في حياته مثل هذا الهيكل البشري المتعطر، دون أن يشير إلى ذلك أي من ملامحه أو كلامه أو إشاراته. كان النادل يهزّ صينية فضية بين يديه في محاولة تتمّ عن عدم الاكتراث وأخذ ينظر إلى كريستين. وعندما قال دكسن «شاي لاثنين من فضلك» ابتسم النادل ابتسامة صغيرة لكريستين كأنه يرثي لحالها وعاد من حيث أتى.

قال دكسن:

- إنني آسف. ماذا قلت؟

- إنني مرتبطة ببرتtrand. هذا كل ما في الأمر. ليست المسألة متعلقة بالالتزام تجاهه، بل إنني لا أريد أن أتصرف بحماقة. كما لا أظن أن هناك أي حماقة بمجيئي للقائك. أوه، إنني لا أستطيع أن أوضح الأمر بالشكل الذي يبدو فيه معقولاً.

بدأت كريستين تضيئي شيئاً فشيئاً طابع الهيئة على حديثها وشكلها وواصلت الكلام قائلة:

- أخشى أن كل ما أطلبه منك هو أن تفهمني. أظن أن هذا هو ما يقوله الجميع، بينما لا أشعر شخصياً أنني أفهم نفسي جيداً. أما كيف أتوقع منك أن تفهمني، فهذا أمر لا أعرفه. لكن هذه هي المشكلة.

- أنت تتراجعين إذاً عما ذكرته سابقاً وهو أنك لا تستطيعين تحمل برتراند بعد اليوم.

- كلا، لا يزال ذلك صحيحاً تماماً. إن ما أحاول القيام به الآن

هو تقبل الحلو والمر. الأجزاء المُرّة لا تزال كعهدي بها عندما تحدث إليك عنها في سيارة الأجرة. لكن ينبغي لي أن أبذل جهدي، إذ ليس من المعقول أن انسحب عندما أشعر أنني أرغب في ذلك، كما أنني لا أستطيع أن أتوقع من الناس أن يتصرفوا كما أريد طوال الوقت. لا بد من وجود حدود دنيا وقصوى في أي علاقة من مثل علاقتي بيرتراند. لا بد من قبول ذلك حتى لو لم أرغب فيه. والمشكلة هي أنني ينبغي أن أبعثك جانباً عندما أفعل ذلك.

فقال دكسن:

- لا تقلقي بشأن ذلك. ينبغي لك أن تفعلي ما يلائمك تماماً.

فقالت:

- ما أفعله لا يمكن أن يكون مرضياً تماماً. أشعر أنني كنت غبية طوال الوقت.

بدت هيبة كريستين كاملة، غير أن دكسن لم يكذب يلحظها وأضاف:

- لا أريد أن تفكر في أنني كنت طائشة عندما سمحت لك بتقبيلي ووعدتك بالحضور هذا اليوم. لقد كنت أعني كل ما قلته لك، وإلا لما تفوّت بذلك. ولا أريدك أن تعتقد أنني فعلت هذا لغرض اللهو أو لأنني أشعر بحب كافٍ إزاءك منذ تلك اللحظة أو غير ذلك. ليس الأمر كذلك، ويجب ألا تفكر هكذا.

- لا بأس يا كريستين. في استطاعتك أن تنسي كل ما في الأمر. أوه، ها نحن الآن...

ظهر النادل مرة أخرى بجانب دكسن وهو يحمل صينية مملوءة فقربها من المنضدة وهو يكاد يسقطها من يده، إلا أنه عاد فوضعها على المنضدة برفق مبالغ فيه، ثم ابتسم مرة أخرى وهو يعتدل، لكن ابتسامته جاءت هذه المرة لدكسن، ثم توقف كأنما يريد تأكيد عدم نيته في تقديم

الشاي، ثم غادرهما وهو يتظاهر بالعرج.

تحركت كريستين من مكانها وأخذت تصبّ الشاي. وعندما ناولت دكسن قدحه قالت:

- إنني آسفة يا جيم. لم يكن في نيتي أن أتصرف بهذا الشكل. هل ترغب في قطعة من السندويتش؟
- شكراً لك. لا أرغب في أكل أي شيء.

أومات كريستين برأسها وبدأت تأكل بشهية واضحة. أما دكسن فقد شعر بالسرور للغياب التقليدي لحساسيته التقليدية، إذ ولأول مرة في حياته تقريباً تتصرف امرأة تصرفاً يزعم أنه نموذج لتصرف المرأة. وقالت:
- على أي حال، أنت ما تزال مرتبطاً بمارغريت أليس كذلك؟
أطلق دكسن حسرة وهو يرتعش إلى حدّ ما. فقد انتهى نظرياً أسوأ جزء من المواجهة دون أن يؤثر ذلك فيه كما تصور. إلا أنه ظل متوتراً وأجاب:

- نعم، هذا ما كنت أريد أن أحدثك بشأنه عصر ذلك اليوم، لكنك تحدثت قبلي. لقد أتيت لأقول لك إنه ينبغي ألا نلتقي بعد الآن بسبب علاقتي بمارغريت.

فقالت وهي تتناول قطعة أخرى من السندويتش:

- أفهم ذلك.

- لقد فكرت في هذا في الأيام القليلة الماضية ولا سيما منذ الحفلة.

فنظرت إليه كريستين بسرعة وقالت:

- هل حدثت بينكما مشاجرة؟

- حسناً، نعم. أعتقد أن في وسعك أن تقول لي ذلك، بل أكثر من

ذلك.

- هل رأيت؟! لقد سببت لك الكثير من المشاكل عندما تسللت وإياك بتلك الطريقة.

فقال دكسن بانزعاج:

- لا تكوني سخيقة يا كريستين. أنت تحدثين كأنك البادئة بالموضوع. إذا كان هناك شخص مسؤول عن المشاكل جميعها التي وقعت، كما تقولين، فهو أنا. ولا أعتقد أن اللوم يقع عليك أكثر مما يقع عليّ أيضاً. لقد حدث كل شيء على نحو طبيعي، أما التوبيخ الذاتي فيبدو لي مفتعلاً.

- آسفة. لا بد أنني أخطأت التعبير، ولا أعتقد أنني أفتعل أي شيء على حدّ علمي.

- لا أعتقد أنا أيضاً أنك تفتعلين الأشياء. فأنا لا أريد أن أبدو هائجاً مائجاً لأن قضية مارغريت تثيرني حقاً.

- هل هي في حالة سيئة؟ ماذا قالت لك؟

- أوه، قالت أشياء كثيرة، ولم تترك شيئاً إلاّ ذكرته.

- أنت تهوّل الأمور. ما الذي حدث حقاً؟

أطلق دكسن حسرة أخرى وشرب بعض الشاي ثم أضاف:

- المسألة شائكة كلها ولا أريد أن أسبّب لك الضجر.

- لن تسبّب لي الضجر. أودّ أن أسمع ما تقول إذا أردت، فالدور دورك فعلاً.

ثم ابتسمت كريستين لهذه الملاحظة، مما اضطر دكسن إلى الخروج عن الموضوع ففكر «هل ترى في هذا أمراً مضحكاً حقاً؟» قال على نحو ثقيل:

- لا بأس، هناك أشياء حدثت في الماضي مما يزيد في تعقيد الأمور. إن مارغريت فتاة مهذبة دون ريب وأنا أحبها كثيراً. على الأقل أحبها إذا

سمحت لي، إلا أنني وجدت نفسي مرتبطاً بها دون قصد على الرغم من أنني أعلم أن ذلك يبدو مضحكاً. عندما التقيتها أول مرة في شهر تشرين الأول الماضي، كانت مرتبطة بشخص اسمه كاجبول...

واصل دكسن حديثه مع كريستين وقدم لها عرضاً موجزاً لعلاقته السابقة بمارغريت منذ البداية حتى ذهابهما إلى السينما مساء أمس. ثم ناول كريستين سيجارة، وكانت قد فرغت من تناول الطعام كله الذي جلبه النادل. ثم أخذ دكسن سيجارة وأضاف:

- وهكذا تجدين أن العلاقة بدأت من جديد على الرغم من أنني لا أريد أن أضطر إلى تفسير ما أعنيه بأنها بدأت من جديد. كما أن كلمة بدأت غامضة قليلاً، ولا أظن أنها تعرف تماماً مدى حبي لك. كما لا أتصور أنها ستشكرني إذا ما أخبرتها بذلك.

تجنبت كريستين النظر إلى عينيه، وهي تدخن سيجارتها وقالت بلهجة تنم عن عدم الاكتراث:

- كيف بدت عندما غادرتها؟

- كانت هادئة تماماً، كما في أي مساء آخر. أوه، أظن أن ذلك يبدو وقحاً تماماً لكنني لا أقصد ذلك. أقصد أنها كانت... حسناً، لم تكن منفعة تماماً ولم يظهر عليها أي قلق أو توتر خلافاً للمألوف.

- أعتقد أنها ستستمر على هذا الوضع بعد أن أخذت تشعر الآن أن الأمور استقرت أكثر مما مضى؟

- حسناً، لا بد لي من الإقرار بأن الأمل أخذ يراودني...

بعد أن صرح دكسن بأمله، بدا ساذجاً ومضحكاً. وأضاف:

- أوه، لا أعرف. الأمر سيان على أي حال.

- يظهر أنك منزعج بشأن المسألة كلها.

- صحيح؟ إن المسألة لم تكن سهلة أبداً.

- ولن تصبح أكثر سهولة أليس كذلك؟

لم يجب دكسن بشيء عن هذا السؤال الاستفزازي. فأضافت وهي تنفض رماد سيجارتها في الصحن:

- لا أعتقد أنك تريد مني أن أقول ذلك، لكن لا بد أن تدرك ذلك بنفسك كما أظن. إنني لا أستطيع أن أرى كيف ستعيشان سعيدين معاً. حاول دكسن أن يكبح انزعاجه وقال:

- كلا، لا أعتقد أننا نستطيع. لكن ما حيلتنا؟ كل ما في الأمر أننا لا نستطيع الانفصال.

- حسناً، ما الذي ستفعله بعد ذلك؟ هل تتقدم لخطبتها؟
شعر دكسن بأن فضولها القديم الذي أظهرته قبل أسابيع كثيرة بشأن عاداته في الشرب قد عاد إلى الظهور من جديد. فقال بيروود وهو يحاول ألا يفكر في موضوع خطوبته بمارغريت:

- أظن ذلك ممكناً إذا استمرت الأحوال على وضعها الراهن بعض الوقت.

لم تتبه كريستين للهجته غير الودية، ثم تحركت وألقت نظرة على أرجاء الغرفة وقالت بلهجة تعليمية:

- حسناً، يبدو كأن لكل واحد منا شخصاً آخر يهتم به، عظيم. تفاعلت هذه التفاهة ومشاعر دكسن الخاصة بالندم وجعلته يتحدث بسرعة:

- نعم، ليس أمامنا مجال واسع للاختيار عندما تتفحصين المسألة. فأنت تحتفظين بعلاقتك البسيطة ببرتراند لأنك تعتقدين أنها عموماً أكثر استقراراً من المخاطرة معي، على الرغم من المخاطر التي تكتنف ذلك النوع من العلاقات. كما أنك تعرفين جيداً العقبات الخفية معه وتجهلينها معي. يضاف إلى ذلك أنني مرتبط بمارغريت لأنني لا أملك الجرأة الكافية

لأجعلها تهتم بنفسها، وهكذا أهتم بها بدلاً من القيام بما أريد لأنني أخشى ذلك. إن وضعنا مشوب بالحذر الشديد.

ثم نظر دكسن إلى كريستين بشيء من الاحتقار، وشعر بالأذى لأنه أحسّ بالمشاعر ذاتها تكتنف نظرتها إليه وأضاف:

- هذا كل ما في الأمر، والأسوأ من هذا أنني سأستمر بالقيام بما قمت به أساساً. وهذا يبيّن لك كيف أنه لا يساعدك إلا قليلاً في معرفة موقعك.

لسبب ما ذكرت هذه العبارة الأخيرة دكسن بفكرة مؤداها أنه بقليل من الكلمات يستطيع أن يجعل كريستين تتخلى عن ارتباطها بيرتراند. وما عليه إلا أن يخبرها بما قالته له كارول. لكن ربما هي على علم بالأمر، ولعلها مولعة جداً بيرتراند مما لا يجعلها تقطع علاقتها به لسبب كهذا، ولعلها على استعداد للقبول بجزء منه بدلاً من عدم الحصول على أي شيء. على أي حال، كيف ستفكر كريستين فيه إذا طرح هذا الموضوع في مثل هذا الوقت؟ لعل من الأفضل نسيان الموضوع أيضاً.. يبدو أنه لا توجد أي فرصة مناسبة لكشف الأمر أمام أي شخص، لكنه ليس من قبيل الإنصاف أن يبقى ساكناً على ذلك بعد أن احتفظ به طويلاً، وانتظر اللحظة المناسبة للبوح به.

أمالت كريستين رأسها إلى الأمام فوق الصحن الذي كانت تطفئ فيه سجائرها وقالت ووجهها ما زال مائلاً:

- أعتقد أنك تريد إثارة أزمة أكثر من اللازم. أليس كذلك؟ لم يحدث بيننا ما يدعوك إلى الحديث هكذا.

- موافق. لكن ليست هذه طريقة للحكم على...

رفعت كريستين رأسها فالتقت عيونهما وتورّد وجهها مما جعله يصمت. وقالت بنبرة ضعيفة لم يلحظها إلا قليلاً من قبل:

- أعتقد أن من السذاجة التحدث هكذا. تبدو كأنك تعتقد أنك برهنت شيئاً بحديثك هذا. ذلك ما فعلناه حقاً. لكنك تتحدث كأن ذلك هو كل ما فعلناه. ألا تعتقد أن الناس يفعلون الأشياء لأنهم يرغبون في ذلك. لا أستطيع أن أفهم كيف تسمّي محاولة عمل شيء صحيح بالحدز والافتقار إلى الجرأة. إن إقدامك على عمل شيء تعرف أنه يتعيّن عليك القيام به، أمر فظيع في بعض الأحيان. هناك شيء ذكرته في حديثك ويجعلني أعتقد أنك تظن أنني أمارس الجنس مع برتراند. إذا فكرت بهذه الطريقة فأنت لا تعرف الكثير عن شؤون النساء. وأنا غير مندهشة إذا كنت قد مررت بظروف قاسية ما دمت تفكر هكذا. أنت من الأشخاص الذين لم يتذوقوا طعم السعادة بغضّ النظر عن كل ما تفعل. أظنني سأذهب الآن يا جيم. لا أعتقد أن ثمة فائدة في...

فقال دكسن بقلق بعد أن رأى الأمور تتطور سريعاً بينهما:

- لا، لا تذهبي، ولا تغضبي. انتظري قليلاً.

- أنا لست غاضبة، بل أشعر بالسأم من كل ما حصل.

- وأنا كذلك.

في هذه الأثناء قال النادل وهو يقف بجوار دكسن:

- أربعة شلنات.

كان صوته الذي سمعاه أول مرة يوحى بأن قطعة من الحلوى قد التصقت في مؤخرة بلعومه.

فتش دكسن في جيوبه ودفع الحساب وشعر بالسعادة لمقاطعته، إذ أتاح ذلك له الوقت كي يستعيد جزءاً من توازنه العاطفي. ولما أصبحا وحدهما مرة أخرى، قال:

- أيرى أحدنا الآخر في المستقبل؟

- مرة واحدة على أي حال. سأحضر محاضرتك والحفلة التي تسبقها عند عميد الكلية.

- أوه، يا إلهي! لا أعتقد أنك ستحضرين الحفلة يا كريستين، فهي مملة جداً. كيف تمّ ذلك؟

- طلب عميد الكلية من عمي الحضور، ويبدو أنه قال إن الوقت غير ملائم، لكنه يصرّ الآن على حضوري معه.

- أمر غريب.

- وأعرب عن أمله في أن تلتقيا ثانية.

- لمّ قال ذلك؟ إنني لم أكد أتحدث إليه سوى بكلمتين.

- سأراك عن بعد، على أي حال، وهذا شيء جميل حقاً.

وفجأة قالت كريستين بصوت مختلف تماماً:

- كلا إنه ليس شيئاً جميلاً في الواقع. كيف يمكن ذلك؟ سنلهو كثيراً. أليس كذلك؟ الوقوف والتحدث إلى برتراند وعمي وبقية الناس كأنني طفلة صغيرة. أوه، نعم. سأستمتع كثيراً. شكراً جزيلاً. شيء.. شيء لا يحتمل.

ثم نهضت من مكانها ونهض دكسن الذي لم يجد شيئاً يقوله. فأضافت:

- هذا يكفي. إنني ذاهبة الآن، شكراً على الشاي.

- أعطني عنوانك يا كريستين.

نظرت إليه كريستين بازدراء بينما اتسعت عيناها تحت حاجبيها

السوداوين وقالت:

- لا فائدة من ذلك. إلأم ترمي من وراء ذلك؟

- ذلك يجعلني أشعر أننا لم نفرق قط.

- حسناً، لا فائدة من ذلك الشعور أليس كذلك؟

ثم أسرع في الخروج من أمامه، وغادرت الغرفة دون أن تنظر ورائها.

جلس دكسن ثانية ودخن سيجارة أخرى وشرب نصف قذح بارد تقريباً من الشاي. ولم يتصور أنه من الممكن أن يشعر رجل فعل تماماً كل ما خطّط له بمثل هذا الإحساس العنيف بالفشل واللاجدوى. وفكّر قليلاً: لو أن كريستين تشبه مارغريت وأن مارغريت تشبه كريستين، فإن معنوياته ستكون جيدة جداً الآن. غير أن ذلك التفكير يعني التفكير في اللاموجودات. فإذا كان لمارغريت وجه كريستين وجسدها فإنها لن تصبح أبداً مارغريت. وكل ما يمكن قوله منطقياً إن كريستين كانت محظوظة إذ بدت لطيفة جداً، إن ما يحتاج إليه هو الحظ دائماً. لو كان لديه قليل من الحظ لاستطاع أن يغيّر مجرى حياته. نهض من مكانه وفكّر في أن الوقت لا بد قد حان لاجتماع الممتحنين. وبعد أن أبعد عن ذهنه فكرة أن مارغريت قد تكون موجودة هناك، خرج. إلا أنه عاد ثانية واقترب من النادل الذي كان يستند إلى الجدار وقال له:

- أيمكنك أن تعطيني بقية الحساب؟

- بقية الحساب؟

- نعم، بقية الحساب. أتعطيني ذلك؟

- هل أعطيتني خمسة شلنات؟

- نعم، بينما كانت قائمة الحساب أربعة شلنات. أريد الشلن الباقي.

- ألم يكن الشلن الباقي لي؟

- ربما كان ذلك. أما الآن فلا. أعطني إياه.

- الشلن كله؟

- نعم كله. الآن. أعطني إياه.

لم يبذل النادل أي محاولة لإعطاء دكسن الشلن المتبقي. وقال

بصوت نصف مكتوم:

- معظم الناس يمنحونني بعض النقود.

- معظم الناس من شأنهم أن يرفسوك على مؤخرتك الآن. إذا لم

تعطني الشلن المتبقي في غضون خمس ثوانٍ، فسوف أستدعي المدير.

بعد مرور أربع ثوانٍ كان دكسن قد خرج من الفندق إلى أشعة

الشمس والشلن المتبقي في جيبه.

* * *

ما هو التطبيق الفعلي النهائي لهذا كله؟ هل في وسع أي شيء أن يوقف أو يمنع العملية التي وصفتها؟ أقول لكم إن في استطاعة كل واحد منا موجود هنا الليلة أن يفعل شيئاً ما. وفي وسع كل واحد منا أن يقرر عمل شيء ما كل يوم لمقاومة تطبيق المقاييس المصنوعة، ومقاومة قطع الأثاث القبيحة وأدوات المائدة ومناهضة العمارة المزيفة ومقاومة استيراد مكبرات الصوت التي تذيب البرامج الخفيفة بعد أن شاع استعمالها في الكثير من الأماكن العامة، وقول كلمة واحدة ضد الصحافة الصفراء وضد الكتب الأكثر رواجاً، وضد مؤسسة المسرح، وقول كلمة واحدة لأجل الثقافة الغريزية للمجتمع المتكامل الشبيه بالقرية. بهذه الطريقة سنقول كلمة، مهما كان أثرها ضئيلاً، لأجل تراثنا الوطني، لأجل تراثنا المشترك، وباختصار لأجل ما كنا نملكه وما سنملكه في المستقبل وهو إنكلترا السعيدة.

نهض دكسن من الكرسي الذي جلس عليه، وكتب الفقرة أعلاه وهذى ببعض الكلمات غير المفهومة، وأخذ يقلد القرد في أرجاء الغرفة. لوى ذراعه عند المرفق حتى إنه استطاع أن يحشر أصابعه تحت إبطه. أما الذراع الثانية فرفعها عالياً ووضعها فوق رأسه وأخذ يتمايل وركبته منحنيان وظهره محدودب واتجه صوب السرير وقفز فوقه مرات عديدة وهو يثرثر مع نفسه. وفجأة سمع صوت طرق على الباب أعقبه دخول برتراند بسرعة حتى لم يتسنّ لدكسن الوقت الكافي إلا للتوقف عن الثرثرة والاعتدال. كان برتراند يرتدي بيرييه زرقاء اللون وأخذ ينظر إلى دكسن وقال:

- ماذا تفعل هنا؟

- أحب أن أكون موجوداً هنا. هل لديك أي اعتراض؟
- هيا انزل وتوقف عن التهريج. أودّ أن أتحدث إليك، ومن الأفضل أن تصغي إليّ.

بدا برتراند رابط الجأش على الرغم من الغضب الذي تختلج فيه نفسه، وكان يتنفس بصعوبة وربما كان سبب ذلك صعوده السلالم راکضاً. قفز دكسن برفق إلى الأرض وهو يلهث قليلاً وقال:
- ماذا تريد أن تقول؟

- لا أكثر مما يأتي: أخبرتك في المرة الأخيرة التي التقينا فيها أن تبتعد عن طريق كريستين. وقد اكتشفت الآن أنك لم تلتزم بذلك. ما هو تعليقك؟

- ماذا تقصد بكلامك أنني لم أبتعد عنها؟
- لا تحاول ذلك معي يا دكسن. أنا أعرف كل شيء عن شربك الشاي سراً معها يوم أمس. إنني على علم بالأمر.
- أوه، هل أخبرتك بذلك؟

أطبق برتراند شفثيه من وراء لحيته التي كانت تحتاج إلى تمشيط وقال بلهجة عنيفة:

- كلا، لم تخبرني في الواقع. لو كنت تعرفها جيداً، لأدرت أنها لن تتصرف بذلك الأسلوب. إنها لا تشبهك. إذا أردت أن تعرف فعلاً - وأرجو أن تكون هذه مفاجأة لك - فإن أحد أصدقائك المزعومين في هذا البيت هو الذي أخبرني بما حدث. عليك أن تفرح بالتفكير في هذا. يكرهك الجميع هنا يا دكسن وتستطيع أن تفهم السبب في ذلك. على أي حال، إنني أريد تفسيراً لتصرفاتك.

فقال دكسن وهو يبتسم:

- أوه، يا عزيزي. أظن ذلك مطلباً صعباً. أفسر تصرفاتي. أنت تطلب

شيئاً لا أعتقد أن هناك أي شخص يستطيع القيام به.

كان دكسن يراقب برتراند عن كثب وهو يحاول تأجيل التفكير بهذه الضربة الأخيرة التي سددها له جونز - إذ من غيره يفعل ذلك؟ - إلى وقت آخر.

قال برتراند وقد احمرّ وجهه:

- كفى يا دكسن. قد حذرتك صراحة أن تترك كريستين وشأنها. وعندما أقول كلاماً كهذا فإني أتوقع من الناس أن يملكوا من الإحساس ما يجعلهم يلتزمون بما أقول. لماذا لم تلتزم أنت؟

كانت ثورة برتراند وزيارته دكسن في هذا المكان وغير ذلك من الأسباب جعلت دكسن يفقد اهتمامه بكريستين ثم يتخلى عن حملته على برتراند. إلا أنه سيغدو أحرق لو لم يحتفظ بذلك لنفسه فترة من الوقت ويستمتع بقليل من المشاكسة. فقال:

- إنني لم أرغب في ذلك.

ساد صمت قصير بدا خلاله برتراند كأنه يوشك أن يطلق صرخة مدوية وبدت عيناه مثل زجاج صقيل. لكنه قال بصوت أكثر هدوءاً من ذي قبل:

- انظر إليّ يا دكسن. يبدو أنك لا تقدّر عاقبة تورطك في هذه الأمور. أرجو أن تسمح لي بأن أوضح لك.

ثم جلس على ذراع الكرسي وخلع البيريه التي كانت لا تلائم بدلته السوداء والياقة البيضاء والرباط المزركش، أما دكسن فجلس على السرير الذي أن برفق تحته. وبدأ برتراند يشرح الموضوع وهو يداعب لحيته:

- إن علاقتي بكريستين علاقة جادة. لا جدال في ذلك. لقد تعرف أحدنا إلى الآخر منذ فترة لا بأس بها. وليست غايتنا اللهو. هل فهمت؟ إلا أنني لا أريد الزواج حالياً على الرغم من أن هذا الموضوع محتمل جداً،

وقد أتزوجها في غضون العامين القادمين. إن ما أقصده هو أن علاقتي بها علاقة طويلة الأمد على وجه التحديد. في الوقت الراهن لا تزال كريستين شابة صغيرة، بل أصغر مما تبدو. وهي لم تألف عمليات الخطف التي يقوم بها هؤلاء الأشخاص من حلبات الرقص، ودعوتهما إلى حفلات الشاي في الفنادق وما قد ينجم عن ذلك. وفي ظل الظروف الراهنة، من الطبيعي جداً أن تشعر أنها ترغب في أن يعبر الآخرون عن إعجابهم بها، وهي تستمتع بذلك فترة من الوقت. لكن ذلك لا يدوم طويلاً يا دكسن، إذ سرعان ما يتتابها الشعور بالذنب وتتمنى لو أنها لم توافق على لقائك أبداً. من هنا ستبدأ المشكلة. فهي بطبيعتها ستشعر بالأسى للتخلص منك ولإقدامها على فعل بعض الأشياء دون علمي - وهي لا تدري بعد أنني على علم بالأمر - ولمجمل الحرب الدائرة بيننا. حسناً، إنني أريد أن أحول دون وقوع هذا لسبب بسيط هو أن ذلك لا يفيدني بتاتاً، لقد قضيت تواتاً طويلاً كي أصحح مسار العلاقة ولا أريد أن أبدأ من جديد مرة أخرى. لهذا السبب، أريد أن أقول ما يأتي: ابتعد عن طريقها، هذا كل ما هناك. فأنت لا تسبب إلا المشاكل إذا واصلت هذه التصرفات، كما أن الأمر لن يعود عليك بأي نفع ولن تؤذي سوى كريستين وتسبب لي الضيق. لقد بقي على وجودها هنا بضعة أيام. ومن الحماسة أن تفسدها بهذه الأشياء. هل أصبح هذا مفهوماً لديك؟

أشعل دكسن سيجارة كي يخفي الأثر الذي خلفه فيه هذا الشرح عن دوافع كريستين. لقد أثر فيه برتراند على نحو لم يتوقعه. وقال بلهجة رغب في أن تكون لهجة لامبالية:

- نعم، كل شيء مفهوم ولكن إلى حد ما، ما عدا النقطة الخاصة بتصحيح أفعالها وهو هراء وتمنيات ليس إلا. على أي حال، لا اعتراض على ذلك أيضاً. من الواضح أن كل شيء معقول بالنسبة إليك، لكن على

الرغم من ذلك لا يبدو أي شيء مفهوماً بالنسبة لي لأنك لا تدرك أن كل شيء صحيح إذا كانت فرضياتك الأولى صحيحة أيضاً.
فقال برتراند بصوت عالٍ:

- لقد قلت لك يا صاح إن كل شيء صحيح. هذا ما قلته لك.
- نعم، فقد لاحظت ذلك، لا تتوقع مني أن أبتين فرضياتك. لقد حان دوري الآن لأقول لك شيئاً ما. إن المسألة الجادة والطويلة الأمد لا علاقة لها بك وبكريستين. أوه، كلا، بل لها علاقة بي أنا وبكريستين. إن ما يحدث هو أنني لا أحوّل انتباهها عنك، بل أنت الذي يحوّل انتباهها عني. ولن يستمر ذلك الوضع طويلاً. هل هذا مفهوم؟

نهض برتراند على قدميه مرة أخرى، وواجه دكسن وساقاه مفتوحتان قليلاً وتكلم بلهجة عادية وأسنانه مطبقة:

- افهم هذا جيداً. عندما أريد شيئاً فإنني أحصل عليه ولا أسمح للأشخاص من مثلك بالوقوف في طريقي. هذا ما لم تفكر فيه. إنني أحصل على كريستين لأن هذا حقي. هل فهمت؟ إذا سعيت وراء شيء ما، فإنني لا أعير ما أفعله لأجل الحصول عليه أهمية. هذا هو القانون الوحيد الذي ألتزم به، وهذه هي الطريقة الوحيدة للحصول على الأشياء في هذا العالم. لكن المشكلة يا دكسن هي أنك لست من وزني. فإذا أردت المنازلة ينبغي لك أن تختار شخصاً آخر من وزنك، وعندئذ قد تكون أمامك فرصة للفوز. أما معي فلا أمل لك أبداً.

تقدّم دكسن خطوة واحدة من برتراند وقال بسرعة:

- لقد تقدّمت في السن حتى لم يعد في وسعك القيام بذلك بعد الآن يا ولش. إن الناس لن يواصلوا فسح الطريق أمامك إلى ما لانهاية. أنت تفكر بهذه الطريقة لأنك طويل القامة وفي وسعك وضع الألوان فوق القماش وتظن أنك ذو قدرات خارقة إلى حدّ ما. لن يكون الأمر

سيئاً لو كنت حقاً كذلك، لكنك لست كذلك. أنت لست سوء مخادع ومكابر ومستأسد وأحمق. أنت تعتقد أنك إنسان حساس لكنك واهم. إن حساسيتك لا تبرز إلا في ما يفعله الناس بك. ربما كنت مختلاً وسعياً الخلق. نعم، لكن ليس حساساً البتة.

توقف دكسن قليلاً وكان برتراند يحملق إليه دون أن يبذل أي محاولة لمقاطعته. فأضاف دكسن قائلاً:

- أنت تعتقد أنك عاشق عظيم، وهذا خطأ أيضاً، فأنت تخاف مني كثيراً، أنا الإنسان الذي تعتقد أنه ليس سوى قملة حتى إنك أتيت إلى هنا لتقول لي ابتعد عن الطريق، كأنك زوج بليد. وقد بلغ بك التضييل أنك تقول لي إن كريستين يهكم أمرها دون أن يخطر ببالك أنك تواصل مغامراتك مع زوجة شخص آخر طوال الوقت. المسألة ليست أنني أعترض على هذا السلوك، بل أعترض على الطريقة التي لم تفكر بها قط في مدى نفاقك...

فصرخ برتراند وأنفاسه تكاد تصفر داخل أنفه بينما أحكم قبضته:

- من الذي تتحدث عنه؟

- إنني أتحدث عن غرامياتك مع كارول غولد سمث.

- أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث.

- أوه، يا صديقي العزيز. لا تبدأ بالإنكار. ثم لماذا القلق؟ من

المؤكد أنها أحد الأشياء التي تملكها لأن ذلك من حَقك. أليس كذلك؟

- إذا أخبرت كريستين بهذه القصة فسوف أدقّ عنقك.

فقال دكسن وهو يبتسم:

- لا بأس، أنا لست من الأشخاص الذين يفعلون ذلك. أنا لست

مثلك، في وسعي الاستحواذ على كريستين دون أن أخبرها بذلك، أيها

النقاش البايروني.

فصاح برتراند غاضباً:

- لا بأس، لقد قلت ذلك وأنا أحذرك.

ثم تقدّم وهو يعلو دكسن وأضاف:

- هيا، انهض أيتها الذبابة القذرة التافهة.

- وماذا سنفعل؟ هل نرقص؟

- سأجعلك ترقص، لا تقلق. انهض على قدميك إذا لم تكن خائفاً،

وإذا كنت تعتقد أنني سأجلس ثانية وأخذها منك فأنت على خطأ، فأنا لست من هذا النوع أيها الـ..

فصرخ دكسن في وجهه:

- أنا لست... أيها الأحمق.

ثم خلع نظارته ووضعهما في جيب سترته العلوي.

وقف كل منهما إزاء الآخر فوق السجادة. كانت سيقانهما متباعدة

وسواعدهما ملتوية في اتجاهات غير محددة كأنهما يوشكان أن يؤدّيا بعض

الطقوس التي لم يتقنا بدايتها. في هذه الأثناء صاح برتراند ولكم دكسن

في وجهه مما جعله ينتحى جانباً، لكن قدمه انزلقت وقبل أن يتمالك نفسه

سدّد له برتراند ضربة قوية أخرى على خده الأيمن، فاهترّ دكسن قليلاً إلاّ

أنه لم يفزع بل وقف ساكناً. وبينما كان برتراند مختل التوازن إثر الضربة

التي سدّدها، انتهز دكسن الفرصة وسدّد له ضربة هائلة على إحدى أذنيه

الكبيرتين فهوى على الأرض محدثاً دويّاً هائلاً، كما سقطت على الأرض

أيضاً قطعة من الخزف الصيني تمثل تمثالاً صغيراً كان موضوعاً فوق رفّ

المدفأة وتناثرت قطعاً صغيرة. ساد الصمت فترة وجيزة، فتقدّم دكسن

إلى الأمام وهو يفرك كلتا يديه بعد أن أحسّ بقليل من الألم جراء تسديد

اللكمة. وبعد ثوانٍ معدودة، بدأ برتراند يتحرك فوق الأرض، إلاّ أنه لم

يبذل أي محاولة للنهوض. بدا واضحاً أن دكسن ربح الجولة، كما بدا

أيضاً أنه ربح المباراة كلها. وضع نظارته على عينيه مرة أخرى وهو يشعر أنه على ما يرام. فنظر إليه برتراند نظرة اعتراف يشوبها الحرج. ففكر دكسن ثم قال:

- يا صاحب الوجه الشبيه بالحذاء العتيق، يا عمود الطوطم فوق غرفة الركام الفاسد.

في هذه الأثناء سمع طرقاتاً خفيفاً على الباب كأنما يعبر عن الاستحسان الخفي في استخدام هذه العبارات. فقال دكسن فوراً:
- ادخل.

مكتبة

دخل ميشي وقال:

- مساء الخير يا سيد دكسن.

ثم أضاف بأدب موجهاً كلامه إلى برتراند الذي كان ما يزال مستلقياً على الأرض:

- مساء الخير. يبدو أنني وصلت في وقت غير مناسب.

حاول برتراند أن يقف على قدميه لدى سماعه صوت ميشي. أما دكسن فقال برقة:

- كلا، البتة. إن السيد ولش يوشك أن يذهب.

هز برتراند رأسه محاولاً استعادة رباطة جأشه مما أثار متعة دكسن الذي سار وإياه كالمضيف صوب الباب، ثم خرج دون أن يقول شيئاً. قال دكسن:

- مع السلامة.

ثم التفت إلى ميشي قائلاً:

- هل في وسعي أن أقدم لك أي خدمة يا سيد ميشي؟

بدت على ميشي أمارات يصعب تفسيرها، إلا أنها على الرغم من ذلك كانت جديدة على دكسن وقال:

- لقد أتيت بسبب ذلك الموضوع.

- أوه، نعم. اجلس من فضلك.

- كلا، شكراً. لا بد لي من الذهاب بسرعة. لقد أتيت لأخبرك بأني
فكرت ملياً في الموضوع مع الأنة أوشونوسي والأنة ماك كوركوديل
والأنة ريز وليمز واتخذنا قراراً في النهاية.

- حسناً، ما هي النتيجة التي توصلتم إليها؟

- حسناً، إنني آسف إذ أخبرك بأن الأنة الثلاث قررن أن
الموضوع يثير فزعهن إلى حد ما. لذلك قررت الأنة ماك كوركوديل
أن تدرس موضوع الوثائق مع السيد غولد سمث، بينما قررت الأنة
أوشونوسي وريز وليمز دراسة موضوع الأستاذ ولش.

شعر دكسن بغصة لهذا النبأ، إذ كان يريد أن تكون الفتيات الجميلات
معه، والتغلب على اعتراضاتهن واختيار موضوعه لأنه لطيف جداً وجذاب
جداً. فقال:

- أوه، حسناً. أمر يدعو إلى الأسى وأنت يا سيد ميشي؟

- رأيت أن موضوعك جذاب جداً فقررت اختياره وأحب أن أسجل
اسمي رسمياً إذا كان هذا في استطاعتي.

- ستكون وحدك معي إذاً.

- نعم، وحدي.

ساد الصمت فترة وجيزة. فحكّ دكسن ذقنه وقال:

- حسناً، إنني متأكد من أننا سنلهو قليلاً عندئذ.

- أنا أيضاً متأكد من ذلك. حسناً، شكراً جزيلاً. أكرّر أسفي لتطفلي

بهذا الشكل.

- لا، مطلقاً. لقد كنت عوناً كبيراً لي. سأراك في الفصل القادم إذاً يا

سيد ميشي.

- سأحضر محاضرتك هذا المساء.

- لماذا ستحضر؟

- الموضوع يثير اهتمامي حقاً. وأظن أنه لا بد أن يثير اهتمام عدد كبير من الناس أيضاً.

- أوه، ماذا تقصد؟

- وعدني بالحضور كل شخص أخبرته بموضوع محاضرتك. أعتقد أن القاعة ستغص بالحضور.

- لا بد لي من القول إن ذلك يبعث على الارتياح. حسناً، أرجو أن تستمتع بالمحاضرة.

- أنا متأكد من أنني سأستمتع. شكراً مرة أخرى، حظاً سعيداً الليلة.

- إنني أحتاج إلى ذلك، إلى اللقاء.

عندما غادر ميشي الغرفة، فكّر دكسن في أنه لم يخاطبه مرة واحدة بكلمة أستاذ. لكن إلى أي حدّ سيكون الفصل القادم فظيلاً؟ من ناحية أخرى، بدأ يشعر أكثر من ذي قبل أنه لن يكون هناك فصل قادم بقدر ما يتعلق الأمر به. لن يكون هناك فصل جامعي على أي حال.

داعب ذقنه مرة أخرى. من الأفضل أن يحلق ذقنه قبل أن يفعل أي شيء آخر. وبعد ذلك سيذهب ويتأكد من وجود أتكسن، إذ شعر أن رفقة ذلك الشخص والشراب المتوافر لديه، هما الشيطان اللذان يحتاج إليهما قبل أن يحلّ المساء.

* * *

قال عميد الكلية:

- أرجو ألا تؤلمك كثيراً يا دكسن.

فقال دكسن بلهجة ناعمة، بينما امتدّت يده دون إرادته إلى الكدمة

التي تحيط بعينه.

- أوه، كلا يا أستاذ. إن وجودها يدهشني فعلاً. إنها نتيجة صدمة

بسيطة لم تخدش الجلد نفسه.

فسأله صوت آخر:

- هل قلت إنها نتيجة صدمة بزاوية المغسلة؟

- نعم يا سيد غور أورغوهارت. وهي أحد الأشياء السخيفة التي

تصادف المرء في بعض الأحيان. لقد سقطت مني موس الحلاقة ولما

انحنيت لالتقاطها، اصطدمت عيني بالحوض ووجدت نفسي أتدحرج

كوزن ثقيل.

أوما غور أورغوهارت برأسه ببطء وقال:

- يا للأسف الشديد.

ثم نظر إلى دكسن من رأسه إلى قدميه من خلال حاجبيه الكثيفين

وزمّ شفّتيه مرتين أو ثلاث مرات وأضاف قائلاً:

- لو أن أحداً سألني الآن عن السبب، لقلت إنه ورط نفسه في

مشاجرة أيها العميد.

كان عميد الجامعة رجلاً صغير البنية له بطن كبيرة ورأس أصلع

متورد. وما إن سمع هذا، حتى أطلق ضحكة مدوية تشبه تلك الضحكات

المجلجلة التي تنطلق غالباً في الأفلام السينمائية التي تعالج مواضيع

جرائم القتل التي تحدث في القصور الشاهقة، وهي أيضاً ضحكته المميزة التي عرف بها منذ الأسابيع الأولى لوجوده في الجامعة التي بدأ العمل فيها إثر الحرب مباشرة، وكان من شأنها أن تلزم جميع الجالسين في غرفة الاستراحة بالصمت. أما الآن، فلم يلتفت أحد، وبدا غور أورغوهارت وحده قلقاً إلى حدّ ما.

قال الشخص الرابع في المجموعة:

- «حسناً، أرجو ألاّ يعيق ذلك قراءتك عن.. عن..» فقال دكسن:

- أوه، كلا يا أستاذ. أراهنك أنني أستطيع قراءة المخطوطة وأنا

معصوب العينين فقد راجعتها مرات كثيرة.

فأوماً ولش برأسه وقال:

- «إنها خطة جديدة. إنني أتذكّر عندما بدأت بإلقاء المحاضرات

كنت من الغباء حتى إنني كتبت المادة ولم أهتم ب...» فسأل العميد:

- هل لديك شيء جديد تضيفه يا دكسن؟

- جديد؟ حسناً، في مثل هذا...

- اقصد أنه موضوع استوفى جوانب البحث كلها. أليس كذلك؟ ولا

أدري إن كان في وسع أحد اتخاذ موقف جديد بشأنه فأنا شخصياً أظن...

فقاطعه ولش قائلاً:

- القضية ليست...

أعقبت ذلك مناقشة مستفيضة بين العميد ولش إذ تحدثا دون

توقف. وكلما رفع أحدهما صوته عالياً زاد الثاني من حدة نبرته محاولين

في ذلك إضفاء بعض المؤثرات الشعرية على حديثهما. فوجد دكسن أن

كلاً منهما هو وغور أورغوهارت يتفرّس أحدهما في الآخر، بينما بدأ

الصمت يسود الغرفة باستثناء صوت هذين المتحدثين. وأخيراً لزم ولش

الصمت فجأة كأنه فرقة أوركسترا تفسح المجال لعازف منفرد أن يقدم

القطعة الموسيقية الختامية. وختم العميد كلامه قائلاً:

- هذا يستحق إعادة التوضيح مرة أخرى كل جيل.

ظهر الآن انحراف عن الموضوع تمثل بظهور البواب ماكونوشي وهو يحمل صينية وعليها أقداح الشراب. وتمتى دكسن لو أن يده ظلت إلى جانبه حتى يفرغ هؤلاء الثلاثة الأقدم منه مركزاً من تناول أقداحهم، ومن ثم يتناول هو القدح الأخير الذي كان مملوءاً بالشراب أكثر من بقية الأقداح ويفرغه في جوفه، وقد عرف عن مسجل الكلية الذي ينظم تأمين المشروبات في مثل هذه المناسبات بوقف التجهيز بعد تناول الشراب مرتين متاليتين، لكن هذه التعليمات لا تسري على عميد الكلية والأشخاص الذين يتحدثون إليه، وأدرك دكسن أنه ليس في استطاعته البقاء مع هذه المجموعة فترة أطول، فقرر أن يستفيد من وجوده معها إلى أبعد الحدود. شعر بالغثيان شعوراً غير محدد، إلا أنه أفرغ نصف محتويات القدح الجديد المملوء في جوفه دفعة واحدة، فشعر بالدفء يسري في أعماقه بعد أن شرب تسعة أقداح من الشراب. لكنه على الرغم من ذلك، لم يقلق بشأن المحاضرة التي سيلقيها في الساعة السادسة والنصف أي بعد عشرين دقيقة.

جال دكسن ببصره في أرجاء غرفة الاستراحة التي بدت وكأنها تضم جميع الذين يعرفهم ما عدا والديه. كانت زوجة ولش على بعد بضع أقدام منه تتجاذب أطراف الحديث مع جونز الذي لا يُسمح له بدخول هذه الغرفة، لهذا ينبغي لومها على نحو غير مباشر.

وجلس وراءهما برتراند وكريستين وهما يكادان لا يتحدثان بشيء. كما جلس إلى اليمين باركلي أستاذ الموسيقى قرب النافذة تماماً وهو يتحدث جاداً إلى أستاذ اللغة الإنكليزية. ومما لا شك فيه أنه كان يحثه على ضرورة التصويت لإقالة دكسن عندما يجتمع مجلس الكلية في نهاية

الأسبوع القادم. وفي الجهة المقابلة لهما، جلس غولد سمث وزوجته يضحكان لأحاديث بيزلي. وفي أماكن أخرى من الغرفة، كانت هناك شخصيات يكاد دكسن لا يميّزها: اقتصاديون وجغرافيون وعلماء اجتماع ومحامون ومهندسون وعلماء رياضيات وفلاسفة وأطباء ومعيدون في اللغات الجرمانية وفقه اللغة التاريخي المقارن ومحاضرون ومحاضرات. وشعر برغبة في الذهاب إلى كل واحد من هؤلاء الجالسين وإشعاره بأنه يفضل مغادرة المكان. هناك مجموعة من الأشخاص الذين لم يره من قبل قط، وربما كانوا أساتذة شرف في علم المصريات أو حتى مصممي ديكورات داخلية وهم ينتظرون اخذ المقاييس لجلب سجاد حديث وفرشه. كانت إحدى المجموعات تضمّ بعض الشخصيات المهمة من مثل عضوين في المجلس التشريعي للمدينة برفقة زوجتيهما، وقسيس عصري، وطبيب حظي بلقب فارس وجميعهم أعضاء في مجلس الكلية. وشاهد دكسن بوجل الموسيقار، الذي شاهده من قبل في عطلة نهاية الأسبوع الفنية التي أقامها ولش وكان يجلس ضمن هذه المجموعة من الشخصيات. ثم جال ببصره في أرجاء الغرفة مرة أخرى بحثاً عن عازف الكمان الهاوي، لكن جهوده ذهبت سدى.

بعد وقت قصير نهض عميد الكلية وتوجه نحو مجموعة الشخصيات وتحدث إلى القسيس، فضحك الجميع ما عدا الطبيب الذي حملق ببرود في جميع الوجوه. وفي الوقت نفسه بدت من زوجة ولش إشارة جعلت ولش يغادر المكان فبقي دكسن وحده مع غور أورغوهارت الذي بادر دكسن قائلاً:

- منذ متى وأنت تعمل هنا يا دكسن؟

- مضى على وجودي هنا تسعة أشهر، إذ بدأ عملي في الخريف

الماضي.

- أشعر أنك غير سعيد هنا. هل أنا محق يا ترى؟
- نعم، أعتقد أنك محق عموماً.
- أين هي المشكلة؟ أهي فيك أنت أم في العمل؟
- أعتقد أن المشكلة تكمن في الاثنين معاً. فكل منهما يضيع وقت الآخر.
- ام... م... م. أفهم ذلك. أعتقد أن تدريس التاريخ إضاعة للوقت. أليس كذلك؟

عزم دكسن على عدم الاهتمام بأي شيء يقوله هذا الرجل. فقال:

- ليس هكذا، أعتقد أن التاريخ يمكن أن يعلم الناس أشياء كثيرة إذا ما أحسن تدريسه. لكننا نلاحظ أن المسألة مختلفة عند التطبيق. فهناك بعض العثرات، ولا أدري مَنْ الذي يتحمل المسؤولية. أعتقد أن التدريس هو السبب الرئيس لا الطلاب الكسالى.
- أوما غور أورغوهارت برأسه، ثم ألقى نظرة سريعة على دكسن، وقال:

- مَنْ هو صاحب فكرة محاضرتك هذا المساء؟
- الأستاذ ولش، لم يكن في وسعي الرفض في الواقع. وإذا سارت الأمور على ما يرام، فإن موقعي سيصبح أفضل هنا.
- هل لديك طموحات؟
- كلا، كانت أوضاعي سيئة منذ أن تسلمت هذه الوظيفة. لعل هذه المحاضرة تساعد في إنقاذي من الطرد.
- في هذه الأثناء قال غور أورغوهارت وهو يخطف قدحين من الشراب من صينية يحملها ماكونوشي وهو في طريقه إلى مجموعة الشخصيات المهمة التي أصبحت تضم الآن عميد الكلية:
- هيا أيها الفتى.

وفكر دكسن في أنه ينبغي له عدم تناول المزيد من الشراب، إذ بدأ الآن يشعر بالنشوة، لكنه تناول القدر وشرب منه وسأل:

- لماذا أتيت إلى هنا هذه الليلة؟

- لقد تملصت من عميد الكلية مرات كثيرة في الآونة الأخيرة، لكنني شعرت بأنه يجب عليّ الحضور هذه المرة.

- لا أفهم السبب الذي يدفعك إلى القلق. أنت لست معتمداً على عميد الكلية. وبهذا فإنك تعرض نفسك للكثير من السأم.

عندما نظر غور أورغوهارت مرة أخرى إلى دكسن، حاول الأخير أن يطرد الدوار الخفيف الذي انتابه فترة وجيزة بسبب عدم استقرار رأس غور أورغوهارت الذي أوضح قائلاً:

- إنني أعيش ساعات طويلة من السأم كل يوم يا دكسن، ولهذا فإن ساعتين إضافيتين لا تؤثران فيّ.

- لِمَ تتحمل ذلك؟

- أريد أن أؤثر في الناس ليفعلوا ما أعتقد أنه ضروري. ولا أستطيع أن أجعلهم يفعلون ذلك ما لم أسمح لهم أولاً بإثارة سأمي. هل فهمت؟ ثم في الوقت الذي يستمتعون فيه بجعلني مترنحاً من أثر الحديث، فإنني أعود إليهم وأرغمهم على تنفيذ ما أعددت لهم.

فقال دكسن بحسد:

- بوذي لو استطعت القيام بذلك أنا أيضاً عندما أكون مترنحاً بفعل الحديث، وهو أمر مألوف لدي، أي عندما يأتون إليّ ويجعلونني أنفذ ما يريدون مني...

وفجأة أحسّ دكسن بانقطاع سلسلة أفكاره بسبب المخاوف وتأثير الشراب، لكنه أضاف قائلاً بلهفة:

- فإنني أصبح مؤشراً على السأم لأنني أداة قياس جديدة. لو أنني

استطعت أن أضع يدي على مليونير، فسوف يقدرني بحقيبة مملوءة
بالمال. في وسعه أن يرسلني إلى حفلات الغداء والكوكتيل والنوادي
الليلية مدة خمس دقائق ليس غير، وعندئذ يستطيع وهو ينظر إليّ أن يقرأ
السأم الظاهر على أي تجمع. سأكون مثل طائر الكناري الذي يحلّق في
أعماق المناجم. وبهذا سوف يتمكّن من معرفة ما إذا كان من الضروري
الذهاب بنفسه إلى هناك أو لا. ويستطيع أن يرسلني فأدخل بين أعضاء
النوادي وحشود المسارح ولاعبى الغولف والفنانين..

وفجأة توقف دكسن عن الحديث عندما شاهد غور أورغوهارت
يلتفت جانباً وقال:

- إنني آسف. لقد نسيت...

نظر غور أورغوهارت إليه ملياً وغطى إحدى عينيه بيده ثم خفض
إحدى أصابعه إلى جانب وجهه وابتسم قليلاً. وعلى الرغم من أن ابتسامته
لم تكن ابتسامه متعة اعتيادية، فإنها لم تكن غير ودية أيضاً. قال:

- هناك شخص يتألم.

ثم غير سلوكه وأضاف:

- إذا كان في وسعي أن أسألك، فمن أي مدرسة تخرجت؟

- المدرسة الثانوية المحلية.

أوما غور أورغوهارت برأسه. وفي هذه الأثناء وصل إليهما القسيس
وأحد أعضاء المجلس التشريعي وفي يديهما قدحان مملوءان واصطحباه
معهما للانضمام إلى مجموعتهما. فلم يتمالك دكسن نفسه من الإعجاب
بالطريقة التي رافقا فيها غور أورغوهارت دون أن ينبسأ ببنت شفة، مما
جعله لا يتوقع الانضمام إليهم. وبينما هو يراقبهم دون اكتراث، رأى غور
أورغوهارت يتأخر قليلاً عن مرافقيه لينظر إلى حيث يقف السيد غولد
سمث وزوجته.

كان سيسل وبيزلي يتجاذبان أطراف الحديث، ولم يشاهدا كارول وهي تنتبه لنظرة غور أورغوهارت. فتبادلا نظرة غامضة سريعة مما جعل دكسن يحترار، بقلق إلى حد ما، غير أنه قرّر أن يفكر فيها ملياً بعد حين إذا سنحت الفرصة، ثم أفرغ ما في القدرح في جوفه وذهب إلى حيث تجلس كريستين وبرتراند وصاح بمرح:

- مرحباً بكما. أين كنتما تختبئان؟

نظرت كريستين إلى برتراند كأنها تطلب منه ألا يقول شيئاً، وقالت:

- لم أتوقع أن يكون اللقاء رائعاً بهذه الصورة. لا بد أن نلاحظ أن

الأشخاص المهمين في المدينة حضروا إلى هنا.

فقال برتراند:

- أودّ أن نذهب معاً إلى عمك يا كريستين. لديّ موضوع أرغب في

مناقشته فيه.

فقالت كريستين بأدب:

- بعد قليل يا برتراند. لدينا متسع من الوقت.

- كلا، كلا. ليس لدينا متسع من الوقت. الموضوع يوشك أن يبدأ

بعد عشر دقائق، وهي فترة لا تكفي كي أحدثه بما أريد.

لاحظ دكسن أن برتراند يستعمل دوماً الكلمة كلا مرتين بدلاً من مرة

واحدة، ويرفع ويخفض حاجبيه كلما نطق بواحدة منها. وتمنى لو أنه لم

يفعل ذلك. واستطاع أيضاً أن يرى كارول من وراء برتراند وهي توشك

أن تترك سيسل ومارغريت - وهي المرة الأولى التي يلاحظها فيها - تتجه

صوبه. وتذكر جملة سمعها في أحد الأفلام السينمائية فذكرها لكريستين

قائلاً:

- من الأفضل أن تنفّذي ما يقول لك أيتها السيدة وإلا سيحطم

أسنانك.

فقال برتراند:

- اغرب من هنا يا دكسن.

فقالت كريستين:

- كيف تستطيع أن تكون فظاً هكذا يا برتراند؟

- قد أكون فظاً جداً. فأنا أحب ذلك. فظاً جداً! وماذا بشأنه؟ من

يتصوّر نفسه؟ يقول لك...

احمرّ وجه كريستين وقالت:

- هل نسيت ما قلت لك قبل مجيئنا إلى هنا؟

- انظري إليّ يا كريستين! إنني لم أحضر إلى هنا لأتحدث إلى هذا

الرجل أو للحديث عنه. لقد جئت إلى هنا لسبب واحد وهو أن أتحدث

إلى عمك. والآن...

في هذه الأثناء قالت كارول وهي تقف وراء برتراند:

- مرحباً يا عزيزي برتي. إنني أريدك، فهل تأتي إلى هنا؟

تظاهر برتراند بالدهشة، والتفت نصف التفاتة بحركة واحدة وقال:

- مرحباً بك يا كارول، لكنني أوشك...

فقالت كارول وهي تمسك بذراعه:

- لن أؤخرك كثيراً.

ثم أضافت موجهة الحديث إلى كريستين:

- سأعيده إليك في حالة جيدة.

قال دكسن:

- حسناً، مرحباً بك يا كريستين.

- أوه، مرحباً بك.

- هذه هي المرة الأخيرة. أليس كذلك؟

- نعم، هذا صحيح.

فشعر دكسن بالنكد والإشفاق على الذات، فقال:

- لا يبدو أنك تعترضين كثيراً.

نظرت إليه كريستين فترة وجيزة ثم التفتت جانباً فجأة، وكأنه يطلعها

على صورة في كتاب من كتب الطب. قالت:

- لقد بذلت ما في وسعي، ولن أفعل أي شيء بعد الآن. ولن تفعل

أنت أي شيء إذا كان لديك أي إحساس.

فقال:

- إنني لا أستطيع الممانعة، لأن المرء لا يستطيع أن يفعل أي شيء

إزاءها. وأنا لا أستطيع أن أتمالك نفسي دون القيام بذلك.

- ماذا حصل لعينك؟

- حدثت مشاجرة بيني وبين برتراند عصر هذا اليوم.

- مشاجرة؟ لم يقل لي قط. ما هو السبب؟

- طلب مني الابتعاد عن طريقك فرفضت وبدأنا نتشاجر.

- لكننا اتفقنا.. ألم تغيّر رأيك بشأن..

- كلا، كل ما في الأمر أنني لا أريد أن اسمح له بأن يصدر الأوامر

لي.

فقالت كريستين وهي توشك أن تكظم ضحكة كادت أن تفلت من

بين شفيتها:

- لكن تصوّر نفسك في مشاجرة. لقد خسرت المعركة كما يبدو.

لم يعجبه كلامها. وتذكر نزعتهما إلى الابتسام في أثناء تناول الشاي

في الفندق. قال:

- لم أخسرهما. انظري إلى أذن برتراند قبل أن تقرّري من الغالب

ومن المغلوب.

- أي أذن؟

- الأذن اليمنى. لكن ربما لا يبدو عليها أي شيء، لأن الأذى لا بد أن يكون قد أصاب الأذن الداخلية كما أظن.

- هل طرحته أرضاً؟

- نعم، ومكث على تلك الحال فترة من الوقت.

فقلت وهي تنفرس فيه:

- يا إلهي.

كانت شفتاها المكننرتان والجافتان منفرجتين قليلاً. وانتابت دكسن رغبة بائسة جعلته يشعر أنه ثقيل جداً لا يقوى على الحركة وكأنه يتحدث إلى ولس، وشعر أنه لم يتذكر بمثل هذا الوضوح لقاءه الأول بها، فأخذ يحملق إليها.

في هذه اللحظة الساكنة، عاد برتراند إلى الظهور من وراء إحدى زوجتي العضوين في المجلس التشريعي وذلك بحركة سريعة. كان وجهه متورداً. من الواضح أنه كان يكتم ثورته التي ما زالت في شكلها البدائي أو ربما ازدادت حدة بفعل عوامل أخرى، وكانت كارول تسير وراءه وعليها أمارات الذهول.

أخيراً قال بصوت يشبه الصراخ:

- هذا يكفي. لقد انتهت الأمور كما توقعت تماماً.

ثم أمسك بذراع كريستين وجذبها بعيداً بشيء من العنف. وقبل أن يغادر المكان، التفت إلى دكسن وقال:

- حسناً أيها الفتى، هذه نهايتك، ومن الأفضل أن تبدأ البحث عن وظيفة أخرى. إنني جاد في كلامي.

نظرت كريستين إلى دكسن نظرة هلع من وراء كتفها، بينما كان برتراند يدفعها نحو مجموعة الأشخاص التي تضمّ عمها. نظرت كارول أيضاً إلى دكسن نظرة تأملية ثم لحقت بهما. في هذه الأثناء تناهت إلى

الأسماع قهقهة مدوية صادرة عن عميد الكلية.

شعر دكسن بالغثيان يتابه تماماً كما حصل قبل الآن بدقائق. ثم وجد أفكاره وقد جرفها تيار الهلع. لا بد أن برتراند صادق في كلامه. ومهما كان الشيء الذي سمعه ولش، فإن الحقائق التي وضعها ابنه أمامه لا بد أنها كانت ذات أثر قوي، وحتى لو لم يكن لها أثر قوي فهناك زوجته التي لا بد أن تكون قد أسهمت هي الأخرى في زيادة الطين بلة. إن لم تكن قد فعلت ذلك حتى الآن بمبادرة ذاتية منها.

أدرك دكسن أنه كان على خطأ عندما تصور أن الحملة على برتراند قد انتهت بفوزه، فلا تزال هناك الطلقة الأخيرة وهو في العراء مجرداً من أي سلاح. لقد نفذ برتراند أخيراً تحذيراته التي أطلقها في البداية. كما سمح دكسن لنفسه بالانجراف كثيراً فسلبته لذة المعركة الحكيمة وحرية التصرف. لقد أصبح الآن بائساً. والأكثر من هذا أنه بائس لا يقوى على منع ذلك الملتحي الأخرق من الوقوف أمامه ويده فوق ذراع كريستين موقف الواثق والمنتصر. أما هي، فقد وقفت بجانب صديقها موقفاً مضطرباً، بل ينم عن نكران الجميل. ولولا نقود دكسن لما كان هناك موقف أجمل من هذا تتخذه أي امرأة أخرى.

وفجأة ظهرت مارغريت بجانب دكسن وقالت:

- هل تلقي نظرتك الأخيرة يا دكسن؟

شعر دكسن كأنه يقاتل شرطياً فيشاهد فجأة شرطياً آخر قادماً على ظهر حصانه. كما انتابه الذهول وهو يقول:

- ماذا؟

- من الأفضل أن تلقي نظرة جيدة عليها. أليس كذلك؟ ليس هناك أي فرصة أمامك في المستقبل.

- كلا، لا أعتقد أن لديّ فرصة.

- إلا إذا رتبت أمورك بالذهاب إلى لندن غالباً كي تبقى على اتصال دائم بها.

حملق دكسن إلى وجه مارغريت وهو مندهش حقاً، مندهش لأن مارغريت تستطيع في هذه المرحلة أن تفعل شيئاً من شأنه أن يثير دهشته. فسألها بضجر:

- ما هو قصدك؟

- لا فائدة من التظاهر. إن المرء لا يحتاج إلى خيال واسع كي يدرك ما يجول في خاطرك.

اهتز أنف مارغريت قليلاً في أثناء حديثها وهو أمر مألوف لديها. كانت تقف منفرجة الساقين قليلاً بينما وضعت ذراعيها فوق صدرها. وقد سبق لدكسن أن رآها في هذا الوضع مرات عديدة وهي تلقي محاضرة قصيرة في هذه الغرفة أو في الغرفة الأخرى في الطابق الأعلى. لم يبد عليها الانفعال أو القلق أو أي شيء آخر.

أطلق دكسن حسرة تنم عن التعب قبل أن يبدأ إعلان احتجاجه وتقديم أعذاره التي يعدّها من قبل لمثل هذه المناسبة. وبينما هو مستغرق في حديثه فكّر في الفائدة المعنوية الوحيدة الناجمة عن تعامله مع مارغريت مؤخراً وهي قراره الذي لم يؤثر فيه شيء في أن لا يهتم بعد الآن أبداً بكريستين. ومن الصعب جداً أن يلوم نفسه لاشتياقه إلى شيء تخلى عنه شخصياً بمحض إرادته.

لقد وصلت معنوياته إلى الحضيض حتى إن الرغبة ساورته في أن يضطجع ويلهث كالكلب: فهو بلا عمل، بلا كريستين، والآن ناجح تماماً في لعبة مارغريت.

انتهى حديثهما دون التوصل إلى نتيجة ما عندما بدأت مجموعة عميد الكلية تتجه صوب الباب. كان غور أورغوهارت منهمكاً على ما

يبدو في الحديث مع برتراند وكريستين بينما صاح ولش فجأة: «هل أنت على استعداد يا دكسن؟» وهو يقف بجانب زوجته مما جعله يبدو أكثر من أي وقت مضى مثل ملاكم كبير السن يقف إلى جوار زوجته التي كانت يوماً خادمة في المطبخ تقدّم له البيض بين حين وآخر.

قال دكسن:

- إلى اللقاء في القاعة يا أستاذا!

ثم ودّع مارغريت بكلمة واحدة وأسرع نحو المرافق الصحية.

انتابه الآن الخوف من المسرح. فقد كانت يدها باردتين ورطبتين وساقاه مثل أنبوبي مطاط مترهلين مملوءين برمل ناعم، وشعر أيضاً بصعوبة التحكم في نفسه. وبينما كان يستخدم المرافق الصحية، أخذ يقلّد بوجهه صورة إيفلين ووه ثم تخلى عن ذلك وقلّد وجهاً آخر أكثر وحشية من أي وجه سبق أن قلّده. فبعد أن وضع لسانه بين أسنانه جعل خديّه يتمددان إلى أبعد حدّ ممكن وضغط على شفته العليا وكشّر كالأبله، ثم دفع ذقنه إلى الأمام كأنه حافة مجرفة. في هذه الأثناء كان يتسم ويبدو أحول العينين. وبينما هو يخرج وجد نفسه في مواجهة غور أورغوهارت. فعاد إلى وضعه الأول وقال:

- أوه، مرحباً بك.

فقال غور أورغوهارت وهو يمر من أمامه:

- أهلاً بك يا دكسن.

اتجه دكسن صوب المرأة المعلقة فوق حوض الغسيل وأمعن النظر في عينه. كانت الكدمة تبدو أخف مما كان يتذكّر وشعر أن أي محاولة للتأق في ملابسه أو شعره غير محتملة في هذه الظروف، فأخذ من أحد الرفوف ملف القوة الجوية الملكية المسروق الذي يضم مسودة محاضراته، وأوشك أن يغادر المكان لولا أن غور أورغوهارت ناداه قائلاً:

- انتظر قليلاً يا دكسن.

فتوقف دكسن والتفت فوجد غور أورغوهارت يقترب منه وأخذ يحملق إليه كأنه يخطط في ذهنه صورة مضحكة له بالقلم الفحمي أو الحبر ليرسمها حالما ينهي من إلقاء محاضرتة، وبعد فترة وجيزة قال:

- ربما تشعر بشيء من التوتر أيها الفتى.

- جداً.

فأوما غور أورغوهارت برأسه وأخرج قنينة صغيرة من ملابسه التي

تفتقر إلى الأناقة وقال:

- خذ جرعة.

- شكراً لك.

ثم تناول دكسن القنينة وأفرغ كمية لا بأس منها من الشراب الجيد في جوفه دون أن يبالي بالسعال. كانت جودة الشراب تفوق ما تناوله من قبل. بدأ يسعل بعنف.

- خذ جرعة أخرى. إنه شراب لذيذ.

- شكراً جزيلاً.

تناول دكسن كمية أخرى ومسح فمه بكم يده كما فعل في المرة

السابقة وأعاد القنينة إلى صاحبها وأضاف:

- شكراً جزيلاً على هذا الشراب.

- سيفيدك كثيراً.. حسناً، من الأفضل أن نذهب معاً وألاً نتركهم

ينتظروننا.

كانت آخر مجموعة من الأشخاص لا تزال تغادر غرفة الاستراحة

متجهة نحو السلالم. وهناك كانت تنتظرهم مجموعة صغيرة تضم السيد

غولد سمث وزوجته وبرتراند وكريستين وولش وبيزلي ومحاضرين آخرين

في قسم التاريخ.

قال برتراند:

- في وسعنا أن نتجه إلى نهاية الصف الأمامي يا أستاذ.
ثم شرعوا في التوجه إلى القاعة وكانت مملوءة، والفوضى تعمّها إذ
احتشد الطلاب في الصف الأمامي من الطابق الأعلى بينما تردّد في جنبات
القاعة مزيج من الأحاديث المختلفة.

وقالت كارول:

- حسناً، ألقها يا جيم.

وقال سيسل:

- حظاً سعيداً أيها الفتى.

وقال بيزلي:

- حظاً سعيداً يا جيم.

ثم اتجه الجميع إلى مقاعدهم.

وقال غور أورغوهارت بنبرة منخفضة:

- والآن اذهب أيها الفتى ولا تقلق. فليذهبوا إلى الجحيم.

ثم أمسك بذراع دكسن وبعد قليل انسحب من مكانه.

سار دكسن وراء ولش نحو المنصة وهو يدرك الجلبة السائدة نتيجة
البحث عن مقاعد شاغرة. وجلس هناك توّأ كل من عميد الكلية وأحد
العضوين في المجلس التشريعي وهو الأكثر بدانة بينهما.

أما دكسن فقد أدرك أنه ثمل إلى حدّ ما.

* * *

أعلن ولش بصوته الجهوري الشبيه بصوت ابنه بدء المحاضرة، وطلب من الحضور الالتزام بالصمت وسمع دكسن بعض الطلاب يقلدون صوته، بيد أن السكون خيم تدريجياً. قال ولش:

- لقد جئنا إلى هنا الليلة للاستماع إلى إحدى المحاضرات.

وبينما كان ولش يتحدث، أخذ جسده يهتز إلى الأمام والخلف وبدا اهتزاز الجزء الأعلى منه واضحاً تحت نور مصباح القراءة الساطع. أما دكسن فلم يشغل ذهنه بمتابعة حديث ولش، بل اكتفى بإلقاء نظرة سريعة على أرجاء القاعة. من المؤكد أن القاعة كانت تغطى بالحضور، وعلى الرغم من أن بعض المقاعد في الصفوف الأخيرة كانت شاغرة، فإن الصفوف الأمامية كانت مليئة ولا سيما بأعضاء الهيئة التدريسية وأسراهم وأبناء المدينة على اختلاف مستوياتهم.

أما الطابق العلوي، فكان هو الآخر يغص بالحضور، واستطاع دكسن أن يرى أن بعض الأشخاص وقفوا قرب الجدار الخلفي. وبينما هو يقرب نظراته باتجاه الصفوف الأمامية، استطاع أن يشاهد عضوي المجلس التشريعي والموسيقار والقسيس الأنيق. أما الطبيب صاحب اللقب الفخري فيبدو أنه حضر لتناول المشروبات فحسب. وقبل أن يتمكن من إلقاء نظرة على المقاعد الخلفية الأخرى، شعر دكسن بأن مشاعر الغثيان الغامضة التي كانت تتابه إنما هي دليل على الإغماء. وشعر بأن موجة حارة أخذت تسري في ظهره لتستقر في رأسه، وأوشك على إصدار الأنين دون إرادة منه، إلا أنه بذل جهداً كبيراً كي يبدو على ما يرام. وأقنع نفسه بأن سبب هذا ليس سوى التوتر، والشراب أيضاً.

وعندما قال ولش «السيد دكسن»، وجلس في مكانه، نهض دكسن وشعر بأن ركبتيه ترتعشان، بينما انطلقت الأكف بالتصفيق وكانت صادرة في الغالب من الطابق العلوي كما يبدو.

واستطاع أن يسمع صوت قدم تتحرك بقوة على الأرض، فبذل جهده كي يقف على قدميه ويلقي نظرة على الجملة الأولى ثم رفع رأسه بعد ذلك.

تلاشى صوت التصفيق رويداً رويداً، وأصبح في وسع دكسن سماع بعض الضحكات وهي تنطلق وسط الهدوء، غير أن التصفيق ازداد مرة أخرى، وارتفع صوت الأقدام وهي تدق على الأرض. لقد استطاع الجمهور الجالس في الطابق العلوي أن يشاهد لأول مرة الكدمة حول عين دكسن.

لاحظ دكسن أن عدداً من الأشخاص الجالسين في الصفوف الأمامية بمن فيهم عميد الكلية نفسه التفتوا إلى الورا وأخذوا يحدقون بانزعاج إلى مصدر الفوضى. واستطاع دكسن في غمرة قلقه العام أن يصدر صوتاً يشبه صوت ولش-المدوي عندما قدّمه للحضور، ولم يعرف كيف تمكّن من القيام بذلك. فارتفع صوت التصفيق متجاوزاً الحدّ الذي يمكن عدّه فيه تصفيقاً مشروعاً، فنهض عميد الكلية ببطء فأخذ الدوي يتلاشى شيئاً فشيئاً. وبعد قليل أوما عميد الكلية برأسه إلى دكسن وجلس ثانية.

اندفع الدم إلى أذني دكسن كأنه يوشك أن يعطس.

كيف يستطيع الوقوف هنا أمامهم والتحدث إليهم؟ أي أصوات حيوانية أخرى ستصدر من فمه إذا حاول الحديث؟ على أي حال، عدّل حافة مخطوطته وبدأ محاضرتَه.

بعد أن قرأ حوالى ست جمل، أدرك أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام. ثم ارتفع صوت الدمدمة في الطابق العلوي فأدرك مكنم الخطأ: لقد

استعار طريقة ولش في الحديث. ففي محاولة منه لجعل محاضرتة تبدو طبيعية، حشر بعض العبارات من مثل (فعلاً) و(إذا شئت أن تسمي ذلك) و(كما ترى) في أماكن كثيرة من حديثه. يضاف إلى هذا، وفي محاولة غير واعية منه إلى حد ما لجعل المادة تبدو صحيحة أي مقبولة من قبل ولش، فقد استخدم عدداً من العبارات الأثيرة لدى ولش من مثل (تكامل الوعي الاجتماعي) و(ربط العمل بالصنعة).. إلخ. وبينما كانت هذه التعبيرات تخطر بذهنه المرهق، أخذ يتلثم بواحد منها كما بدأ يتردد ويكرر الكلمات نفسها، بل إنه فقد تسلسل العبارات حتى إن الصمت ساد بعدئذ مدة عشر ثوانٍ، وتناهى إلى الأسماع صوت همهمة في الطابق العلوي مما يشير إلى أن هذه المؤثرات لم تكن لتمر دون أن يلاحظها أحد. تصبب العرق من دكسن واحمر وجهه وبذل جهداً كبيراً كي يواصل إلقاء محاضرتة. كما سمع نبرات ولش لا تزال تتردد في كلماته، وفجأة علم من حالة السكر الشديد التي كان يعانيها بوصول بدايات الشراب الذي قدمه له غور أورغوهارت إلى رأسه، ثم فكر «هل هو مفعول الشراب يا ترى؟ يا لحرارته الشديدة!» توقف عن الكلام وهو يحاول أن يلوي فمه بطريقة تجعل نبرته تختلف عن نبرة ولش بكل ما يستطيع وبدأ من جديد، وبدأ كل شيء على ما يرام فترة وجيزة.

وبينما كان دكسن يواصل إلقاء محاضراته، ألقى نظرة على الصفوف الأمامية فرأى غور أورغوهارت يجلس إلى جانب برتراند الذي جلست أمه إلى جانبه هي الأخرى، بينما جلست كريستين إلى الجهة الثانية من عمها وجلست كارول إلى جوارها ثم سيسل وأخيراً بيزلي.

أما مارغريت فقد جلست عند الطرف الآخر إلى جوار زوجة ولش ولم يتبين دكسن إذا ما كانت تنظر إليه أو لا، وذلك بسبب انعكاس الضوء على نظارتها. ولاحظ أيضاً كريستين وهي تهمس في أذن كارول وبدأ

عليها الارتباك قليلاً. ولكي لا يثبط هذا المنظر عزمته نظر إلى مكان آخر من القاعة محاولاً البحث عن بيل أتكسن فرآه يجلس قرب الممر الوسطي في منتصف القاعة إلى حدّ ما.

وتذكّر دكسن أن أتكسن أخبره وهو يتناول الشراب قبل ساعة ونصف الساعة بأنه ليس عازماً على حضور المحاضرة فحسب، بل أعلن أيضاً أنه عازم على التظاهر بالإغماء إذا ما فرك دكسن أذنيه في آن واحد دليلاً على أن زمام الأمور أفلت من يده وقد قال أتكسن آنئذ: «سأمثل دور المغمى عليه تمثيلاً جيداً وسيخلف ذلك نوعاً من البلبلة، فلا داعي للقلق». وعندما تذكر دكسن ذلك، تعيّن عليه أن يقاوم ضحكة انتابته، وفي اللحظة نفسها، جذبت انتباهه بعض الفوضى قرب المنصة. فشاهد كريستين وكارول تتحدثان من وراء سيسل وبيزلي وبدا واضحاً أنهما قرّرتا مغادرة القاعة. أما برتراند فقد انحنى إلى الأمام وأخذ يتحدث إليهما بصوت خافت بينما بدا غور أورغوهارت قلقاً وهو منتصب قليلاً في جلسته. توقف دكسن عن الكلام مرة أخرى بعد أن شعر بالارتباك. وعندما وصلت المرأتان إلى الممر الوسطي واتجهتا صوب الباب، واصل حديثه مرة أخرى بسرعة غير متوقعة، فجاء حديثه مشوشاً يدل على إفراطه في الشراب. حوّل قدميه من مكانهما بتوتر وكادتا أن تصطدما بقاعدة المنصة ثم تآرجحتا إلى الأمام والخلف. في هذه الأثناء ارتفع صوت قادم من الطابق العلوي، وتبادر إلى ذهنه أن عضو المجلس التشريعي النحيف البنية كان يتبادل هو وزوجته النظرات المختلصة مما يدل على استهجانته، فتوقف عن الكلام.

ولما استردّ أنفاسه وجد أنه لم يستطع ثانية العثور على الكلمة التي توقف عندها في منتصف الجملة. فعضّ على شفثيه وقرّر ألا يخرج عن النص ثانية. فنظف حنجرته بالتنحج وعثر على بقية الجملة وواصل كلامه

بصوت رخيم مشدداً على الأصوات الصائتة ومحتفظاً بصوته عالياً إلى حدّ ما عند نهاية كل مقطع. وفكّر في أن الجميع سيسمعون كل كلمة يقولها الآن على أي حال. وعندما استمر بمحاضرتة، أدرك مرة ثانية أن هناك بعض الخلل. وبعد لحظات قصيرة أدرك أنه أصبح الآن يقلد عميد الكلية في حديثه.

رفع بصره إلى الأعلى، وبدا له أن ثمة حركة غير اعتيادية في الطابق العلوي. فقد سقط شيء ما بقوة على الأرض ويبدو أن ماكونوشي الذي وقف طوال هذه الفترة قرب الأبواب، خرج من القاعة كي يصعد ويُعيد النظام إلى صفوف الجالسين. وتناهت إلى الأسماع أيضاً أصوات أخرى من وسط القاعة. فقد تحدث القسيس الأنيق وهو يكاد يدمدم بينما رأى دكسن أن بيزلي أخذ يتلوى في كرسيه. أما ولش فهمس قائلاً: ماذا دهاك يا دكسن؟

فأجاب دكسن:

- آسف يا أستاذ فأنا قلق إلى حدّ ما. وسأكون على ما يرام بعد لحظة واحدة.

كان المساء ثقيل الوطأة وشعر دكسن بالحر الشديد. فصبّ بيد مرتعشة قدحاً من الماء من الإبريق الموضوع أمامه وشرب بنهم. ثم سمع تعليقاً قوياً لكنه غير واضح من الطابق العلوي. ف شعر أنه سينفجر بالبكاء، هل يعطي إشارة الإغماء؟ سيكون ذلك سهلاً جداً، كلا. سيعتقد كل فرد أنه كان ثملاً. فبذل محاولة يائسة أخيرة كي يستجمع قوته وواصل الحديث بعد أن توقف نصف دقيقة تقريباً هذه المرة. لكن صوته لم يكن اعتيادياً، فقد ظهر كأنه قد نسي التحدث على نحو اعتيادي. فاختر هذه المرة لكنة شمالية مبالغاً فيها كأنه يستهزئ بأحد أو يقلد شخصاً ما فعلا الضجيج مرة أخرى في الطابق العلوي، وبعد قليل خيم السكون ثانية ربما

بسبب تأثير وجود ماكونوشي. وبدأت الأمور تسير على ما يرام في الدقائق القليلة التالية حتى وصل منتصف المحاضرة تقريباً.

أدرك دكسن للمرة الثالثة في أثناء قراءة المخطوطة أن هناك بعض الخطأ، لكن الخطأ لا علاقة له هذه المرة بحديثه أو بالطريقة التي يتحدث بها كما حدث سابقاً، بل بشيء يكمن في رأسه. ولم يكن الشعور الذي انتابه هو الشعور بحالة السكر بقدر ما كان الشعور بالقنوط والتعب الشديدين اللذين أخذاً يلمّان به. وبينما كان ينطق جملة واحدة، أحسّ بحزن شديد يطبق عليه ويمنعه من مواصلة الحديث ويجعله يلوذ بالصمت لدى تفكيره في كريستين.

وإذ تفوّه بجملة أخرى، شعر أن صرخات الرعب والقلق تجهد للخروج من حنجرتة لتعلن للملأ ما يحسّ به إزاء حالة مارغريت. وعندما نطق الجملة الثالثة هدّد الخوف والغضب فمه ولسانه وشفتيه وشعر أنه يوشك أن يلعن على نحو هستيري أمام الناس برتراند وولش وزوجته وعميد الكلية والمسجل ومجلس الكلية والكلية بأجمعها. وأخذ يفقد الوعي والإحساس بوجود الآخرين في القاعة. إن الإنسان الوحيد الذي يهتم به هو كريستين وقد تركت القاعة، ومن المؤكد أنها لن تعود إليها. حسناً، إذا كان ظهوره هنا أمام الناس سيكون آخر مرة فيتعين عليه ألا يجعلهم ينسون هذه التجربة سريعاً. سيفعل شيئاً مفيداً، مهما كان صغيراً، لبعض هؤلاء الجالسين مهما كان عددهم قليلاً. لن يكون هناك أي تقليد بعد الآن. لقد أثاروا هلعهم إلى حدّ كبير غير أنه يستطيع أن يوحى عن طريق لهجته بأفكاره حول الموضوع وأهمية الجمل التي كان يتفوّه بها.

ورويداً ورويداً بدأ دكسن ينفخ في لهجته بعض السخرية المرّة والجارحة. وحاول أن يوحى للجالسين أنه ليس في ميسور أحد إلاّ نزلاء المصححة العقلية أن يأخذ مأخذ الجد أي جملة من الهراء الحدسي التافه

والمخادع والمممل الذي يتفوّه به. وحاول في فترة وجيزة أن يبدو كأنه جندي نازي متعصب مسؤول عن حرق الكتب وبقراً أمام حشد من الناس مقتطفات من كراس كتبه شخص مسالم. وعندما ارتفعت من حوله دمدمة بعض الحاضرين صمّ أذنيه عنها واستمر بالقراءة بلكنة أجنبية غير معروفة دون وعي منه. فشعر برأسه يدور وسمع وكأنه في حلم ولش وهو يتحرك من مكانه ليهمس في أذنه أولاً ويتكلم معه ثانية. فبادر إلى تقطيع جملة بنوبات من الهذيان وواصل القراءة وهو يقذف مقاطع الكلمات كأنها اللعنات دون اهتمام باللفظ الصحيح والحذف وتبديل مواقع الأحرف الأولى وعدم تصحيحها بينما أخذ يقلّب صفحات مخطوطته مثل قارئ المقطوعة الموسيقية وصوته يرتفع أكثر فأكثر بعد مقطع سريع. وأخيراً وجد الفقرة الأخيرة من الموضوع في مواجهته تماماً، فتوقف ونظر إلى جمهور الحاضرين.

كانت الشخصيات المهمة الجالسة قبالة مباشرة تحمّل إلى بهدشة واحتجاج، بينما نظر إليه أعضاء الهيئة التدريسية القدامى باستغراب. أما الأعضاء الجدد فلم يرفعوا نظرهم إليه بتاتاً. والشخص الوحيد الذي كان يصدر الأصوات في القاعة هو غور أورغوهارت وكان ذلك عبارة عن ضحكة مدوية بينما ارتفع صوت الهتافات والصفير والتصفيق من الطابق العلوي. فرفع دكسن يده مشيراً إلى ضرورة الالتزام بالصمت، غير أن الصوت استمر. فلم يعد في وسعه تحمّل ذلك، وانتابه الشعور بالإغماء مرة أخرى فوضع يده فوق أذنيه. وفي خضم تلك الضجة تناهى إلى الأسماع صوت ضجيج أقوى منها يشبه الأنين. وفي وسط القاعة شوهد أتكنسن - الذي لم يستطع بسبب جلوسه بعيداً عن المنصة أن يتبيّن أفرك دكسن أذنيه أم غطاهما - وهو يهوي بكل ثقله ليرتطم بأرضية الممر. فنهض عميد الكلية على قدميه وفتح فمه وأغلقه دون أن يتمكّن من تهدئة

الوضع من مكانه. ثم انحنى وهمس على عجل في أذن عضو المجلس التشريعي الجالس إلى جانبه بينما حاول الجالسون قرب أتكسن رفعه عن الأرض، لكن دون جدوى. نادى ولش اسم دكسن في الوقت الذي أخذ فيه حشد من الطلاب بالاندفاع نحو أتكسن المضطجع فوق الأرض. كان عدد هؤلاء الطلاب يقدر بعشرين أو ثلاثين طالباً، تعالت صيحاتهم وهم يوجهون التعليمات والنصائح فيما بينهم حتى رفعوه تماماً وحملوه وساروا به صوب الباب. وبعد ذلك تقدّم دكسن من المنصة مرة أخرى فتلاشى صوت الضجيج بينما قال عميد الكلية بصوت عالٍ:

- هذا يكفي يا دكسن.

وأشار إلى ولش ولكن بعد فوات الأوان.

فقال دكسن بصوت اعتيادي:

- وأخيراً، ما هو التطبيق العملي لهذا كله؟

ولكنه شعر أنه أسير دوامة هائلة إذ سمع نفسه يتحدث من غير أن

يشاء على نحو واع التفوه بأي كلمة. لكنه أضاف:

- أصغوا إليّ وسوف أخبركم. إن الفترة التي مرّت بها إنكلترا

وتوصف بالفترة السعيدة إنما هي أكثر الفترات افتقاراً إلى السعادة في

تاريخنا. فهناك الجماعات التي تربّي الدواجن وجماعات العزف وجماعات

صنع الأواني الفخارية والأسبرانتو..

توقف دكسن عند هذه الجملة وترنّح، فقد أحسّ بالحرارة وتأثير

الشراب والقلق والذنب وهي تتكالب عليه، كما شعر أن رأسه أخذ

يتفتخ ليصبح أخف وزناً في الوقت نفسه. أما جسده فبدأ له قد انسحق

إلى ذراته الصغيرة. امتلأ رأسه بالطين وباتت الرؤية غير واضحة أمامه إذ

أخذ يتخللها الظلام وأخذت الكراسي تفرقع على جانبيه. وشعر بيد تمتد

لتمسك بكتفه فأخذ يترنح. ورأى ذراع ولش تمتد حول كتفيه فهوى على

ركبتيه وهو يكاد يتخيل صوت عميد الكلية قائلاً وسط الضجيج الذي شمل أرجاء القاعة: «.. من الانتهاء من محاضرتي حتى انحراف صحته المفاجئ. إنني متأكد من أنكم جميعاً..».

استطاع دكسن أن يدرك أنه أفلح أخيراً في تنفيذ ما كان يريد دون أن يخبرهم بشيء.. ملأ رثتيه بالهواء، وفكر في أنه لو استطاع إخراج الهواء ثانية لأصبح على ما يرام، إلا أنه لم يستطع، وتلاشى كل شيء أمامه في ضجة هائلة خالية من الكلمات.

* * *

في صباح اليوم التالي قال بيزلي:

- هذا كل ما هناك. مفهوم تماماً. لكنني أعتقد أن الشراب الذي قدّمه لك هو الذي قضى عليك. أليس كذلك؟

- نعم، أعتقد أنني لو لم أشربه لكنت على ما يرام. والحق أنني لا أستطيع أن أخبر ولش بالأمر.

- أنت لا تستطيع إخباره حقاً. لكن في وسعك أن توضح أن السبب يكمن في القلق الذي انتابك والحرارة الشديدة وغيرهما. على أي حال، لقد نجحت.

- لن يغفروا لي أبداً إفشالي محاضرة عامة. فالقلق لا يجعلني أقلد نيدي أو عميد الكلية. أليس كذلك؟

مرّ الاثنان من بوابة الكلية وشاهدا ثلاثة طلاب يتسكعون هناك، التزموا الصمت ومسّ كل واحد منهم رفيقه عند مرور دكسن.

قال بيزلي:

- لا أدري. في وسعك أن تجرّب ذلك، ولن تخسر شيئاً، أليس كذلك؟

- أنت محق في كلامك يا ألفرد. أوه، لا يهم. لقد حصل كل شيء وانتهى الآن على أي حال. فهناك قضية كريستين أيضاً، ولا بد أن ولش على علم بها الآن.

- لا تبتئس كثيراً، فأنا لا أظن أن ولش سيعير أي أهمية ما يقوله برترام أو أياً كان اسمه. إن ما تفعله بصديقة ابنه لا يعنيه مطلقاً.

- وهناك موضوع مارغريت، إنه سيعتقد أنني خذلتها وهذا صحيح

مهما كانت نظرتك إلى الأمر.

فنظر إليه بيزلي دون أن يجيب. وبينما هما يدخلان غرفة الاستراحة

قال:

- لا تدع ذلك يشبط همتك يا جيم. هل أراك عند تناول القهوة؟

فقال دكسن بشرود:

- نعم.

ثم شعر بمغص في معدته عندما رأى ملاحظة مكتوبة بخط ولش في الجزء الخاص به من خزانة البريد. فخرج ثم صعد إلى الطابق العلوي وهو يقرأها. لقد شعر ولش أنه ينبغي له أن يعلم دكسن بصورة غير رسمية أنه لن يستطيع أن يقدم توصية ببقائه عضواً في الهيئة التدريسية لدى انعقاد مجلس الكلية في الأسبوع القادم. ونصح دكسن نصيحة غير رسمية أيضاً بأن ينهي أعماله في المدينة ويرحل بأسرع ما يمكن. وذكر أن في وسعه تقديم أي توصية يحتاج إليها دكسن للتقدم بطلب أي وظيفة أخرى شريطة أن تكون خارج المدينة. وأعرب عن أسفه لاضطرار دكسن إلى الرحيل لأنه وجد متعة في العمل معه. وأشار ولش في ملاحظة هامشية أنه ينبغي له ألا يقلق بشأن أغطية السرير لأنه يعدها قضية منتهية. حسناً، هذا لطف منه. غير أن دكسن شعر أيضاً بطعنه في ضميره عندما خذل ولش بذلك الشكل في أثناء المحاضرة، كما شعر بطعنه أخرى أقل إبلاماً من الأولى لأنه صرف جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً في كره ولش.

دخل دكسن الغرفة التي يشاركه فيها سيسل غولد سمث ووقف بجوار النافذة. لقد مرّت حرارة الأيام القليلة الماضية دون رعد وكانت السماء فيها صافية تماماً. وشاهد تغييرات تجرى في مختبرات الفيزياء حيث وقفت شاحنة قرب الجدار، وبدأت تفريغ حمولتها من الإسمنت والطابوق، وكان في وسعه أن يسمع صوت الطرق من مكانه. من السهل

جداً أن يحصل على وظيفة مدرّس في إحدى المدارس. فقد أخبره مدير مدرسته السابق في عطلة عيد الميلاد أن مقعداً لمدرّس تاريخ سابق سيظل شاغراً حتى شهر أيلول. وفي وسعه أن يكتب إليه رسالة يخبره فيها بأنه اكتشف أنه ليس مؤهلاً للتدريس في الجامعة، لكنه لن يكتب اليوم، ليس اليوم.

ما الذي سيفعله هذا اليوم؟ ترك النافذة والتقط مجلة دورية سمكة وفاخرة من فوق منضدة غولد سمث. كانت مجلة تصدرها إحدى الجمعيات التاريخية في إيطاليا. جذب نظره موضوع الغلاف وبدأ يبحث عنه في صفحات المجلة الداخلية. وعلى الرغم من أنه لم يتعلم الإيطالية، فإن اسم كاتب المقال وهو أل. أس. كيتن سهّل الأمر عليه، كما أن الموضوع نفسه لم يكن غريباً عليه، فهو يعالج أساليب بناء السفن في أوروبا الغربية في أواخر القرن الخامس عشر وأثر ذلك في بعض النواحي العامة. وشعر دكسن أن لا مجال للشك أمامه، فالمقال إما أن يكون إعادة صياغة لمقاله الأصلي وإما ترجمة له. وفي غمرة دهشته، أخذ نفساً قوياً كي يسبّ ويشتم، إلا أنه بدلاً من ذلك قوقاً بطريقة هستيرية. «هكذا إذاً يحصل الناس على كراسي الأستاذية؟ كراسي من ذلك النوع. أوه، حسناً، لا يهم الآن. لكن يا له من... نصاب». فذكره ذلك بأن أحد الأشياء التي ينبغي أن يفعلها اليوم هو الذهاب لرؤية جونز وشتمه، بل الهجوم عليه، لخيانته إياه، فخرج ثم هبط السلالم.

من السهل جداً إعادة تشخيص الجريمة وتمثيلها، إذ استنتج دكسن بعد التشاور مع كل من بيزلي وأتكسن أن جونز لا بد قد استرق السمع عندما كان هذان الشخصان يناقشان موعد تناول الشاي مع كريستين وأنه انتهز أول فرصة سانحة لنقل الخبر إلى صديقه ونصيره، إذ في وسعه القيام بذلك، بل إنه فعل ذلك حقاً. على أي حال، لقد علم دكسن من برتراند أن

جونز هو الذي نقل الخبر بغض النظر عن الطريقة التي نقله بها. واشتعل صدره بالحقد فترة وجيزة عندما طرق باب غرفة جونز ودخل.

لم يكن أحد موجوداً في الغرفة، فتقدّم دكسن نحو المكتب حيث كانت هناك وثائق تأمين كثيرة موجودة فوقه. ففكرَ فترة قصيرة «هل فعل شيئاً يا ترى كي يستحق خيانة جونز مرتين؟ هل هي التغييرات التي أضافها على صورة الموسيقار المنشورة على غلاف المجلة؟ نكتة غير مؤذية، أهي الرسالة من جو هيغنز؟ مزاح فقط». ثم أوماً دكسن برأسه، وقبض على كومة من وثائق التأمين وضعها في جيبه وخرج.

بعد دقائق معدودة، كان دكسن يهبط السلالم بحذر نحو غرفة المراجّل. لم يشاهد أحداً وشعر بغبار الفحم يثرّ تحت قدميه وهو يشق طريقه بين المراجّل باحثاً عن أحد المراجّل المشتعلة. لا بد أن هناك مزجلاً يسخن الماء في المرافق الصحية المختلفة. وفجأة وقع نظره عليه، إذ كان الدخان ينبعث منه بقوة. فالتقط أداة معينة عن الأرض ودفع بها الغطاء جانباً، فاحترقت الوثائق بسرعة، ولم يبقَ منها أي أثر. ثم أعاد الغطاء إلى مكانه وأسرع يصعد السلالم دون أن يراه أحد وهو يخرج من غرفة المراجّل.

ما الذي سيفعله الآن؟ لقد أدرك أنه جاء إلى الكلية دون أن تكون لديه فكرة واضحة عن الإجراء المتخذ بحقه ولم يؤلمه سوى الشعور بالتردد في الافتراق عن بيزلي. أما الآن، وبعد أن استغني عن خدماته، فإنه لا يرغب في الانتظار حتى حلول موعد تناول القهوة إذ سيلتقي حينها مرة أخرى ولش وعميد الكلية. والواقع أنه لم يكن هناك أي سبب يدفعه إلى المجيء إلى هذا المكان مرة أخرى ما عدا جمع حاجياته. حسناً، تلك هي المهمة القادمة، وفي وسعه أن ينجز ذلك سريعاً لأنه لم يجلب معه إلى الكلية سوى كتابين أو ثلاثة وبعض دفاتر الملاحظات. عاد إلى غرفته

ويدأ يحضر هذه الأشياء وفكر في أن العمل في مدينته يعني أنه لن يرى مارغريت إلا مرات قليلة. لكن هذه المرات لن تكون قليلة إجمالاً لأن بيتها لا يبعد عن بيته سوى خمسة عشر ميلاً. وكما أثبتت التجارب، فإن تلك المسافة تعدّ رحلة معقولة للقيام بها مرة واحدة أسبوعياً في العطله على الأقل. وها هي العطله توشك أن تبدأ لتستمر ثلاثة أشهر.

في الطريق خارج الكلية، وجد دكسن أحد الأشخاص يقترب منه، ولم يتبين ملامحه أول الأمر. إلا أن هذه الملامح لم تكن غريبة عليه. قال هذا الرجل:

- كانت محاضرتك جيدة جداً في الليلة الماضية.

فقال دكسن:

- ميشي! هل حلقت شاربك؟

- نعم، فقد قالت إيلين أوشونوسي إنها ضجرت منه مما جعلني

أودّعه هذا الصباح.

- نصيحة جيدة يا ميشي. تطور مدهش.

- شكراً لك. أرجو أنك شفيت تماماً من نوبة الإغماء أو مما

أصابك.

- أوه، نعم. شكراً لك. لم أصب بأي إصابات دائمة.

- جيد. لقد استمتعنا جميعاً بمحاضرتك.

- يسرّني سماع ذلك.

- كان مفعولها أشبه بالقنبلة.

- أعلم ذلك.

- غير أنه من المؤسف أنك لم تستطع إنهاءها.

- نعم.

- على أي حال، لقد فهمنا الفكرة الأساسية فيها.

ثم توقف ميشي عن الكلام برهة عند مرور مجموعة من الأشخاص الغرباء الذين يزورون المكان احتفاءً بأسبوع الكلية. ثم أضاف:
- أقول... أرجو ألاّ يزعجك كلامي. سأل بعضنا إن كنت... أنت تعرف ما أقصد...

- ثملاً؟ نعم. أعتقد أنني كنت ثملاً.

- أظن أن بعض الخصام قد حصل بسبب ذلك. أو ربما ليس لديهم الوقت الكافي لمعالجة ذلك.

- أوه، نعم. كان لديهم الوقت الكافي.

- خصام مستعص.

- حسناً، نعم. لقد استغنوا عني.

- ماذا؟

سأل ميشي وهو يبدو متعاطفاً، إلا أنه لم يكن مندهشاً أو ساخطاً:
- كان ذلك إجراءً سريعاً. حسناً، آسف لما حدث. أسبب المحاضرة

فقط؟

- كلا، هناك بعض المشاكل المتعلقة بالقسم وكانت موجودة قبل ذلك. ربما تعرف ذلك.

لزم ميشي الصمت فترة قصيرة ثم قال:

- سيشتاق بعضنا إليك كما تعلم.

- هذا لطف منك. أنا أيضاً سأشتاق إلى بعضكم.

- إنني ذاهب إلى البيت غداً لهذا أودّعك الآن. أعتقد أنني نجحت.

أليس كذلك؟ في وسعك أن تخبرني بذلك وإلاّ لن أعرف النتيجة حتى الأسبوع القادم.

- أوه، نعم. لقد نجح جميع زملائك. لكن درو رسب في الامتحان.

هل هو صديقك؟

- كلا، حمداً لله. هذا يسرني كثيراً. حسناً، وداعاً. أظن أنني سأدرس
موضوع نيدي في السنة القادمة على أي حال.
- يبدو هذا مؤكداً، أليس كذلك؟

ثم وضع دكسن ممتلكاته المنقولة تحت إبطه وصافح ميشي
وأضاف:

- حظاً سعيداً إذاً.

- حظاً سعيداً لك أيضاً.

سار دكسن نحو طريق الكلية، ونسي أن يلقي نظرة أخيرة على مباني
الكلية حتى وقت متأخر. شعر أنه خالٍ من المتاعب وهو أمر يدعو إلى
العجب في ظل الظروف التي مرّ بها. سيذهب إلى البيت بعد ظهر ذلك
اليوم، لكنه سيأتي مرة أخرى في الأسبوع القادم لينقل بقية أغراضه ويرى
مارغريت. وفكّر «هل يرى مارغريت؟» إن قرب بيته من بيتها يجعل ترك
هذا المكان لا يبدو رحيلاً، بل هو انتقال إلى الجانب الآخر. وهذا أسوأ ما
في الأمر.

وتذكّر أنه سيلتقي كاجبول هذا اليوم في فترة تناول الغداء. ما الذي
يريده هذا الرجل يا ترى؟ لا فائدة من السؤال عن ذلك. الشيء المهم
هو كيفية قتل الوقت حتى يحين الموعد. عاد إلى غرفته وغسل عينه التي
أخذت الكدمة التي أصابتها بالتلashi رويداً رويداً على الرغم من أن لونها
الجديد يشوّه منظره.. وبعد ذلك تحدث إلى الأنسة كتلر عن موضوع
الغسيل والغداء ثم حلق ذقنه واستحمّ. وبينما هو يستحم سمع الهاتف
يرن. وبعد دقائق قليلة سمع صوت الأنسة كتلر وهي تقرق الباب وتقول:

- هل أنت هنا يا سيد دكسن؟

- نعم، ماذا حدث يا آنسة كتلر؟

- شخص يطلبك على الهاتف.

- مَنْ هو؟

- آسفة لم أستطع حفظ اسمه.

- هل هو كاجبول؟

- عفواً؟ كلا، لا أظن ذلك، فاسمه أطول من هذا.

- أوه، لا بأس يا آنسة كتلر. أرجو أن تأخذي منه رقم الهاتف

وأخبريه بأنني سأتصل به بعد عشر دقائق.

- حسناً، يا سيد دكسن.

جفّف دكسن جسده وفكّر «مَنْ الذي اتصل به يا ترى؟ هل هو

برتراند ليهدّده أكثر من ذي قبل؟ تمنّى ذلك. هل هو جونز بعد أن اكتشف

ما حصل لوثائق التأمين؟ قد يكون. هل هو عميد الكلية الذي يطلبه

لاجتماع طارئٍ يعقده مجلس الكلية؟ كلا، كلا، لا يمكن ذلك».

وبينما هو يرتدي ملابسه، شعر بالبهجة والسرور، إذ ليس لديه أي

شيء يشغله. وهناك تعويضات لأنه لن يحاضر بعد اليوم. فارتدى قميصاً

ليثبت تحرّره من العالم الأكاديمي. أما البنطلون الذي ارتداه فهو البنطلون

نفسه الذي تمزق في سيارة ولش وقد أصلحته الأنسة كتلر بشكل ممتاز.

ووجد قرب الهاتف ورقة صغيرة مكتوبة بخط يدها وعليها الرقم فقط، أما

الاسم فلم تستطع تمييزه ثانية. وعندما رأى رقم الهاتف، أصيب بالدهشة

لأنه رقم هاتف قرية صغيرة على بعد أميال متعددة من الجهة الأخرى

لبيت ولش. وهو لا يدري إن كان لديه أي أصدقاء هناك. أجابت امرأة

على النداء.

فقال وهو يفكّر في أن في وسعه أن يكتب أطروحة عن استخدام

الهاتف في المجالات التي لا علاقة لها بالأعمال:

- ألو...

ذكرت المرأة رقم هاتفها، إلّا أنه سألها وهو يشعر بالارتباك:

- أوجد رجل في البيت؟

فقلت بلهجة عدائية:

- رجل؟ مَنْ المتكلم؟

- اسمي دكسن.

- أوه، نعم يا سيد دكسن. لحظة واحدة من فضلك.

ساد الصمت فترة وجيزة، ثم تنهى إلى سمع دكسن صوت رجل

وهو يقول بعد أن قرّب فمه كثيراً من سماعة الهاتف:

- أكو، هل أنت دكسن؟

- نعم، مَنْ المتكلم؟

- غور أورغوهارت هل فصلوك؟

- ماذا؟

- هل فصلوك؟

- نعم.

- حسناً إذاً، لن أفشي سرّاً إذا قلت لك ذلك. ما هي مشاريعك الآن

يا دكسن؟

- إنني أفكر في التدريس في إحدى المدارس.

- هل أنت مصمم على ذلك؟

- لا، ليس تماماً.

- جيد، لديّ وظيفة لك. خمسمائة جنيه في السنة. وعليك أن تبدأ

العمل فوراً ابتداءً من يوم الاثنين القادم، وينبغي لك العيش في لندن.

أتوافق؟

وجد دكسن أنه ليس قادراً على التنفس فحسب، بل على الكلام

أيضاً. قال:

- ما هي الوظيفة؟

- أعمال سكرتارية خاصة، لكن ليست هناك مراسلات كثيرة لأن هناك فتاة شابة تقوم بمعظم هذه الأعمال. العمل الرئيسي هو أن تلتقي بالناس أو تخبرهم بأنني لا أستطيع رؤيتهم. سنبحث التفاصيل في العاشرة من صباح يوم الاثنين في منزلي في لندن. سجّل العنوان لديك. وبعد أن تلا العنوان قال:

- هل أنت على ما يرام الآن؟

- نعم، أنا على ما يرام تماماً. شكراً لك. لقد نمت حالاً بعد...

- إنني لا أسألك عن صحتك يا صاح. هل فهمت التفاصيل كلها؟

هل تكون موجوداً صباح يوم الاثنين؟

- نعم، شكراً جزيلاً يا سيد...

- حسناً إذاً، إلى اللقاء.

- لحظة واحدة من فضلك يا سيد غور أورغوهارت. هل يكون

عملي مع برتراند ولش؟

- ما الذي أوحى لك بهذه الفكرة؟

- لا شيء، ظننت أنه يريد العمل معك.

- تلك هي الوظيفة التي ستقوم بها. إنني أدركت أن ولش الشاب

لا يصلح لها حالما وقعت عيناى عليه. إنه مثل لوحاته. وما يؤسف له أنه

استطاع أن يربط كريستين به. إنها عنيدة كالبعول، وهي أسوأ من أمها. على

أي حال، أظن أنك ستقوم بالوظيفة على أحسن وجه يا دكسن ولا علاقة

للأمر بأنك تحمل المؤهلات الأكاديمية لهذا العمل أو لغيره وإنما لأنك

تحمل الكثير. لكن على الرغم من ذلك فأنت ليس غير صالح للعمل وهذا

شيء مهم. هل هناك أي استفسارات أخرى؟

- هذا كل ما لدي. شكراً لك. إنني...

- العاشرة من صباح الاثنين.

ثم أغلق سماعة الهاتف.

نهض دكسن ببطء من وراء المنضدة المصنوعة من خشب الخيزران. أي صوت في وسعه أن يصدره ليعبر عن مشاعره؟ أخذ نفساً عميقاً ليطلق صرخة تعبر عن فرح غامر. إلا أن الساعة الموضوعه فوق رف المدفأة تبهته إلى المشاغل اليومية. كانت الساعة الثانية عشرة والنصف وهو موعد لقائه كاجبول لمناقشة موضوع مارغريت. هل يتعين عليه الذهاب؟ إن العيش في لندن من شأنه أن يجعل مشكلة مارغريت أقل أهمية أو بالأحرى أقل ارتباطاً به. وانتصر حب استطلاع.

وبينما هو يترك البيت، فكّر بسرور في تلخيص غور أورغوهارت مزايا لوحات برتراند. لقد علم أنه لا يمكن أن يكون مخطئاً في هذا الشأن. لكنه أدرك أن برتراند لا يزال يحتفظ بكريستين على الرغم من أنه عاطل عن العمل وبلا موهبة.

* * *

عندما وصل دكسن، وجد كاجبول قد حضر توأ، ووجده شاباً طویل القامة نحيف البنية في مقتبل العشرينات وعليه سيماء المثقفين ويسعى إلى إعطاء الانطباع بأنه موظف في أحد البنوك. اشترى شراباً لدكسن واعتذر لأنه يشغله عن أعماله بمجيئه إليه. وبعد الكثير من العبارات التمهيدية، قال:

- أعتقد أن أفضل وسيلة هي أن أعرض عليك بعض الحقائق الخاصة بالموضوع. فهل توافق على هذا؟
- نعم، لا بأس. لكن ما هي الضمانات التي تشير إلى أنها حقائق صحيحة فعلاً؟

- لا توجد أي ضمانات ما عدا أنك لو عرفت مارغريت، فلن تفضل في ملاحظة صدقها. وقبل أن أبدأ، هل تفضل وتوضح قليلاً ما ذكرته في أثناء المكالمة الهاتفية بشأن وضعها الصحي الحالي.

امتثل دكسن للأمر، وتمكّن في أثناء حديثه من الإيحاء بطبيعة العلاقة بينه وبين مارغريت. وأصغى إليه كاجبول وهو صامت بينما ثبت عينيه على المنضدة أمامه مقطباً قليلاً ومداعباً عودَي ثقاب مستعملين. كان شعر رأسه طويلاً ومهملاً. وأخيراً قال:

- شكراً جزيلاً. هذا يوضح الأمور قليلاً، وسأروي لك قصتي الآن. «بدءاً، أنا لم أقع في غرام مارغريت قط، سواء بالمعنى العاطفي أم غيره، على خلاف ما كانت تذكره على ما يبدو. أعتقد أن هذه مفاجأة أليس كذلك؟»

فأجاب دكسن:

- نعم.

وشعر بالخوف كأن كاجبول يحاول إثارة مشاجرة بينهما.

فقال كاجبول:

- فكّرت في أن ذلك محتمل. حسناً، لقد التقيتها في حفلة سياسية ووجدت نفسي أخرج معها دون أن أعرف عنها أي شيء. ذهبنا إلى المسارح والحفلات الموسيقية وغيرها. وسرعان ما أدركت أنها واحدة من الناس، وبالأحرى واحدة من النساء اللواتي يعشن على التوتر العاطفي. وبدأنا نتشاجر دون سبب وأنا صادق في كلامي. كنت حذراً جداً من التورط في البدء بأي علاقة جنسية معها، إلا أنها بدأت تتصرف وكأنني على علاقة جنسية معها. فأخذت تتهمني دوماً بأنني أهملها وألحق الأذى بها وأحاول إذلالها أمام غيرها من النساء وغير ذلك. هل مررت بمثل هذه التجارب معها؟

قال دكسن:

- نعم، استمر بحديثك.

- أعتقد أن بيننا عوامل مشتركة أكثر مما تصورنا في البداية. على أي حال، بعد حدوث مشاجرة سخيفة بسبب ملاحظة أبديتها لها عندما عرفتها بشقيقتي، قرّرت وضع حد لعلاقتي بها، وأخبرتها بقراري. وهنا حدث مشهد مؤلم تماماً.

في هذه اللحظة مسح كاجبول شعره بإصبعه وتحرك في كرسيه

وأضاف:

- أخذت إجازة عصر ذلك اليوم، وذهبنا لشراء بعض الأشياء وأتذكر الآن كيف بدأت فجأة بالصراخ عليّ في وسط الشارع، شيء فظيع حقاً. وشعرت بأنني لا أستطيع أن أتحمّل أكثر من ذلك حتى لدقيقة واحدة. ولكنني ولأجل تهدئتها وافقت على الذهاب ولقائها حوالى الساعة العاشرة

من مساء ذلك اليوم. وعند حلول الموعد، لم أجرؤ على الذهاب. وبعد مرور يومين اثنين اكتشفت أنها حاولت الانتحار في مساء ذلك اليوم نفسه الذي قررنا فيه أن نلتقي. وأصبت بصدمة شديدة عندما أدركت أنه كان في وسعي الحيلولة دون وقوع ذلك لو أنني ذهبت للقاءها.

فقال دكسن بعد أن جفّ ريقه:

- انتظر لحظة. لقد طلبت مني أن نلتقي مساء ذلك اليوم أيضاً، وأخبرتني بعد ذلك بأنك جئت وأخبرتني...

فقال كاجبول:

- هل أنت متأكد؟ هل أنت متأكد أن ما حدث كان في ذلك المساء نفسه؟

- تماماً. إنني أستطيع أن أتذكر كل شيء بوضوح تام. كنا قد اشترينا الأقراص المنومة تَوّاً عندما طلبت مني المجيء، وهي الأقراص التي لا بد أنها استخدمتها في ذلك المساء. هذا ما أتذكره. لماذا؟ ماذا حدث؟

- هل اشتريت الأقراص المنومة عندما كانت معك؟

- نعم، هذا صحيح.

- متى حدث ذلك؟

- متى اشتريت الأقراص؟ أوه، أعتقد أن الوقت كان ظهراً. لماذا؟

فقال كاجبول ببطء:

- لكنها اشتريت علبة أقراص منومة عندما كانت معي بعد ظهر ذلك اليوم.

نظر كل منهما إلى الآخر بصمت، وأخيراً قال دكسن:

- أعتقد أنها زوّرت وصفة طبية.

فقال كاجبول بمرارة:

- من المفروض أن يكون كلانا موجوداً معها في ذلك الوقت لنرى

ما فعلنا بها. أعلم أنها عصائية، لكن ليس إلى هذه الدرجة.

- لحسن الحظ أن الشخص الذي يسكن الغرفة الكائنة تحت غرفتها صعد إليها ليشكو ارتفاع صوت الراديو.

- لم يكن في وسعها الإقدام على تلك المخاطرة. وهذا يؤكد تماماً آرائي فيها دوماً. إن مارغريت لم تكن تروم الانتحار في ذلك الوقت أو في أي وقت آخر. لا بد أنها تناولت بعض الأقراص قبل الموعد المقرر لوصولنا - وهي كمية لا تكفي لقتلها - وانتظرت وصولنا للاندفاع نحوها وتوجيه اللوم إلى أنفسنا. لا أظن أن هناك شكاً في هذا. لم يكن خطر الموت يهددها قط.

فقال دكسن:

- لكن ليس هناك أي دليل على كلامك. ما تقوله ليس سوى افتراض ليس غير.

- ألا تعتقد أنني على صواب في ضوء معرفتك بها؟

- حقاً إنني لا أعرف كيف أفكر.

- لكن ألا ترى الأمور؟ ألا يبدو ذلك معقولاً لك. إنه التفسير الوحيد الذي ينطبق على الحالة. انظر وحاول أن تتذكر. هل ذكرت كم عدد الأقراص التي تناولتها؟ أكان بقدر الجرعة القاتلة أو مقارباً لها؟ - كلا، لا أعتقد. أتذكر قولها إنها كانت تمسك بعلبة حبوب فارغة طوال الوقت الذي..

- العلبة الفارغة؟ كانت هناك علبتان. لقد اقتنعت الآن، فقد كنت على حق.

فقال دكسن:

- سأجلب شراباً آخر.

وشعر أنه لا بد له من الابتعاد عن كاجبول فترة وجيزة، إلا أنه في

أثناء وقوفه أمام طاولة المشرب وجد أنه لا يستطيع التفكير، وأن كل ما يستطيع عمله هو أن يحاول عبثاً تنظيم سلسلة أفكاره. فهو لم يشف بعد من الدهشة الاعتيادية لدى اكتشافه أن شخصاً غريباً يعرف جيداً شخصاً آخر يعرفه هو شخصياً معرفة وثيقة. وشعر أن علاقة حميمة واحدة من شأنها أن تلغي أي علاقة أخرى. أما نظرية كاجبول، فلم يستطع تصديقها. هل في وسعه أن يصدّقها؟ إنها نظرية لا تبدو شبيهة بالنظريات التي يمكن أن تصدق أو لا تصدق.

حالما انضمّ دكسن إلى كاجبول في تناول الشراب، قال له الأخير:

- أظنك لا تزال غير مقتنع. أليس كذلك؟

ثم تحرك في مقعده وبدا عليه قليل من الابتهاج وأضاف:

- العلبة الفارغة. لكن هناك علبتان. ولم تستخدم سوى علبة واحدة. من أين لي أن أعرف؟ هل تعتقد أنها نسيت أن تخبرك بأنها تناولت محتويات العلبتين إذا كانت قد أقدمت على ذلك حقاً؟ كلا. لقد نسيت أن تكذب إذ ظنّنت أن المسألة عديمة الأهمية ولم تتوقع أنني سألتقيك بهذه الطريقة، ولا أستطيع لومها بسبب ذلك، لأن أفضل من يصنعون الخطط لا يستطيعون أن يفكروا في جميع الاحتمالات. لا بد أنها عرفت جيداً أن تناول محتويات علبة واحدة لن يلحق بها الضرر وربما لن تسبّب محتويات العلبتين القضاء عليها، إلا أنها لم ترغب في المخاطرة.

ثم تناول قدحه وشرب نصف ما فيه واسترسل في كلامه:

- حسناً، إنني شاكر لك ما فعلته لأجلي. لقد تحرّرت منها الآن تماماً، ولن أقلق بعد اليوم على صحتها. حمداً لله. وهذا شيء كبير.

ثم حملق إلى وجه دكسن بينما تدلّى شعره فوق حاجبه وأضاف

قائلاً:

- وأنت أيضاً تخلصت منها كما أعتقد.

- ألم تفتاحها بموضوع الزواج؟

- كلا، لم أكن من الغباء كي أفعل ذلك. أعتقد أنها أخبرتك عن ذلك.

- نعم، كما أنك لم تذهب إلى ويلز مع إحدى الفتيات في أثناء ذلك.

- كلا، لسوء الحظ. لقد ذهبت إلى ويلز حقاً، لكن ذهابي كان خاصاً بالشركة. والشركة لا تزود ممثليها بالفتيات عندما يوفدون خارجاً. أمر يدعو إلى الشفقة.

شرب بقية ما في قدحه ونهض واقفاً على قدميه وقد لاح عليه الهدوء. قال:

- أرجو أن أكون قد أفلحت في إزالة شكوكك فيّ. إنني سعيد جداً بلقائك ويطيب لي أن أعرب عن شكري الجزيل لك لما قدّمته لأجلي.

ثم انحنى إلى الأمام فوق دكسن وقال بصوت خفيض:

- لا تحاول مساعدتها بعد الآن، فهي خطيرة جداً وأنا متأكد من كلامي. إنها لا تحتاج إلى أي مساعدة حقاً. أرجو لك حظاً سعيداً، وإلى اللقاء.

صافح كل منهما الآخر، ثم خرج كاجبول ورباط عنقه يتأرجح. وبعد أن فرغ دكسن من تناول شرابه غادر المكان بعد حوالي دقيقتين وعاد إلى غرفته وكان وقت الغداء قد حان. بدت له جميع الحقائق معقولة، غير أن مارغريت كانت قد استولت على مشاعره وحياته على نحو تصعب فيه إزاحتها عن طريقه لمجرد ذكر بعض الحقائق، وكان في وسعه ألا يصدق كل ما سمعه بأذنيه.

أعدت الآنسة كتلر طعام الغداء لبعض النزلاء الذين طلبوا ذلك في تمام الساعة الواحدة. وقرّر دكسن أن ينتهز هذه الفرصة للسفر إلى مدينته

في القطار الذي يغادر بعد الثانية بقليل. وعندما دخل غرفة الطعام وجد بيل أتكنسن يجلس إلى المائدة وهو يطالع عدداً جديداً من مجلة المصارعة التي يشترك فيها. نظر بيل إلى دكسن وقال كشأنه في بعض الأحيان:

- صديقتك اتصلت توأ.

- يا إلهي! ماذا تريد؟

فقال بيل مقطباً:

- لا تقل «يا إلهي!» إنني لا أقصد تلك التي تثير حزني، بل الأخرى التي تقول عنها إنها ملك الرياضي الملتحي.

- كريستين؟

فقال أتكنسن وهو يحاول أن يلفظ اسمها بطريقة تدلّ على أنه كلمة

نايبة:

- نعم كريستين.

- ماذا تريد يا بيل؟ ربما كان الأمر مهماً.

التفت أتكنسن إلى الصفحة الأولى من مجلته، وأشار إلى أن الحديث

لا يزال مستمراً عندما قال:

- انتظر لحظة.

وبعد أن قرأ بإمعان ملاحظة كتبها سابقاً في حاشية الموضوع قال

بلهجة جارحة:

- لم أفهم كل ما قالته ولكن النقطة المهمة هي أن قطارها سيغادر

في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين.

- ماذا، اليوم؟ لقد قالت إنها لن تغادر قبل بضعة أيام.

- لا شأن لي بما سمعته منها. أنا أخبرك بما سمعته منها. قالت إن

لديها بعض الأخبار لك، ولكنها لا تستطيع ذكرها لي عن طريق الهاتف

وإذا رغبت في رؤيتها فينبغي لك أن تراها قبل مغادرتها في قطار الساعة

الواحدة والدقيقة الخمسين. وقالت إن الأمر يعتمد عليك ويبدو أنها كانت مصممة على فكرة أن الأمر يعتمد عليك. لكن أرجو ألا تسألني عما كانت تعني بكلامها هذا، لأنها لم توضح أكثر. وقالت إنها ستفهم السبب إذا لم تذهب إليها. أرجو ألا تطلب مني أن أترجم معنى ذلك. ثم أضاف: أن القطار المذكور لا يغادر المدينة من المحطة الرئيسة، بل من محطة أصغر قرب بيت ولش، حيث إن بعض القطارات التي لا تنطلق أساساً من المدينة، تقف في تلك المحطة وهي في طريقها إلى لندن.

قال دكسن وهو يحسب الوقت:

- من الأفضل أن أتحرك إذاً.

- نعم، سأخبر المرأة بأنك لا تريد طعام الغداء. أسرع واستقل تلك الحافلة.

ثم خفض أتكسن وجهه وشرع في مطالعة مجلته.

هرع دكسن إلى الشارع وشعر كأنه كان مسرعاً طوال حياته. لِمَ لا تستقل القطار الذي ينطلق من محطة المدينة؟ هناك قطار ممتاز يغادر إلى لندن في الساعة الثالثة والدقيقة العشرين. ثم ماذا لديها من أخبار؟ على أي حال، لديه هو بعض الأخبار لها. خبران في الواقع. هل يعني رحيلها المفاجئ أنها تشاجرت وبرتراند مرة أخرى؟ من المتوقع أن تمر الحافلة عن طريق الكلية بين الساعة الواحدة والدقيقة العاشرة والواحدة والدقيقة الخامسة عشرة، وقد حان الوقت الآن. أما الحافلة التالية فموعدتها الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والثلاثون. لا فائدة من ذلك. فأسرع يحث خطاه. كلا، لا يمكن أن يكون سبب رحيلها المشاجرة فحسب، فهي ليست من النمط الذي ينتقم انتقاماً كهذا مما فعله. أوه! لا بد أنها تريد أن تخبره بأن عمها سيعرض عليه وظيفة. ولم تفكر قط في أنه سيمع بالخبر قبلها. أطلبت منه قطع هذه المسافة كلها كي تنقل إليه هذا الخبر؟ أم أن

ذلك ليس إلا عذراً كي تراه مرة أخرى؟ لكن ما الذي يدفعها إلى ذلك يا ترى؟ وفجأة اتجه إلى جانب الطريق حيث كانت سيارة كبيرة تشبه سيارة أجرة واقفة على بعد بضع ياردات تنتظر في شارع فرعي كي تنضم إلى بقية السيارات. فأسرع دكسن وهو يصيح:

- تاكسي! تاكسي!

هذا ما كان يريد. واستطاع في فترة وجيزة أن يتجه صوب الرصيف البعيد، إلا أن سيارة الأجرة انطلقت نحو الشارع الرئيس وأسرعت في الابتعاد عنه.

- تاكسي! تاكسي!

ما كاد يصل إلى السيارة حتى لاح له وجه زوجة عميد الكلية من النافذة الخلفية، وكانت تعتمر قبة تشبه القلنسوة وتبدو مقطبة وهي تنظر إليه من المقعد الخلفي الذي بدا له فارغاً. من الواضح أن السيارة لم تكن سيارة أجرة، بل سيارة عميد الكلية.

هل عميد الكلية في داخلها هو الآخر؟ انحرف دكسن في طريقه ودخل بوابة مفتوحة تؤدّي إلى حديقة أمامية لأحد البيوت وهناك توارى فترة وجيزة وراء السياج. هل يهّمه حقاً أن يلتقي كريستين في المحطة؟ ألن يصبح في مستطاعه أن يتصل بها بعدئذ عن طريق عمها؟ أما يزال يحتفظ بقصاصة الورق التي كتب عليها رقم هاتفها؟ وفجأة التفت إلى الوراء عندما سمع صوت نقر على الزجاج.

كانت سيدة، عجوز وبيغاء كبيرة الحجم تحدقان إليه من نافذة في الطابق الأرضي. فانحنى أكثر من ذي قبل، ولكنه تذكّر عندئذ الحافلة فأسرع يعدو نحو الرصيف. وعلى بعد مائتي ياردة لاح له الحافلة وهي تسير ببطء قادمة من المدينة. كانت بعيدة جداً حتى إنه لم يتمكن من قراءة وجهة سيرها. كما أن الإجهاد الذي ألمّ به أضفى طبقة من الضباب

على نظارته فلم يعد في وسعه أن يقرأ وجهة سيرها. لكن لا بد أن تكون الحافلة هي المقصودة، ولا بد له من أن يذهب بها. وشعر أن ثمة أمراً شيئاً سيحدث إن لم يذهب إلى المحطة. فأسرع يعدو بسرعة أكبر حتى إن الناس أخذوا يبتعدون عن طريقه وينظرون إليه نظرات ملؤها الاستهجان. في تلك الأثناء لم تتمكن الحافلة من السير نحو طريق الكلية بسبب شدة الزحام، وتوقفت في منتصف الطريق. واستطاع دكسن أن يرى أنها الحافلة المقصودة. فأخذ يركض سريعاً نحو منعطف طريق الكلية، إلا أن الحافلة تحركت من جديد ووصلت المنعطف قبل وصوله. ولما نظر إلى الحافلة مرة أخرى وجد أنها توقفت على بعد خمسين ياردة داخل طريق الكلية حيث صعد إليها أحد الأشخاص.

انتاب دكسن غضب شديد، بينما كان قاطع التذاكر يراقبه دون حراك من مكانه. ولما أصبح على مقربة من الحافلة، قرع الجابي الجرس فتحرّكت الحافلة من جديد، ووجد دكسن أنه يستطيع الركض على نحو أفضل مما كان يتصور. لكن عندما أصبحت المسافة قصيرة لا تتعدى خمس ياردات وجد أنها أخذت تزداد فجأة. فتوقف دكسن عن الركض ولوّح لقاطع التذاكر الذي ظل يحمله إليه دون أي انفعال بإشارة بذئبة من يده. وفجأة قرع قاطع التذاكر الجرس مرة أخرى، فتوقفت الحافلة ثانية لكن دكسن تردّد في الصعود لفترة وجيزة. وأخيراً ركب الحافلة بشيء من الحياء وعدم الثقة، ووجد نفسه غير راغب في النظر إلى عيني قاطع التذاكر الذي قال له بإعجاب:

- لقد ركضت جيداً!

ثم قرع الجرس مرة ثالثة.

سأل دكسن عن موعد وصول الحافلة إلى المحطة التي تعدّ نهاية خط السير، فتلقى إجابة مهذبة لكنها غير محدّدة وقضى دقائق معدودة

وهو يتطلع إلى نظرات المسافرين القريبين منه، ثم صعد بمشقة إلى الطابق العلوي وتوجّه إلى المقعد الأمامي وهوى فوقه دون أن يتمكن من تمالك نفسه. أخذ ييلع المادة السميقة الحارة التي ملأت فمه ولهث بقوة فترة قصيرة من الزمن ثم أخرج بيد مرتعشة علبة سجائره الصغيرة وعلبة عيدان الثقاب. وبعد أن قرأ النكتة المكتوبة على ظهر العلبة مرات متعددة وضحك مما ورد فيها، أشعل سيجارة. كان هذا هو التصرف الوحيد الذي في وسعه القيام به في تلك اللحظة. ثم تطلع من خلال النافذة فوجد الطريق يمتد أمامه، ولم يتمالك نفسه من الشعور بشيء من الجذل ولا سيما عند رؤية جمال المناظر الطبيعية المترامية تحت أشعة الشمس الساطعة. واستطاع أن يشاهد أيضاً وراء صفوف البيوت المتراسة الحقول المترامية الأطراف. كما شاهد جدول ماء ينساب بين الأشجار.

لقد ذكرت كريستين أنها ستفهم السبب إن لم يحضر لوداعها. ما تقصد بكلامها؟ أتقصد أنها تفهم أن التزاماته إزاء مارغريت من شأنها أن تحول دون مجيئه، أم أنها ذات معنى خفي يوحي أنها ستفهم أن مجمل العلاقة بينهما تبدو له الآن غلظة رومانسية سواء أكانت مارغريت موجودة أم غير موجودة؟ إنه لا يستطيع أن يدع كريستين تفلت منه اليوم. وإذا أفلحت في ذلك فقد لا يراها ثانية البتة البتة. تلك عبارة غير مرغوب فيها، وفجأة تغيّرت سحته وبدت كأنها لا تحتوي إلا على الأنف والنظارة. سارت الحافلة وراء شاحنة تجرّ وراءها ببطء عربة مقطورة كبيرة كُتب عليها بعض التحذيرات وطول المركبة. بدأت الشاحنة تسير ومن ورائها المقطورة والحافلة بسرعة لا تزيد عن الاثني عشر ميلاً في الساعة على الطريق الذي بدا سلسلة من المنعطفات، واستطاع دكسن بصعوبة أن يحول أنظاره عن مؤخرة المقطورة، وبدأ يفكر في ما قاله له كاجبول عن مارغريت.

أدرك حالاً أن عقله كان قد اتخذ القرار حالما عزم على الانطلاق في هذه الرحلة. وشعر لأول مرة أنه لا فائدة من محاولة إنقاذ أولئك الناس الذين يفضلون ألا ينقذهم أحد، لأن الاستمرار بالمحاولة لا يعني الاستسلام إلى الشفقة والعطف الشديد فحسب، بل يعني أيضاً غلطة والاستمرار بها عمل غير إنساني. إن حظ مارغريت سيء جداً وربما كان مستمداً، كما اعتقد من قبل، من سوء حظ يتمثل بأنها غير مثيرة جنسياً. أما كريستين فهي ذات طبيعة سوية أكثر من مارغريت. وهذه مستمدة، بلا شك من أنها محظوظة بوجهها وقوامها. لكن تلك هي طبيعة الأشياء. أما أن تصف الأمور بأنها محظوظة، فهذا يختلف عن وصفها بأنها غير موجودة أو أنها سيؤخذ بها بعين الاعتبار. إن كريستين لا تزال أجمل وأرق من مارغريت ومهما كانت الاستنتاجات المترتبة على ذلك فإنها يجب أن تذكر. ليست هناك نهاية عندما تكون الأشياء الجميلة أجمل من الأشياء القبيحة. كما أن الحظ هو الذي أنقذه من تلك الورطة. لو كان كاجبول رجلاً من نمط آخر، لظلّ دكسن على جهل بكل ما حدث. والآن يجد نفسه يحتاج إلى جرعة أخرى من الحظ. ولو تحقق ذلك فإنه يستطيع أن يبرهن منفعته للآخرين.

جاء قاطع التذاكر وتحديث إلى دكسن في ما يتعلق بتذكرته. ولما فرغ من ذلك، قال:

- ينبغي لنا أن نصل المحطة في تمام الساعة الواحدة والدقيقة الثالثة والأربعين. وقد تأكدت من ذلك بواسطة الجدول.

- أوه، وهل تعتقد أننا سنصل في الوقت المحدد؟

- إنني آسف. لا أستطيع التنبؤ بذلك. كما أننا لن نصل إذا واصلنا

زحفنا البطيء وراء هذه الشاحنة. أتريد اللحاق بالقطار؟

- حسناً، إنني أريد رؤية شخص سيغادر في قطار الساعة الواحدة

- لو كنت مكانك لما اعتمدت على ذلك.

ثم أخذ ينظر ملياً إلى الكدمة التي لا تزال آثارها واضحة على عين دكسن.

قال دكسن وهو يحاول التخلص منه:

- شكراً لك.

مرّت الحافلة في طريق ضيق منحدر، فكان من الميسور رؤية كل شيء يمتد فوقه. وشوهدت ذراع سائق الشاحنة السمراء الهزيلة تمتد من خلال النافذة وتلوح للحافلة بالمرور.

بيد أن سائق الحافلة تجاهل هذه الإشارة مفضلاً عليها الوقوف على نحو طبيعي عند موقف الحافلة تماماً وراء صف من البيوت. وبعد أن توقفت الحافلة، صعدت إليها بعد طول انتظار امرأتان عجوزان قصيرتا القامة تشحان بالسواد وسمعهما دكسن وهما تصيحان على قاطع التذاكر بكلمات غير مفهومة. مرّت خمس ثوانٍ على الأقل تحرك فيها دكسن وهو جالس في مقعده وانحنى في جلسته باحثاً عن أي شيء قد يكون السبب في هذا التوقف الحاصل في رحلته، فلم يتبين أي شيء. هل سقط السائق فجأة بعد أن أصبح ضحية للإغماء، أو هل وافته فجأة فكرة كتابة قصيدة ما؟ وشعر أن التوقف استمر فترة أطول. وظهرت فجأة في وسط الهدوء التام امرأة أخرى خرجت من أحد البيوت القريبة وهي ترتدي بدلة أرجوانية اللون. نظرت بلهفة إلى الحافلة وعرفت أنها الحافلة المقصودة دون عناء يذكر، ثم اقتربت بانحناءة من جسدها تشبه حركة عسكري أمام منضدة دفع الرواتب. وقد عزّز من هذه الصورة القبعة التي كانت ترتديها، إذ كانت تشبه قبعة قديمة حمراء اللون لأحد جنود الحرس. وعندما رآها دكسن تبسم إعجاباً بنفسها لأنها تمكّنت من اللحاق بالحافلة، فكّر في أن

هذه العاهرة ربما تكون قد وجدت قبعتها مرمية في الطريق خارج بيتها الريفي الصغير والقذر بعد إحدى المناورات العسكرية، وهي من تركات أحد العابثين من فصيل النقل وقد سقطت عن رأسه على الأرض ومرت عليها عجلات اللواء كله وعرباته.

شقت الحافلة طريقها نحو قمة الطريق وبدأت الفجوة بينها وبين الشاحنة تنقلص. ووجد دكسن أن كيانه كله أصبح منشغلاً في قضية تقدم الحافلة. ولم يعد يفكر في ما ستقوله له كريستين إذا ما وصل المحطة في الوقت المحدد أو ما الذي سيفعله إن لم يصل في ذلك الوقت. ولم يفعل شيئاً سوى الجلوس على المقعد الذي علاه الغبار بعد أن أثاره تحرك الحافلة وأوشك على إطلاق ضحكة زلزالية بينما كان العرق يتصبب منه لشدة الحرارة والمخاوف - حمداً لله، لم يتناول أي مشروبات - التي كانت تتابه، كما أخذ يمدّ رأسه إلى مختلف الاتجاهات كلما تجاوزت الحافلة إحدى السيارات، وكلما مرت بأحد المنعطفات، أو كلما أبدى السائق احترازاً لا مبرر له.

أصبحت الحافلة الآن وراء الشاحنة التي أخذت تخفض من سرعتها أكثر من ذي قبل. وقبل أن يتمكن دكسن من إطلاق صرخة، وقبل أن يتمكن من تخمين ما سيحدث، انحرفت الشاحنة ومن ورائها المقطورة إلى كتف الشارع فأصبحت الحافلة وحدها على الطريق. وفكر دكسن بعد أن انتعشت آماله في أن الوقت حان الآن كي يعوض السائق الوقت الضائع في التأخير. لكن السائق لم يوافق على هذا التشخيص، فأشعل دكسن سيجارة أخرى بعد أن وخز عود الثقاب بالعلبة كأنه يوخز عين السائق. ولم يكن يملك أي فكرة عن الوقت، إلا أنه خمن أن الحافلة لا بد قد اجتازت خمسة أميال من مجموع الأميال الثمانية التي تنتهي بالمحطة. وفجأة انعطفت الحافلة في سيرها نحو طريق جانبي وتوقفت فجأة.

وظهرت على الطريق ساحبة زراعية وهي تجرّ وراءها شيئاً يشبه لوالب سرير أحد العمالقة يسدّ الطريق وقد وضع فوقه عشب وغطت أجزاء منه قطع من الطين. وشعر دكسن أنه يرغب حقاً في النزول إلى الطابق السفلي من الحافلة وذبح سائقي المركبتين. ما الذي سيحدث بعد هذا؟ ماذا سيحدث؟ ما الذي سيحدث حقاً؟ عملية سطو يقوم بها مقنّعون؟ اصطدام؟ فيضانات؟ انفجار أحد إطارات الحافلة؟ عاصفة كهربائية تسقط في أثنائها الأشجار والنيازك؟ تحويلة في الطريق؟ هجوم تشته إحدى الطائرات الأجنبية على ارتفاع منخفض أو قطع من الأغنام؟ زنبور يلدغ سائق الحافلة؟ سيختار دكسن آخر هذه الأشياء لو استشاره شخص ما. واصلت الحافلة زحفها بينما كانت مجموعات من الشيوخ في انتظارها كل بضع ياردات ليصعدوا إليها وهم يرتعشون.

وعندما بدأ المرور يزدحم قليلاً باتجاه المدينة أضاف السائق إلى حذره المفرط ولعاً شديداً بأن الطريق يستخدمه غيره من سائقي المركبات ووسائل النقل الأخرى. فكانت رؤيته عربة نقل أو دراجة يقودها أحد الصبيان باعثاً ي دفعه إلى تخفيض سرعته من جديد لتصبح أربعة أميال في الساعة، مع التلويح بيده أو هزّ رأسه كلما سنحت الفرصة كما خيّل إلى دكسن. فمارس السائقون المتدربون قيادة مركباتهم إلى الوراء أمام الحافلة مباشرة، وعبرت من أمامه بهدوء جماعات من الكسالى المتسكعين، بينما عاد الأطفال إلى الطريق لاستعادة لعبهم التي كادت أن تدهسها عجلات الحافلة.

هزّ دكسن رأسه وأخذ يلتفت إلى اليمين والشمال، بحثاً عن أي ساعة تنبّه بالوقت. إن سكان هذا المكان الراكذ عقلياً وأخلاقياً ومادياً والذين كرّسوا، كعهدهم، لحظات اليقظة القصيرة التي تمتعوا بها في البحث عن المخالفات، كانوا فقراء جداً وبخلاء جداً. وفجأة شاهد دكسن هيكل

محطة السكة الحديد على بعد ثلاثين ياردة فعاد إلى الواقع وهوول على امتداد الممر وهبط السلالم. وقبل أن تصل الحافلة إلى المحطة، قذف بنفسه من الباب وأسرع في عبور الطريق واتجه صوب صالة الحجز. كانت الساعة المعلقة فوق مكتب قطع التذاكر تشير إلى الواحدة والدقيقة السابعة والأربعين. وفجأة تقدّم عقرب الدقائق دقيقة واحدة إلى الأمام، فقذف دكسن بنفسه فوق الحاجز ليجد رجلاً غليظ الملامح يحملق إليه. فسأله:

- أين رصيف القطار المتجه إلى لندن من فضلك؟

فنظر إليه الرجل باستحسان كأنه يحاول أن يقيس مسبقاً مدى استعداداه لتقبل نكتة غير لائقة أكثر من اللازم. فسأله بدوره:

- ألسنت مبكراً قليلاً؟

- ماذا؟

- القطار التالي يغادر إلى لندن في الثامنة والدقيقة السابعة عشرة.

- الثامنة والدقيقة السابعة عشرة!

- ولا توجد فيه عربة مطعم.

- ماذا بشأن قطار الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين؟

- لا يوجد قطار في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين. لا بد أن

الأمر اختلط عليك، لأن هناك قطاراً في الواحدة والدقيقة الأربعين.

فتراجع دكسن وهو يقول:

- أعتقد أنني أخطأت فعلاً. شكراً لك.

- إنني آسف يا جورج!

أوماً دكسن برأسه على نحو آلي وقفل راجعاً. لا بد أن يبيل أخطأ

عندما دوّن رسالة كريستين. لكنه لا يرتكب مثل هذه الهفوات. لعلّ

كريستين هي التي أخطأت. لا يهم في الواقع. سار على مهل باتجاه مدخل

المحطة ووقف ينظر إلى الساحة الصغيرة التي يغمرها نور الشمس. إنه لا

يزال يحتفظ بعمله. ولن تكون هناك أي صعوبة في الاتصال بكريستين. إلا أنه أدرك أن اتصاله سيكون بعد فوات الأوان. على أي حال، لقد التقاها وتحدث إليها مرات كثيرة، حمداً لله على ذلك.

وبينما هو منهمك في المراقبة لا يدري ما يفعل الآن، سقطت عيناه على سيارة محطمة من أحد الجوانب وهي تدور دورة غامضة حول عربة دائرة البريد مما لفت أنظاره. وبدأت السيارة تتقدم نحوه وهي تزمجر كأنها بلدوزر. وفجأة توقفت الزمجرة وتجمّدت السيارة في مكانها، وخرجت منها فتاة شقراء طويلة القامة ترتدي بذلة ذات لون أحمر قاتم وتحمل معطفاً واقياً من المطر وحقيبة ملابس كبيرة الحجم، وأسرعت تهوول نحو المكان الذي يقف فيه دكسن.

أسرع دكسن في الاختباء وراء أحد الأعمدة كأنه يعاني ألماً في الحجاب الحاجز. كيف استطاع أن يتجاهل دون الناس جميعاً أهمية عادات ولش في قيادة السيارات؟

* * *

بعد أن سمع دكسن قرقعة السيارة مرة أخرى أدرك أن ولش لا يزال جالساً وراء عجلة القيادة. جيد. ربما كانت لديه أوامر بالعودة دون تأخير. ولم يشعر دكسن أو يفكر في أي شيء في ذلك الوقت سوى بالوضع الراهن. سمع وقع خطوات كريستين وهي تقترب، وحاول أن يضغط على نفسه ويلتصق بالعمود. سارت كريستين خطوات قليلة ووصلت مدخل الصالة، وأصبحت على بعد أربع أو خمس ياردات منه ثم التفتت فجأة وشاهدته. وعندئذ لاحظت على وجهها ابتسامة بدت لدكسن تعبيراً عن المودة الخالصة. وقالت:

- لقد تلقيت رسالتي إذاً؟

كانت كريستين تبدو جميلة على نحو مضحك. فقال لها دكسن وهو يجذبها نحوه إلى العمود:

- تعالي إلى هنا بسرعة يا كريستين.

فنظرت حولها وحملت إلى وجهه وقالت:

- لكن ينبغي لنا أن نعدو إلى الرصيف، فالقطار يوشك أن يرحل.

- لقد رحل قطارك، وعليك انتظار القطار التالي. على الأقل القطار

التالي.

- تشير تلك الساعة إلى أن لديّ دقيقة واحدة وفي وسعي...

- لا، لقد رحل القطار في الواحدة والدقيقة الأربعين.

- لا يمكن.

- بل يمكن، وقد استفسرت عن ذلك من الرجل.

- لكن السيد ولش أخبرني بأن القطار يغادر في الواحدة والدقيقة

- أوه، لقد أخبرك. هل أخبرك؟ لقد اتضح كل شيء الآن وقد أخطأ في ذلك كما تلاحظين.

- هل أنت متأكد؟ لماذا تختبئ هكذا؟ وهل نحن مختبئان؟
مال دكسن بجسده بعناية نحوها بعد أن تجاهلها ووضع يده فوق ذراعها، فرأى ولش يقود السيارة في الطريق باتجاه باب الخروج الرئيس فقال:

- حسناً، سنعطي ذلك المغفل وقتاً كي يمضي، وعندئذ نذهب لتناول بعض الشراب.

ثم أضاف:

- هل تناولت طعام الغداء؟
- نعم، لكنني لم أتناول شيئاً تقريباً.
- حسناً، أنا لم أكل أي شيء، وسنذهب لتناول بعض الطعام في فندق قريب كنت أرتاده فيما مضى مع مارغريت.

أودعا حقيبة كريستين في مكتب الحقائب وخرجوا إلى الساحة.
قال دكسن:

- شيء عظيم أن ولش لم يصرّ على اصطحابك حتى القطار.
- نعم، أنا التي أصررت على ذلك.
- لا ألوّمك على ما فعلت.

شعر دكسن أن قلقه الجسدي ازداد عندما فكّر في أخبار كريستين التي أوشكت أن تبوح بها، أراد المراهنة بنفسه على أن الأخبار ستكون سيئة كي لا يصاب بصدمة. وشعر أن ثمة حكمة في رأسه وفي جزء يصعب الوصول إليه من ظهره.

قالت كريستين:

- أردت أن أبتعد بأسرع ما يمكن عن جميع أفراد المجموعة، إذ لم يعد في استطاعتي احتمال أي واحد منهم. وقد وصل شخص جديد مساء أمس.

- شخص جديد؟

- نعم، شخص اسمه ميشل أو شيء من هذا القبيل.

- أوه، تقصدين ميشيل!

- صحيح؟ وقررت السفر في أول قطار أستطيع اللحاق به.

فقال دكسن وهو يحاول أن يقلل من حماسه كي لا يتوقع إلا الأشياء غير المتوقعة والسيئة جداً.

- ماذا حدث؟ ماذا أردت أن تقولي لي؟

فنظرت إليه ولاحظت أن بياض عينيها تشوبه زرقة خفيفة جداً. وقالت وكأنها تتحدث عن مسحوق غسيل ملابس أثبت عدم جودته:

- لقد انتهت علاقتي ببرتtrand.

- لماذا؟ هل انتهت إلى غير رجعة؟

- نعم، أتريد أن تسمع القصة؟

- هيا.

- أتذكّر عندما غادرت القاعة مع كارول غولد سمث في أثناء محاضرتك يوم أمس؟

فأدرك دكسن القضية وشعر أنه غير قادر على التنفس. وقال:

- نعم، هل أخبرتك بشيء ما؟ أعرف ما قالت لك.

توقف الاثنان عن السير دون إرادتهما. وفجأة مدّ دكسن لسانه صوب امرأة كانت تحملق إليهما. وقالت كريستين:

- كنت تعلم بقصتها مع برتراند طوال الوقت. أليس كذلك؟ أنا أعرف أنك كنت على علم بالموضوع.

ثم نظرت إليه كأنها توشك أن تضحك.

فقال دكسن:

- نعم، ما الذي دفعها إلى إخبارك؟

- لماذا لم تخبرني أنت؟

- لم أستطع. كما أن ذلك لن يفيدني أبداً. ما الذي دفع كارول إلى

إخبارك؟

- لقد كرهته لأنه كان يستخفّ بها. إنني لا أعترض على ما فعله

قبل أن يتعرّف إليّ، لكنه مخطئ تماماً في محاولته الاحتفاظ بكتلتينا معاً.

قالت لي إنه طلب منها الحضور إليه في تلك الليلة التي ذهبنا فيها جميعاً

إلى المسرح. كان متأكداً من حضورها. وقالت إنها بدأت تكرهني في

البدء، لكنها رأت بعد ذلك كيف كان يعاملني، مثلما حدث في الحفلة. ثم

أدركت أنه الشخص الذي يقع عليه اللوم لا أنا.

كانت كريستين تقف منحنية قليلاً وتتحدث بسرعة وحرص وقد

أعطت ظهرها واجهة أحد المحلات المملوءة بالملابس النسائية الداخلية

على اختلاف أنواعها. وكانت بعض الظلال تنعكس على وجهها في أثناء

اختلاسها النظر إلى دكسن ربما لترى هل تحدثت بما يكفي لإشباع فضوله

أو لا؟

- إن ما قامت به يعدّ عملاً نبيلاً. كما أن برتراند لن ينظر إليها بعد

اليوم.

- أوه، إنها لم تعد ترغب فيه أيضاً. وأعتقد..

- حسناً.

- وأعتقد أن حديثها أوحى بوجود امرأة ثالثة في الطريق، لكنني لا

أعرف من هي.

كان دكسن متأكداً من أنه يعرف المرأة المقصودة بكلامها.

فقد انفكت العقدة الأخيرة في الخيط. أمسك بذراع كريستين وسارا معاً وهو يقول:

- هذا يكفي.

- هناك أشياء كثيرة ذكرها لها عن...

- ستحدث عن ذلك فيما بعد.

أشرق وجهه دكسن بسعادة غامرة وأضاف:

- أعتقد أنك ترغيبين في سماع ما سأقوله لك. لن تكون لي بعد الآن

أي علاقة بمارغريت. لقد حدث تطور ما - وأرجو ألاّ تسأليني الآن عن

ماهيته - وهذا يعني أنني لست محتاجاً إلى القلق بشأنها بعد اليوم.

- ماذا؟ هل تعني أنك...

- سأخبرك بكل شيء في وقت لاحق. أعدك بذلك وأرجو ألاّ

تفكرني في هذا الآن.

- لا بأس، لكن ذلك حقيقي. أليس كذلك؟

- تماماً. حقيقي تماماً.

- حسناً إذآ، في هذه الحالة..

- حسناً، أخبريني ماذا ستفعلين عصر هذا اليوم؟

- أعتقد أنني سأذهب إلى لندن. أليس كذلك؟

- هل تمانعين في سفري معك؟

فجذبت يده وقالت:

- ما هذا؟ ما الذي يحدث؟ هناك شيء آخر. أليس كذلك؟ ما هو؟

- ينبغي لي البحث عن مكان أسكن فيه.

- لماذا؟ ظننت أنك تريد العيش دوماً في هذا الجزء من العالم.

- ألم يخبرك عمك بوظيفتي الجديدة؟

- ما هذا؟ أخبرني بالتفصيل يا جيم ولا تحاول أن تمازحني.

وبينما أخذ دكسن يشرح لها الموضوع، شرع يلفظ الأسماء الآتية بينه وبين نفسه: بايز ووتر، نايتس بريدج، نوتنك هيل غيت، پيمليكو، بالكريف سكوير، وإينك، چلسي، لا ليسن چلسي.

قالت كريستين:

- كنت أعلم أنه يخفي شيئاً، لكنني لم أعرف أن الشيء هو هذا. أرجو أن تتمكن من الصبر عليه. ليس هناك أفضل من هذا العمل. أليس كذلك؟ لا أعتقد أن هناك أي صعوبة في ترك وظيفتك في الكلية.

- لا، لا أعتقد أن هناك أي صعوبة.

- بالمناسبة، ما هو العمل التي ستقوم به؟ ما العمل الذي عرضه عليك؟

- العمل الذي اعتقد برتراند أنه سيحصل عليه.

فبدأت كريستين تضحك بصوت عالٍ، بينما احمرّ وجهها في الوقت نفسه. وضحك دكسن أيضاً. وفكر في أن ما يدعو إلى الرثاء هو أن كل الوجوه التي اعتاد تقليدها لا تعبر إلا عن الغضب والاشمئزاز. أما الآن، وبعد أن حدث شيء يستوجب أن يقلد وجهها للدلالة على الاحتفال بالمناسبة، وجد أنه لا يملك أي تعبير يحتفل به. وبمثابة مشاركة رمزية قلّد الوجه الخاص بموضوع الحياة الجنسية في روما القديمة. ثم شاهد شيئاً ما أمامها، فأبطأ في سيره ولكن كريستين سألته:

- ماذا حدث؟

- هل تلاحظين تلك السيارة؟

كانت سيارة ولش واقفة بالقرب من حافة الرصيف أمام مقهى تكسوه ستائر من الكتان لونها أخضر وتزيّن حافة نوافذه أوانٍ من النحاس. وأضاف:

- ما سبب وجودها يا ترى؟

- أعتقد أنه سيقلّ برتراند والآخرين. فقد قال برتراند إنه لن يتناول غداءه معي في البيت نفسه بعد الذي قلته له. أسرع يا جيم قبل أن يخرجوا من المقهى.

وبينما يوشكان أن يصلا بداية واجهة المحل، فُتح الباب وخرج منه حشد من أسرة ولش فسدّوا الطريق أمامهما. كان أحدهما ميشيل الذي تشبه طريقة كتابته اسمه طريقة كتابة ذلك الاسم عندما يطلق على الفتيات. كان شاباً طويل القامة شاحب الوجه تدلّت خصلة من شعره الأشقر من تحت البيريه الباهتة، وبعد أن شعروا أن هناك من يريد مواصلة السير على الرصيف بدأوا جميعاً باستثناء ولش نفسه بفسح الطريق أمام كريستين ودكسن. فضغط دكسن على ذراع كريستين مشجعاً، وسار بها إلى الأمام وقال بلهجة كوميدي قوية:

- اسمحوا لي.

لاحت على وجه زوجة ولش أمارات الغثيان فجأة فأحنى دكسن رأسه لها. تذكّر شيئاً ما كُتب في أحد الكتب عن النجاح الذي يجعل الناس متواضعين ومتسامحين وطيبين. وكاد الحادث أن يمر ويتهي عندما شاهد أن ولش وبرتراند لم يكونا حاضرين فحسب، بل إن قبعة صيد ولش وبيريه برتراند كانتا موجودتين أيضاً. على أي حال، كانت البيريه على رأس ولش وقبعة الصيد على رأس برتراند هذه المرة. كان الاثنان يبدوان بهذين المنظرين وهما يقفان جامدين مفتوححي العيون كأنهما جيد وليتون سترافي وقد صنعهما من الشمع تلميذ. أخذ دكسن نفساً كي يلعنهما، غير أنه أطلق ضحكة مدوية، وتعثر في سيره ومال جسده وكأنه قُطع بسكين، وتوقف وسط المجموعة بينما كانت كريستين تمسك بذراعه وأخذ يتظاهر بأنه شخص يؤلمه جنبه. لاح الضباب فوق نظارته ففتح فمه كأنه يتلوّى من الألم وقال:

- أنت.. وهو..

تراجع أفراد عائلة ولش وركبوا السيارة. وسمع دكسن لكريستين بأن تقوده إلى الأمام وهو يتأوه. وسمعا صوت السيارة وهي تتحرك ثم تنطلق من ورائهما حتى تلاشت شيئاً فشيئاً وغاب صوتها في خضم الضجيج الذي كان ينبعث من المدينة في صوتيهما.

* * *

انتهت

مكتبة

جديد الكتب والروايات

تابعنا اضغطا اللينك

t.me/ktabpdf

t.me/ktabrwaya

facebook.com/newpdf

جيم المحظوظ

لا يسجل لنا جيم عبر صفحات هذه الرواية المظاهر الزائفة والكاذبة للمجتمع الأكاديمي في إحدى الكليات الموجودة في مدينة إنكليزية صغيرة بعيدة عن العاصمة لندن فحسب، بل إنه يبدو لنا جزءاً من اللعبة في هذه الكوميديا، لأنه هو الآخر يضيف على شخصيته في كثير من الأحيان الكثير من مظاهر الزيف والخداع، إذ تضطره ظروفه ومزاجه إلى التظاهر الكاذب أمام محيطه. فهو يدّعي أنه باحث شاب وأستاذ جامعي، لكنه في الوقت نفسه يكره بتدريس مادة التاريخ ويحتقر زملاءه. ويتظاهر بأنه يشفق على زميلته مارغريت ويتعاطف وإياها، إلا أنه يجدها سطحية حقاً وتبعث على الملل. غير أن ما يغفر لجيم سلوكه هذا، هو أنه يقرّ بأن كل ما حوله من مظاهر هو زائف وكاذب.

